حزب الدعوة الاسلامية

تأريخ مشرق وتيّار في الامة

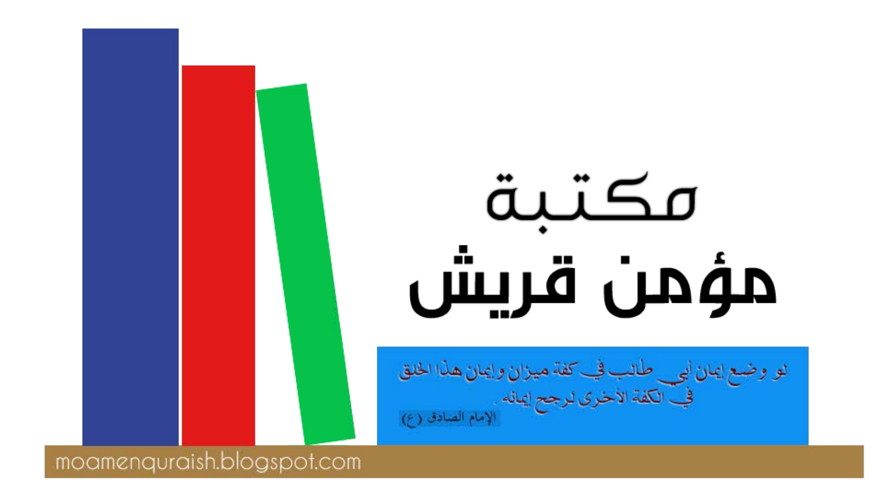
الكتاب الاول

١٢/١٠/١٩٥٧ - ١٧/٧/١٩٦٨

تاريخ العراق السياسي المعاصر



حسن شُبّر


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع ايمان أبي طالب في كفة ميزان وايمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح ايمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

تاريخ العراق السياسى المعاصر
الجزء الثالث

حزب الدعوة الاسلامية

ــ الكتاب الأول ــ

١٢/١٠/١٩٥٧ ــ ١٧/٧/١٩٦٨

تأريخ مشرق وتيار في الأمة

حسن شبّر



تاريخ العراق السياسي ـ ج ٣

تأليف: السيد حسن شبّر

الناشر: باقيات

ايران، قم، شارع المعلم، الرقم ٤٤، هاتف: ٧٧٤٣٩٠٠ (٠٢٥١)

المطبعة: شريعت ● العدد: ٣٠٠٠ نسخة ● الطبعة الاولى: ١٤٢٧ هـ. ق

ISBN 964 - 6168 - 37 - x

ISBN 964 - 6168 - 39 - 6 (4 vol. set)

مركز التوزيع:

قم، سوق القدس، مكتبة الامام الصادق (ع)، هاتف: ٧٧٤٠٠٥٥

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد كتب الكثيرون عن (حزب الدعوة الإسلامية) منهم الأعداء ومنهم الأصدقاء ومنهم المحايدون، ولكن الجميع وقعوا في أخطاء ربما تكون مقصودة، خصوصاً عندما يكتب حزب البعث في العراق. فان حزب الدعوة الإسلامية كان العدو اللدود للحزب الحاكم منذ وصل البعث للسلطة في ١٧ / ٧ /١٩٦٨.

وكان نظام البعث يتخبّط عندما يكتب عن حزب الدعوة الإسلامية يصفه أحياناً بأنه عميل للأجنبي دون أن يذكر من هو هذا الأجنبي ، وأخرى للنظام الفارسي، ويصفه دوماً بأنه (حزب الدعوة العميل).

ولدينا مئات الوثائق بل الآلاف، بل الأطنان التي تكيل لحزب الدعوة كل التهم في محاولة لملء أسماع العراقيين (بالعمالة) ليحقق النظام في ذلك أمرين :

١- ليعتقدوا فعلاً ان حزب الدعوة حزب عميل فلا يفكر احد بالانضمام والانتساب إليه.

٢- لئلاّ يتعاطفوا معه عندما يسمعون بالقسوة الشديدة التي كانت توجه للمنتسبين للدعوة ، بحيث أصبحت تطال أقرباءهم لحد الدرجة السابعة.

وكرّس النظام جهده ضد حزب الدعوة الإسلامية حتى أصبح العراق ينقسم في ولائه إلى جهتين:

أ- حزب البعث وهو الحزب الحاكم.

ب- حزب الدعوة وهو الحزب المعارض.

وتلاشت الأحزاب والحركات الأخرى من اهتمام حزب البعث، ويكاد لم يبق معارض قوي لحزب البعث إلاّ حزب الدعوة الإسلامية، على رغم الضربات القوية التي وجهت إليه خلال ٣٥ عاماً.

وكان الذين يكتبون عن حزب الدعوة الإسلامية ربما يستندون في معلوماتهم إلى وثائق البعث أو إلى الذين يكتبون وكأنهم يستنبطون القضايا، كالمجتهد الذي يستنبط الأحكام الشرعية من خلال الروايات والقواعد التي يعتمدها.

***

ولم يشأ حزب الدعوة الإسلامية ان يكتب تصحيحاً لما يكتب أو بياناً للحقيقة التي اختلطت على الكثيرين.

لم يشأ ذلك لبعض الاعتبارات، منها الأمنية، ومنها غيرها. أما وقد سقطت تلك العوائق والاعتبارات بسقوط صدام في ٩ / ٤ / ٢٠٠٣ فان حزب الدعوة الإسلامية وجد ان الوقت قد حان تماماً لان يكتب هو عن نفسه ليبيّن الحقائق والوقائع كما هي، تلك الحقائق التي حاول الجميع الوصول إليها ولكنهم ربما اقتربوا ولم يصلوا إلى كنهها.

ولقد منحني الله سبحانه وتعالى عدة أمور:

١- ذاكرة , التي تجعل كل الأمور وكأنني أراها في مرآة أمامي لا يكاد يغيب منها شيء.

٢- عمراً عاصرت فيه كل الأحداث ذات العلاقة ، خصوصاً تلك التي لها علاقة بالشأن الإسلامي.

فقد انتسبت إلى كلية منتدى النشر العلمية في النجف الأشرف عام ١٩٤٣ وبدأت أتعايش مع الوعي الإسلامي منذ ذلك الحين وفي عام ١٩٥٢ ساهمت مع زملاء لي من منتدى النشر في تأسيس حزب إسلامي، وهو وإن كان حزباً متواضعاً لم يدم طويلاً إلاّ انه كان تجربة أعطتني خبرة للخوض في تجارب أخرى أكثر تعقيداً وتأثيراً. وفي الخمسينات عاصرت الأحداث بكل تفاعلاتها.

٣- أصدقاء كثيرين ، علماء ووجهاء وسياسيين وغيرهم، نظراً لانتسابي إلى منتدى النشر والحوزة العلمية، ولتخرجي عام ١٩٦٥ من كلية الحقوق في جامعة بغداد ، ولانتسابي أيضاً إلى عائلة عراقية علمية عريقة.

كما كانت لي علاقات واسعة مع كبار المراجع والمجتهدين ، وكنت في موضع الاحترام لدى الجميع.

فالجزء الثالث ، وهو هذا الذي بين يدي القارئ الكريم من التأسيس إلى مجيء البعثيين عام ١٩٦٨,وهو الذي سوف أرمز إليه بـ (كتاب الدعوة الأول)

والجزء الرابع من مجيء البعثيين إلى استشهاد الإمام السيد محمد باقر الصدر في ٨/٤/ ١٩٨٠, وهو (كتاب الدعوة الثاني) .

والجزء الخامس من بعد شهادة السيد الصدر إلى الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١ , وهو (كتاب الدعوة الثالث)

أما الجزء السادس فيبدأ من الانتفاضة إلى سقوط صدام في ٢٠٠٣/٤/٩ , وهو (كتاب الدعوة الرابع) .

وأرجو من الله سبحانه وتعالى أن يوفقني لإنجاز هذا المشروع الضخم.

ولا أدّعي العصمة فيما كتبت ، ولكني تحرّيت الدقة في الكتابة وآليت على نفسي ألاّ اكتب إلاّ الحقيقة ، وسوف أدوّن بعض الملاحظات وبعض الأخطاء التي وقع فيها الحزب.

والله من وراء القصد

حسن شبّر

٤- إضافة إلى أنني عاصرت جميع المراحل التي مرّ بها الحزب وعايشت جميع الصعوبات .

***

وفكرة تأسيس حزب الدعوة الإسلامية عاصرتها اولاً بأول ، ولحظة بلحظة ، في خضم الاجتماعات واللقاءات والمناقشات ومعايشة المعاناة والأحداث.

يضاف إلى ذلك كله، ان لي رغبة ملّحة في كتابة التأريخ السياسي والغور في اعماقة في محاولة لاستخراج الحقائق.

ولعل كتابي عن المغول وسقوط بغداد واحد من تلك المحاولات، وقد سبق لي ان أصدرت تحت عنوان (تأريخ العراق السياسي المعاصر) جزئين:

الجزء الأول (العمل الحزبي في العراق) من عام ١٩٠٠ إلى عام ١٩٥٨.

الجزء الثاني (التحرك الإسلامي) من عام ١٩٠٠ إلى عام ١٩٥٧.

ويلاحظ في الكتابين أعلاه أنني حصرت الكتابة فيهما ضمن تأريخ محدد، لأفسح المجال للكتابة عن حزب الدعوة الإسلامية، الذي تأسس يوم السبت ١٧ ربيع الأول ١٣٧٧هـ المصادف ١٢ / ١٠ /١٩٥٧م.

وسوف تكون الكتابة عن حزب الدعوة – في عدة أجزاء – استمراراً للجزئين السابقين، وضمن موسوعة (تأريخ العراق السياسي المعاصر).

والملاحظ على الأسئلة إنها صيغت بطريقة خبيثة جداً، وبدقة متناهية بحيث تحصر الإجابة في مجال محدد.

فالسؤال الأول حدَّد الإشـــراف البريطـــاني كمـــسالة لا تقبـــل الاعتراض او الرفض.

والسؤال الثاني أعطى للرئيس صفة اسمية فقط، وكل ذلك يحقق النتيجة التي تريدها بريطانيا.

أما السؤال الثالث فليست له أهمية قياساً بالسؤالين السابقين[1]

ففي كربلاء والنجف وفي المدن الشيعية الأخرى كانت الأمة تنتظر رأي العلماء بهذا الخصوص .

***

١- المصدر نفسه ص ٢٣٥

واقع الشيعة
في الدولة العثمانية

عاش الشيعة بالعراق في ظل الدولة العثمانية حالة طائفية مقيتة تنظر إليهم الدولة على أنهم أعداء لا يستحقون الحياة.

فقد كانت الطائفة الشيعية تعد في زمن السلطان عبد الحميد وبالحقيقة في زمن الدولة العثمانية أقلية تنظر إليها الدولة بعين العداء. فلم تفسح لها مجالات التقدم في أي ناحية من نواحي الحياة العامة.

ومن الأمثلة البارزة على ذلك أنها كانت لا يقبل لها تلميذ في المدرسة الحربية، ولا يقبل منها فرد في وظائف الدولة إلا ما ندر، وعند الضرورة القصوى، وحتى في مدارس الدولة الإعدادية القليلة كانت توضع العراقيل في طريق دخول أبناء الطائفة إليها[1] .

وأبعدهم الأتراك عن أي مركز إداري في الدولة وعن التمثيل النيابي. فإذا اضطرت الدولة لتعيين نائب عن مدن الشيعة اختارت احد ابناء العراق من أهل السنة ممثلاً لكربلاء او العمارة او الديوانية او الناصرية، فيما أعطت الدولة العثمانية لليهود والمسيحيين في العراق حق اختيار أو تعيين مندوب لهم في مجلس المبعوثان (البرلمان العثماني).

١- من أوراق كامل الجادرجي ص ٨٦ طبعة بيروت ١٩٧١

وعلى الرغم من صدور الدستور العثماني عام ١٩٠٨ الذي اعتبر ثورة ديمقراطية ودعوة شاملة للحرية والمساواة بين مواطني الدولة، فقد حرم الشيعة من حق التمثيل عن مدنهم.

ان نواب العراق في سنة ١٩١٢ هم:-

عن لواء بغداد	مراد بك سليمان (شقيق حكمت سليمان) وفؤاد أفندي مدير الأملاك، ومحي الدين الكيلاني، وساسون حسقيل
وعن لواء البصرة	طالب باشا النقيب، وعبد الله الزهيري وعبد الوهاب باشا القرطاس، واحمد نديم.
وعن لواء كربلاء	فؤاد الدفتري، ونوري بك البغدادي.
وعن لواء الديوانية	إسماعيل حقي بابان.
وعن لواء المنتفك	جميل صدقي الزهاوي، وعبد المجيد الشاوي
وعن لواء العمارة	عبد الرزاق المير، ومعروف الرصافي[١]

وليس في هؤلاء النواب شخص شيعي، كما ان الممثلين عن الالوية الشيعية كلهم ليسوا من الالوية نفسها.

***

والدولة العثمانية وان كانت في نظر فقهاء الشيعة دولة غير شرعية ، ولكنهم لم يعتبروها يوماً ما دولة يجب محاربتها وإسقاطها ذلك لأن قاعدتها إسلامية، وهي بالتالي عندما يقع عليها عدوان من دولة

١- الحياة النيابية في العراق - حسين جميل - بغداد ١٩٨٣

كافرة، فانه يجب على المسلمين كافة الدفاع عنها والحفاظ على القاعدة الإسلامية، وان كان فيها انحراف.

وعندما بدأ الإنكليز بالتحرش بالدولة العثمانية (الرجل المريض) والتعرف على نقاط الضعف فيها ، أدركوا التعامل الطائفي الذي تتعامل به الدولة العثمانية مع الشيعة في العراق وحاولوا جاهدين ان يستغلوا هذه الناحية، ويوسعوا من حالة التقاطع بينهم وبين السلطة.

ففي اواخر القرن التاسع عشر تعرض الإمام الميرزا الشيرازي الكبير أثناء إقامته في سامراء إلى إساءة من احد أفراد السنة. فطلب القنصل البريطاني في بغداد مقابلة الإمام ليعرض له خدماته بهذا الشأن.

أما الإمام فقد كان موقفه حكيماً، حيث بعث إليه من يبلغه بكلمته:-

(نحن مسلمون فلا حاجة لتدخلكم بيننا)[1]

***

١- يونس السامرائي/ في تاريخ مدينة سامراء/ بغداد/ ١٩٧١ الجزء الثاني ص ١٧٨

الشيعة يدافعون عن الدولة العثمانية ويحاربون الإنكليز

وعلى رغم كل ذلك الاضطهاد الطائفي فان شيعة العراق كانوا الوحيدين الذين دافعوا عن الدولة العثمانية عندما تعرضت للغزو البريطاني عام ١٩١٤. فقد كان الغزو البريطاني للبصرة في ١٩١٤/١١/٦ وأصدر شيخ الإسلام في اسطنبول دعوة للجهاد في ١١/٧ وكررها السلطان العثماني في ١١/١١ ونشرت في بيان موقع من قبل ثلاثين عالماً في ١١/٢٣، ولم تلق الدعوة تجاوباً من المسلمين معها، وكان أثرها ضعيفاً الى حد كبير[١] بل ان رد فعل تلك الفتوى لدى علماء ووجهاء السنة في بغداد كان كما يلي:-

فقد عقد اجتماع مهم للعلماء والوجهاء (السنة) في بغداد بدار عبد الرحمن الكيلاني نقيب الأشراف الزعيم الروحي للطائفة القادرية، واتخذ الاجتماع قراراً مهماً بإرسال تأييد إلى الإنكليز ويعرض تقديم المساعدة لهم.

١- لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث الجزء الرابع ص٢١

والمجتمعون هم: موسى الباچه چي، وجميل زاده، وعبد الرحمن يوسف السويدي، ويوسف الباچه چي، وعبد الرحمن النقيب، وعبد اللطيف ثنيان، ورشيد الهاشمي[1].

وإذا كانت دعوة الجهاد قد فشلت في ولايات الدولة العثمانية، فإنها في العراق الشيعي اختلفت كلياً عن غيرها.

فقد نجحت دعوة الجهاد بسرعة كبيرة ولم يظهر أي مظهر معاكس في هذا الاتجاه.

واستجابة الناس للجهاد لم تكن للدعوة التي وجهت من قبل شيخ الإسلام في اسطنبول، وإنما للفتاوى التي أصدرها العلماء في النجف، والكاظمية، وكربلاء ، وسامراء ، والتي أوجبت الجهاد على المسلمين ومقاتلة الغزاة .

كان هذا عندما وردت برقية من البصرة إلى علماء الدين في المناطق المقدسة، نصت على ما يلي (ثغر البصرة ، الكفار محيطون به الجميع تحت السلاح ، نخشى على باقي بلاد الإسلام ، ساعدونا بأمر العشائر بالدفاع).

وعلى الفور استجاب مراجع الدين لهذا الحدث الكبير وأفتوا بوجوب الجهاد دفاعاً عن بيضة الإسلام ضد العدو.

٢- الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية (الاستقلالية) في العراق. للدكتور وميض جمال عمر نظمي / بيروت/ ١٩٨٦ ص ١١١

وقد استجابت العشائر العراقية لهذه الفتاوى، وانطلقت كتائب المجاهدين تحت قيادة كبار العلماء[1].

ان اهم ما في حركة الجهاد هو خروج مراجع الدين وكبار العلماء على رأس كتائب المجاهدين ومرابطتهم في خطوط النار، وهي ظاهرة متميزة في تاريخ التحرك الإسلامي.

تحرك السيد محمد سعيد الحبوبي[2] من النجف الأشرف في ٢٥ ذي الحجة ١٣٣٢هـ (١٥ تشرين الثاني ١٩١٤م) أي بعد تسعة ايام فقط من الغزو البريطاني[3] وقبل البيان الموقع من ثلاثين عالماً في اسطنبول بثمانية أيام.

وكانت العشائر غير راغبة لاستجابة دعوة الجهاد بسبب الكره الذي كانت تضمره دوماً للأتراك[4].

إلا أنّ الحبوبي الذي كان العنصر الأكثر نشاطاً في حركة الجهاد حيث ذهب إلى الفرات الأوسط وشرع في إقناع زعماء العشائر[5].

١- عبد الحليم الرهيمي , تاريخ التحرك الإسلامي في العراق (١٩٠٠-١٩٢٤) ص ١٦٥ .

٢- وكان والدنا المرحوم السيد إبراهيم شبر ضمن المجموعة التي انتدبت للجهاد مع السيد الحبوبي

٣ - حسن الاسدي / ثورة النجف على الإنكليز ص٩١

٤- فريق المزهر آل فرعون/ الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ونتائجها/ بغداد/ مطبعة النجاح ١٩٥٢ ص٣٦، ٣٨

٥- الياسري/ البطولة في ثورة العشرين ثورة العراق١٩٢٠ ص ٧٢ / النجف ١٩٦٧

وتجدر الإشارة هنا إلى ان جميع هؤلاء الزعماء كانوا من الفرات الأوسط وأصبحوا فيما بعد قادة ثورة العشرين.

ومن الناحية العسكرية ، لم تكن نتائج حركة الجهاد ذات أهمية كبرى حيث انسحب الجيش العثماني وانسحبت معهم جحافل المجاهدين، إلا أن أهميتها السياسية تستحق التقدير ، فلقد اظهر الجهاد قوة العامل الديني الذي وحّد أبناء الفرات الأوسط مع خصومهم الأتراك في الدفاع عن البلاد ضد الغزاة الأجانب.

وكان من النتائج السياسية الأخرى للجهاد انه سمَّمَ علائق عشائر الفرات الأوسط مع الإنكليز إلى حد كبير، والى حد يمكن القول ان بذور ثورة العشرين قد بذرت في حركة الجهاد عام ١٩١٤. وفضلاً عن ذلك، كشفت حركة الجهاد عن التأثير القوي للعلماء على رجال العشائر. وقد كان هؤلاء في الحقيقة راغبين عن الانحياز إلى جانب مضطهديهم الأتراك لولا فتوى زعمائهم الدينيين.

وقد قال الشيخ بدر الرميض (زعيم بني مالك) لأحد قادة الأتراك ما يلي:- ((لقد خنتم الإسلام كما يتجلى من معاملتكم للعرب...ولولا فتوى علمائنا لما وقفنا الى جانبكم))[١]

***

١- الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية الاستقلالية في العراق د. وميض جمال عمر نظمي/ بيروت ١٩٨٦ ص١٢٦

تحرك علماء الشيعة
اكسبهم تأييداً شعبياً منقطع النظير

إنّ تحرك علماء الشيعة عام ١٩١٤ / ١٩١٥ بهذه السرعة وتأثيرهم على العشائر التي كانت في الأساس حاقدة على الأتراك، فأصبحوا كتلة واحدة متراصة ضد الغزاة الإنكليز، ثم في عام ١٩١٨ في ثورة النجف، وكذلك في عملية الاستفتاء، ثم بعد ذلك في ثورة العشرين الكبرى. ان تحركهم هذا اكسبهم سمعة كبيرة للغاية لدى الأمة بجميع طبقاتها، ولدى الإنكليز أيضاً، لأنهم لمسوا تأثير العلماء على العشائر وعلى الأمة بصورة عامة، إضافة إلى أنهم تكبدوا خسائر فادحة لم يتكبدوها في بقية الأقاليم الإسلامية. فان خسائرهم في حروب العراق بلغت على حد ما ادعى (المستر لويد جورج) في إحدى المؤتمرات التي عقدت بعد انتهاء الحرب مائة ألف بين قتيل وجريح.

إما الخسائر المالية فقد قدرت بمئات الملايين العديدة[1].

بل ان الإنكليز لم يكونوا يتصورون تلك المقاومة القوية التي حطمت كبرياءهم وسفهت أحلامهم.

١- عبد الرحمن البزاز (العراق من الاحتلال حتى الاستقلال) ١٩٩٧ ص٦٩

ونستطيع ان نقول ان عمل علماء الشيعة هو الذي عجّل بمنح الاستقلال للعراق. - وان كان استقلالاً ناقصاً - قبل غيره من الدول التي انسلخت من الإمبراطورية العثمانية .

وفي ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٨ أصدرت الإدارة البريطانية على لسان نائب الحاكم المدني العام في العراق تعليماته إلى ضباط الارتباط في الألوية العراقية حول كيفية الاستفتاء، حيث ابلغهم بعدم قبول غير الأجوبة المرضية والملائمة للإنكليز، وإذا اطمأن الضباط إلى توفر مثل هذه الأجوبة عندها يعقدون اجتماعاً يلخصون فيه الأجوبة ويدونونها ثم يوقع عليها اكبر عدد من الشخصيات.

أما إذا استشعروا بان الرأي العام منقسم، أو لا يميل إلى الإنكليز وغير مرضي لهم، فيؤجل عقد الاجتماع وينتظرون التعليمات من (ولسن) فيما يجب عمله.

أما الاستفتاء فكان يتضمن الأسئلة التالية:-

١- هل يؤيدون إقامة دولة عربية واحدة تحت إشراف بريطاني، وتمتد من الحدود الشمالية لولاية الموصل إلى الخليج الفارسي؟

٢- وفي هذه الحالة هل يرون تنصيب رئيس عربي فخري على هذه الدولة الجديدة؟

٣- فإذا كان الأمر كذلك، فمن يفضلونه رئيساً؟[١]

١- د.غسان العطية، نشأة الدولة ص٢٣٥

فتوى الإمام الشيرازي حسمت الموقف

فان فتوى الميرزا محمد تقي الشيرازي حسمت الموقف بسرعة حيث أصدر فتواه الشهيرة التي نصت :

((ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب ويختار غير المسلمين للإمارة والسلطنة على المسلمين))[1]

وقد أيدَ هذه الفتوى سبعة عشر عالماً من كربلاء ((وكان لهذه الفتوى اثر عميق في نفوس المسلمين من أهل العراق، لا في أوساط الشيعة فحسب، بل إنها جاءت مطابقة لعدد من الآيات القرآنية الكريمة التي تنص على أن يطيع المسلمون أولي الأمر منهم، لا أن يطيعوا السلطة الحاكمة إذا كانت من الكفار))[2]

علماً بان الفتوى تلك إنما صدرت جواباً على السؤال التالي:

((ما يقول شيخنا وملاذنا حجة الإسلام والمسلمين آية الله في العالمين الشيخ ميرزا محمد تقي الشيرازي متَّع الله المسلمين بطول بقائه في تكليفنا معاشر المسلمين بعد ان منحتنا الدولة المفخمة العظمى في انتخاب أمير لنا نستظل بظله ونعيش تحت رايته ولوائه. فهل يجوز لنا

١- عبد الرزاق الحسني/ تاريخ العراق السياسي الجزء الاول ص ٩٨
٢ - فريق المزهر الفرعون/الحقائق الناصعة في الثورة العراقية ص ٨٠-٨١

انتخاب غير المسلم للإمارة والسلطنة علينا، ام يجب علينا اختيار المسلم، بينوا تؤجروا)).

ولقد كانت فتوى الشيرازي أول تحرك له، والتي أحبطت قيام استجابات موالية لبريطانيا خلال الاستفتاء[1].

فمعاشر المسلمين في حيرة من أمرهم، لا يدرون ماذا يفعلون ولن يخرجهم من حيرتهم غير العلماء الذين أصبحوا ملاذاً للأمة العراقية بأكملها، فلو كان العلماء قد أفتوا لهم بالجواز لاتبعوا ذلك دونما تردد، ولكنهم كانوا يجدون ان موضوع الحرب والجهاد والاستفتاء والانتخاب وما إلى ذلك يعتبر من الأمور التي لا بد ان يعطي العلماء رأيهم فيها سواء كان موافقاً لرغباتهم الخاصة او مخالفاً.

بل ان بعض الذين انسابوا مع الحالة البريطانية الجديدة، وكانوا في قرارة أنفسهم يؤيدونهم ويحقدون على العلماء، ان هؤلاء كانوا يخشون الرأي العام الذي امتلكه علماء الشيعة.

فكل من يخالفهم يعتبر عميلاً للإنكليز وخائناً للوطن، فلنستمع إلى (المس بيل) التي تقول بهذا الصدد:-

(إن أنصار البريطانيين قد ترددوا إزاء هذا البيان ((الفتوى)) في الإعراب عن آرائهم تحريرياً، في الوقت الذي أكدوا فيه لمعاون الحاكم السياسي تمسكهم بنا)[1]

١- الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية الاستقلالية في العراق د.وميض جمال عمر نظمي ص٣٥١

فهم يخشون الرأي العام ولا يكتبون شيئاً يخالف إرادة العلماء وان كانوا يتهامسون مع الإنكليز إذا خلوا بهم.

ولذلك فان نتيجة الاستفتاء كانت مخيبة لآمال الإنكليز الذين كانوا ينوون حكم العراق انتداباً او إلحاقاً بحكومة الهند، مما جعلهم يحقدون أكثر على العلماء الذين أصبحوا يصطدمون معهم في جميع خطواتهم التي كانوا يتوقعون إنها تركز وتعمق وجودهم في العراق.

وكان كلما حقد الإنكليز على علماء الشيعة، فان رصيد العلماء لدى الأمة يترسخ وتمتد جذوره أكثر.

وعندما وقعت الواقعة في الثورة العراقية الكبرى عام / ١٩٢٠ ومن بعدها انتخاب أعضاء المجلس التأسيسي كان الإنكليز قد فقدوا اتزانهم – على رغم أنهم معروفون بالبرودة – كما فقدوا عقلانيتهم وأمروا بتسفير العلماء إلى خارج العراق.

فماذا حدث في ثورة ١٩٢٠؟

ثم ماذا حدث في الانتخابات؟

***

٢ – د.وميض جمال عمر نظمي، المصدر السابق ص ٣٠٨

ثورة العشرين

فان العمل الأول الذي أقدم عليه كبير علماء الشيعة آنذاك الميرزا محمد تقي الشيرازي، والذي ساهم في تمهيد الطريق للثورة إصداره فتوى في الأول من آذار/١٩٢٠ حرم فيها على المسلمين العمل في إدارة الاحتلال.

وقد أدت هذه الفتوى إلى حملة استقالات واسعة. وجاءت بعد أن توجه عدد من الناس للعمل في مؤسسات الإدارة البريطانية.

وفي أعقاب هذه الخطوة، وبتوجيه من الميرزا الشيرازي عقد أواخر جمادى الأولى عام ١٣٣٨هـ (أواسط آذار ١٩٢٠) إجتماع سري في مدينة النجف حضره عدد كبير من العلماء ورؤساء العشائر تقرر فيه القيام بحملة تعبئة واسعة النطاق ضد الاحتلال والدعوة إلى الاستعداد لمقاومته.

ومن اجل تحقيق ذلك قرر المجتمعون إرسال عدد من علماء الدين والخطباء للقيام بهذه المهمة في صفوف العشائر[1].

حاول الميرزا الشيرازي تحقيق وحدة الأمة وجعلها قوة متماسكة ضد الاحتلال البريطاني، وأكد على ضرورة إزالة الخلافات وتحقيق

١- عبد الحليم الرهيمي/ تاريخ الحركة الإسلامية في العراق ١٩٠٠-١٩٢٤ ص ٢١٠ -٢١١

الوحدة بين السنة والشيعة في حركتهم السياسية تمهيداً لخوض المعركة القادمة مع قوات الاحتلال.

ووجه بهذا الخصوص رسائل عديدة إلى الشخصيات السنية والشيعية يطلب منهم الاتحاد والتعاون.

ففي رسالة بعثها إلى (جعفر أبو التمن) بتاريخ ٣ رجب ١٣٣٨هـ (أوائل الشهر الخامس /١٩٢٠) جاء فيها:

((..... سرّنا اتحاد كلمة الأمة البغدادية واندفاع علمائها ووجوهها وأعيانها إلى المطالبة بحقوق الأمة المشروعة ومقاصدها المقدسة، فشكر الله سعيك ومساعي إخوانك وأقرانك من الأشراف، وحقق المولى آمالنا وآمال علماء وفضلاء حاضرتكم الذين قاموا بواجباتهم الإسلامية.

هذا وإننا نوصيكم أن تراعوا في مجتمعاتكم قواعد الدين الحنيف، والشرع الشريف، فتظهروا أنفسكم دائماً بمظهر الأمة المتينة الجديرة بالاستقلال التام المنزه من الوصاية الذميمة، وان تحفظوا حقوق مواطنيكم الكتابيين الداخلين في ذمة الإسلام، وان تستمروا على رعاية الأجانب الغرباء، وتصونوا نفوسهم وأموالهم وأعراضهم، محترمين كرامة شعائرهم الدينية، كما أوصانا بذلك نبينا الكريم _ صلى الله عليه وآله _ .

والسلام عليكم وعلى العلماء الأشراف والأعيان))

وجاء في رسالة ثانية أرسلها بتاريخ ٤ رجب ١٣٣٨هـ، أي بعد يوم من الرسالة السابقة، إلى الشيخ (احمد الداود) احد علماء السنة في بغداد.

((..... تلقيت بالابتهاج رقيمتكم فما وجدتها أعربت مقدراً ولا أبرزت مستتراً، هذا ما اعتقده في عامة المسلمين ، ان يكونوا على مبدأ القران ومنهج الحق وقول الصدق، فكيف بمن رُبِّي في حجر العلم ورضع درَّ الإيمان اباً عن جد، ولا أرى انه يسرك ان تراني مقتنعاً بما عاهدت عليه الله وقد اخذ في ذلك عهدك من قبل ان يبرأك. بل يسرني ان أرى مثلك في رأس قادة المسلمين، الى الحق داعياً والى الضالين هادياً، بحيث يسترشد بك المسترشدون، وينهض بأمرك القاعدون، لتكن أهلا لذلك، فانك له أهل.

وليكن التوفيق رائدك في عمل الخير، وكن لساناً ناطقاً بالصواب داعياً الى الشرع الشريف أهله، سالكاً بهم محجته البيضاء، فانك مقتدى المسلمين، وهذا هو الأجدر بي وبك، وبمن جرى مجرانا من خدام الدين وأنصار الشرع المبين، وأرجو إبلاغ جزيل السلام والدعاء والدعوة لإخواننا المؤمنين ونسأل لهم خير الدارين، وبلوغ كلا الحسنيين فانصروا الله واثبتوا، فانكم ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم، وثقوا إنكم ستجنون ثمرة الجهاد والعناء في الله....))[١]

١- ان رسائل الميرزا الشيرازي تدل على عقلية واسعة ومستوعبة، فالدعوة كلها لانتصار الإسلام المنتهك من قوات الاحتلال، وليس هناك شيعة وسنة، وإنما ←

وفي رسالة أخرى أرسلها الميرزا الشيرازي بنفس التاريخ الى الشيخ (موحان الخير الله) احد رؤساء عشائر المنتفك، جاء فيها.

((.... ان جميع المسلمين إخوان تجمعهم كلمة الإسلام، وراية القران الكريم، والنبي الأكرم صلى الله عليه واله وصحبه، فالواجب علينا جميعاً الاتفاق والاتحاد والتواصل والوداد وترك الاختلاف والسعي في كل ما يوجب الائتلاف وتوحيد الكلمة وجمع شتات الأمة، والتعاون على البر والتقوى في كل ما يرضي الله تعالى، فانكم ان كنتم كذلك جمعتم بين خير الدنيا والآخرة ونلتم الدرجة العليا والشرف الدائم والذكر الخالد))[1].

ووجه الميرزا الشيرازي ايضاً رسالة الى الشريف حسين يطلب منه دعم قضية العراق ومساندة العراقيين في الحصول على استقلالهم.

وقد حمل الشيخ محمد رضا الشبيبي هذه الرسالة، إضافة إلى رسالة وقّعها زعماء النجف موجهة الى الشريف حسين.

***

←الكل مسلمون وكلهم مخاطبون بالاتحاد والنصرة وانقاذ العراق، ثم ان المعركة القادمة مع الإنكليز تستوجب توحيد الصفوف، واتفاق الجميع ونبذ الخلافات المذهبية وغيرها، فالخطر جسيم ولابد من الترفع عن الأمور الصغيرة التي تعرقل الهدف الاكبر في طرد قوات الاحتلال والحصول على الاستقلال التام.

ان هذه الروح التي كان يتحلى بها الشيرازي وبقية علماء الشيعة هي التي جعلت كلماتهم وبياناتهم ومواقفهم تؤثر أثرها الكبير في الأمة بأجمعها، بحيث لا يمكن لأي إنسان في العراق حتى لو لم يكن مسلماً ان يصرّح على خلاف إرادة العلماء، فانه سرعان ما يوصم بالخيانة وممالأة الإنكليز.

٢- محمد علي كمال الدين / الثورة العراقية الكبرى ص ١٨٩/١٩٠

كان الميرزا الشيرازي يحاول في البداية الوصول الى استقلال العراق بالطرق السلمية وهو ما يتضح من خلال رسائله وبياناته التي وجهها الى كافة أبناء الأمة في العراق.

ففي احد هذه البيانات كتب يقول:-

ان إخوانكم في بغداد والكاظمية والنجف وكربلاء وغيرها من أنحاء العراق قد اتفقوا فيما بينهم على الاجتماع والقيام بمظاهرات سلمية، وقد قامت جماعة كبيرة بتلك التظاهرات مع المحافظة على الأمن ، طالبين حقوقهم المشروعة المنتجة لاستقلال العراق ان شاء الله بحكومة إسلامية. وذلك بان يرسل كل قطر وناحية الى عاصمة العراق بغداد وفداً للمطالبة بحقه، متفقاً مع الذين يتوجهون من أنحاء العراق عن قريب الى بغداد.

الواجب عليكم بل على جميع المسلمين الاتفاق مع إخوانكم في هذا المبدأ الشريف، وإياكم والإخلال بالأمن، والتخالف والتشاجر بعضكم مع بعض....)[١]. ١٠ رمضان ١٣٣٨ هـ/ ٩ مايس ١٩٢٠م

ولكن الميرزا الشيرازي بعد ان استنفد الوسائل السلمية، ووجد السلطة البريطانية تصعِّد من ممارساتها ضد المعارضة السياسية، وبعد ان تأكد من إمكانية الثورة، وعزم العشائر العراقية على المواجهة المسلحة، أصدر فتواه الشهيرة التي تعتبر إعلاناً للثورة :

١- عبد الرزاق الحسني/ الثورة العراقية الكبرى ص ٩٧-٩٨

الميرزا الشيرازي

استعينوا بالقوة إذا امتنع الإنكليز

(بسم الله الرحمن الرحيم مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين ويجب عليهم في ضمن مطالبتهم رعاية السلم والأمن، ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الإنكليز عن قبول مطالبهم)[1] .

محمد تقي الحائري الشيرازي

وقد أحدثت هذه الفتوى هيجاناً عاماً في العراق، وعززها قول الميرزا لمن يسأله عن الموقف المطلوب (اعملوا ما شئتم، حان وقت اخذ حقوقكم).

***

وعلى اثر ذلك عقد علماء الدين والشخصيات المهمة في النجف الأشرف اجتماعاً حضره الشيخ عبد الكريم الجزائري، والشيخ جواد الجواهري والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء والشيخ عبد الرضا الشيخ راضي والشيخ جواد الشبيبي، ونجل شيخ الشريعة، وقرروا توجيه رسائل الى رؤساء العشائر، وخاصة رؤساء الرميثة والسماوة يحثونهم

١- ماضي النجف وحاضرها/ جعفر آل محبوبة / الجزء الأول ص ٢٦٣

فيها على الثورة ، كما وجهوا رسالة عامة لكل المسلمين ناشدوهم فيها مقاومة الإنكليز وطردهم من بلاد الإسلام.

وفي منطقة المشخاب القريبة من النجف اجتمع في ٢٩ حزيران ١٩٢٠م عدد كبير من رؤساء وزعماء الفرات قرروا فيه إعلان الثورة في ٣٠ تموز، لكن اعتقال سلطات الاحتلال شعلان أبو الچون في الرميثة، في ٣٠ حزيران، جعل موعدها يتقدم.

حيث هجم الثوار من عشيرة الظوالم على مقر الحاكم الإنكليزي وأطلقوا سراح الشيخ أبو الچون في اليوم نفسه فبدأت بذلك الثورة.[١]

فثورة العشرين الكبرى، إنما قام بها عشائر الفرات الأوسط، وهم لم يكونوا يتحركون إلا بفتوى الإمام الشيرازي.

وكان العلماء الآخرون قد تبنّوا هذه الفتوى وتحركوا على العشائر، يبعثون إليهم برسائلهم يحثونهم على الثورة وتوحيد الصفوف بخطبهم الحماسية وقصائدهم الثورية أو بتحركهم السريع والمكثف في المناطق.

يقول تقرير بريطاني في ٢٥/ آب : ـ بلغ التوتر ذروته بوصول الميرزا محمد الشيرازي (نجل الإمام الشيرازي) وكان هذا الرجل يتنقل على ضفاف الغرّاف مبشراً بالجهاد، وقد هبّت المدينة كلها لاستقباله، وأضطر معاون الحاكم السياسي إلى مغادرة الشطرة....

١- عبد الحليم الرهيمي / تاريخ الحركة الإسلامية في العراق ١٩٠٠- ١٩٢٤ م ص ٢٢٠- ٢٢١

ويستمر التقرير فيقول: لقد كان من الضروري لمعاون الحاكم السياسي مغادرة السوق (سوق الشيوخ) بسبب انتشار الجهاد، ومن المرجح ان يصبح من الضروري إخلاء سامراء قريباً، ان القائد البريطاني ينوي إخلاء الناصرية حالما يتمكن من انتشار مفرزته.

وفي ٢٧/ آب يقول التقرير: ان عجز قواتنا المسلحة عن إحراز نجاح عسكري ملحوظ في أي موقع هو أمر يشجع أعداءنا.... وآخر مثال على ذلك هو الشطرة، حيث أدى التبشير النشيط بالجهاد من قبل مبعوثين من النجف وكربلاء مدعوماً برسالة من المجتهد الأول الجديد (الاصفهاني) أدى في النهاية الى إثارة رجال العشائر[١].

***

والثورة وان كانت انطلاقتها في المناطق الشيعية، إلا أنها سرعان ما انتشرت في مناطق أخرى في لواء ديالى والدليم وسامراء وكركوك، بل شملت العراق كله.

ومنذ أوائل آب ١٩٢٠ كان المندوب المدني قد ابلغ وزارة الهند انه ((ثمة حالة حرب في جميع أنحاء ما بين النهرين)[٢]

وكذلك (قيام انفجارات أخرى في بعقوبة وكفري وكركوك)[٣]

١- الجذور السياسية ص ٣٨٦- ٣٨٧

٢- التطور السياسي المعاصر في العراق (مجموعة من المؤلفين) ص ١١٥

٣- الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية في العراق/ د. وميض جمال عمر نظمي ص ٣٨٣

وأضاف التقرير (سيتم ترحيل النساء والأطفال من كركوك في ١٩/آب كما اتخذت التدابير للجلاء عند الضرورة عن أربيل والسليمانية وكركوك، وقد تم الجلاء عن عانه (في الدليم) ومن المرجح ان يضطر البريطانيون إلى مغادرة هيت بعد فترة قصيرة)[١]

واعتبر الوضع من الخطورة بحيث اقترحت البنوك البريطانية إحراق عملتها الهندية[٢]

ويعتبر التقرير البريطاني ان من أسباب نجاح الثورة هو ضعف الجيش البريطاني آنذاك.

ثم يقول: ((وكان المسلمون يتحدون وينتصرون في كل مكان ويطردون الكفار من العراق ، وكان الالتحاق بالثورة المجيدة واجباً دينياً))[٣]

المهم ان الثورة عمت العراق كله واستولى الثوار على جميع المناطق واندحر البريطانيون وتكبدوا خسائر فادحة في كل شيء.

***

١- المصدر السابق ص٣٨٣
٢ - المصدر السابق ص ٣٨٣
٣ - المصدر السابق ص ٣٨٤

وقد سببت أنباء الثورة بداية حملة واسعة في الصحافة البريطانية، وادّعى لورنس (ان الرأي العام المسؤول برمته تقريباً في إنكلترا يقف ضد سياستنا الحالية في ما بين النهرين، ان لويدجورج (رئيس الوزراء) ووزراء آخرين يعارضونها وجميع الصحف تقريباً تعارضها))[1]

وأدرك علماء الإسلام الذين قادوا الثورة ان الإنكليز كانوا يعقدون المؤتمرات والأحلاف لترتيب وضع العراق وسرقته من إرادة شعبه الثائر.

ولذلك فقد بدأ الميرزا الشيرازي يخاطب بعض الرؤساء في العالم بما يجري في العراق ليفضح هذه السياسة الغاشمة.

فقد كتب بالاشتراك مع شيخ الشريعة الاصفهاني رسالة الى الرئيس الأمريكي (ولسن) بتاريخ ٥ جمادى الأولى ١٣٣٧هـ طلب فيها ان يتدخل لصالح العراق في إنشاء حكومة عربية وأوضح له ان الإرهاب الذي يمارسه الإنكليز يحول دون إمكانية إبداء الشعب العراقي لرأيه صراحة.

كما أرسل إليه هو وشيخ الشريعة رسالة أخرى في ١٢ جمادى الأولى، أوضح له ان الأمة في العراق تريد حكومة عربية إسلامية مستقلة. برئاسة ملك مسلم مقيَّد بمجلس وطني.

---

١ - المصدر السابق ص ٤٠٥

ووجه أيضاً رسالة الى الشريف حسين يطلب منه دعم قضية العراق ومساندة العراقيين في الحصول على استقلالهم.

***

وكانت سمعة العلماء تتألق يوماً بعد يوم ، كما كانت الأمة في العراق تنظر إليهم بإعجاب وإكبار واحترام وتأييد.

وسابقاً قلنا كان هناك من يخالف إرادة العلماء وانسجم مع توجهات حكومة الاحتلال على أساس إنها حياة جديدة جاءت على أنقاض الدولة العثمانية المتخلفة.

ولكن أولئك كانوا لا يستطيعون ان يبدوا رأيهـم علانيــة، لان الشعب كله كان ضدهم.

واحتل العلماء المرتبة الأولى في انقياد الأمة العراقية إليهم، سواء في الأعمال العسكرية التي ابدوا فيها نشاطاً ملحوظاً أو في اتخاذ المواقف السياسية.

***

مؤتمر كربلاء

وحدث في ١٩٢٢/٣/١١ ان هاجم الوهابيون النجديون منطقة سوق الشيوخ وأوقعوا فيها خسائر كبيرة في الأرواح والممتلكات، مما دعا العلماء ان يعقدوا مؤتمراً موسعاً يحضره رؤساء العشائر لتدارس الموضوع واتخاذ التدابير اللازمة.

وكان الشيخ مهدي الخالصي والسيد أبو الحسن الاصفهاني والميرزا حسين النائيني هم الذين نشطوا في عقد هذا المؤتمر.

ووجهوا دعوة للملك فيصل لحضوره. ولكنه تخلف واكتفى بارسال وزير الداخلية توفيق السويدي.

وفي الخامس عشر من شعبان (١٢ نيسان ١٩٢٢) تم عقد المؤتمر في كربلاء بقيادة العلماء، وقد حضرته وفود كثيرة من شتى أنحاء العراق.

كان مؤتمر كربلاء تعبئة جماهيرية كبيرة ، واستطاع علماء الدين ان يشدوا الأمة إليهم في خطوة ناجحة جاءت في أعقاب الانتكاسة التي ولدتها نتائج ثورة العشرين، ومشاريع الإنكليز في تشكيل الحكومة المؤقتة وفرض الانتداب.

واثبت كبار العلماء والمراجع أنهم لا يزالون يتمتعون بموقعهم القيادي ، وان العشائر العراقية ، وبقية فئات الأمة مرتبطة بهم ارتباطاً

وثيقاً.

إنّ تصدي العلماء أنفسهم لمطاليب الشعب وهمومهم وتطلعاتهم، اكسبهم تقديراً ومنزلة رفيعة أضيفت لمواقفهم السابقة، مما جعلهم هم الذين يوجهون الأمة حيث يريدون ويفرضون إرادتهم حتى على الملك، فيطلبون منه ان يحضر المؤتمر.

وان وضعاً كهذا لا بد ان يقلق الإنكليز، فقد أصبح العلماء عائقاً أمام توجهاتهم ومخططاتهم في العراق ، وجعلهم يفكرون للإيقاع بهم والتخلص من متاعبهم. بل والتخلص من العشائر الشيعية ومن الشيعة كلهم بصورة عامة ، الذين هم أداة العلماء ويتحركون وفق إرادة العلماء، فالحقد انصبَّ إذن على الشيعة جميعاً.

تقول ((مس بل)) السكرتيرة الشرقية لديوان المعتمد السامي البريطاني في العراق:

((أما أنا شخصياً فابتهج وأفرح أن أرى هؤلاء الشيعة الأغراب يقعون في مأزق حرج، فإنهم من أصعب الناس مراساً وعناداً في البلاد))[1]

١- دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث/ النفيسي / ص ١٩٩

معاهدة ١٩٢٢

خلال تتويج فيصل أعطت بريطانيا وعدها للشعب العراقي بعقد مؤتمر عام من أبناء الأمة خلال ثلاثة اشهر ليضع دستور المملكة ويحدد أسس الحياة السياسية في العراق.

وعلى هذا الأساس تمت مبايعة فيصل ملكاً على العراق، غير ان الإنكليز يدركون ان تشكيل المؤتمر العراقي بمثابة عقبة كبيرة في طريق مشاريعهم بشأن مستقبل العراق لان الأمة ستطالب بالاستقلال التام وترفض الانتداب رفضاً قاطعاً.

ومن هنا حاولوا عقد معاهدة بين بريطانيا والعراق تتضمن الانتداب ثم يأتي دور المجلس التأسيسي ليصادق عليها.

وفي الحقيقة، ان هذا المخطط البريطاني كان معداً قبل ترشيح فيصل لعرش العراق.

وبعد حفلة تتويج فيصل، قدَّم المندوب السامي للملك مسودة معاهدة كصيغة أولية تدور حولها المناقشات، وتضمنت خمس عشرة مادةً، نذكر منها ما يلي:-

المادة الثانية:

على الملك فيصل ان يستعين بالمشورة البريطانية، ولا يعيِّن موظفين بدون موافقتها.

المادة الثالثة :

تمثل حكومة بريطانيا بمندوب سامٍ وحاشية استشارية، ويطلع المندوب السامي على القضايا المهمة.

المادة الخامسة :

أن تمثل بريطانيا العراق في الخارج.

المادة السادسة :

أن تحتفظ بريطانيا بجيش للدفاع عن التجاوز الخارجي وتأييد الأمن في الداخل، وتستخدم الطرق والسكك الحديدية والموانئ لحركات هذه القوات ونقل الوقود والذخيرة.

المادة العاشرة :

عدم عرقلة شؤون المبشرين.

المادة الرابعة عشر:

استشارة المندوب السامي في القضايا المالية[1]

***

والواقع إن وضع العراق تحت الانتداب البريطاني كان قد تقرر بموجب مقررات مؤتمر سان ريمو (نيسان ١٩٢٠) الذي عهد لبريطانيا بمهمة إدارته. ولإدراك السلطات البريطانية الحاكمة لحقيقة مدى الكُره

١- احمد رفيق البرقاوي/ العلاقات السياسية بين العراق وبريطانيا ١٩٢٢-١٩٣٢ ص ٣٥ - ٣٦

الذي يضمره العراقيون للإنكليز، والذي لمسوه في ثورتهم عام ١٩١٤ و ١٩٢٠ عندما تحركوا استجابة لعلمائهم وتوجيهاتهم.

ومن اجل التخفيف من حدة هذا الكره، وإظهار بريطانيا بمظهر الدولة الحليفة وليس الموجّهة بالفعل لمقدرات العراق السياسية، وضعت خطة صياغة مضمون الانتداب بمعاهدة بديلة تظهر العلاقة بين الدولتين (العراقية والبريطانية) وكأنها علاقة تحالف، لكنها من حيث الواقع لا تمس مطلقاً جوهر المصالح البريطانية القائمة في العراق.

وبعبارة أخرى فان بريطانيا وطّدت العزم على تنفيذ ما اختطته من سياسة تجاه العراق، وهي سياسة تنطلق من ضرورة ان تكون هناك معاهدة او معاهدات تحكم علاقاتها بالعراق وتحمل الروح التي يتضمنها نظام الانتداب مع التسليم بعدم ذكر هذا اللفظ (الانتداب) في أي مضامين المعاهدات المقبلة[1]

***

ولقد كان لهذه المعاهدة أربع معاهدات أخرى ملحقة بها، لها ما للمعاهدة من حكم ونفوذ.

ولعل اغرب مواد المعاهدة تلك التي تقول (يوافق جلالة ملك العراق على ان ينظم قانوناً أساسياً يعرض على المجلس التأسيسي

١- التطور السياسي المعاصر في العراق. د. وميض جمال نظمي، د. شفيق عبد الرزاق، د. غانم محمد صالح ص ١٦٤- ١٦٥

العراقي ويكفل تنظيم هذا القانون الذي يجب ان لا يحتـوي علـى مـا يخالف نصوص هذه المعاهدة).

وللحقيقة، فان الملك (فيصل) كان يتذمر من المعاهدة التي أرادها الإنكليز، وكان ينعى على (تشرشل) انه وعده ان يلغي الانتداب وان يعترف باستقلال العراق، في حين جاء الآن بمعاهدة طافحة بذكر الانتداب.

وقد كان الإنكليز حريصين جداً علـى إنجـاز هـذه المعاهـدة والإسراع بها، فبدأوا بالمفاوضات حـول المعاهـدة فـي ٢٩ أيلـول/ ١٩٢١، أي بعد مرور ٣٨ يوماً على تتويج الملك[1]

هذه هي بصورة موجزة جداً (المعاهدة وملابساتها) وقـد كـان إبرامها يتوقف على مرحلتين:-

الأولى: تصديقها من قبل مجلس الوزراء.

الثانية: انتخاب مجلس تأسيسي يصادق عليها لتأخذ صفتها الإلزامية.

وسوف نتكلم عن المرحلة الأولى، ومعارضتها من قبل العلمـاء والجمهور العراقي الذي يتأثر بهم.

١- لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث (علي الوردي) جزء ٦ ص ١٦٣

المعارضة الإسلامية
لمعاهدة التحالف مع بريطانيا

ففي البداية عقد مجلس الوزراء بتاريخ ٢٢ حزيران جلسة برئاسة عبد الرحمن النقيب، وقدمت الصيغة النهائية للمعاهدة لغرض مناقشتها.

كان أول المتكلمين في الجلسة وزير الداخلية (عبد المحسن السعدون) وقد حَضَّ على قبول المعاهدة، وكان الوزراء يخشون من وزير التجارة (جعفر أبو التمن) ما عدا عبد المحسن السعدون وساسون حسقيل.

فاعترض جعفر أبو التمن قائلاً.

((إن هذا ليس من شأنكم وإنما من شأن علماء الدين، ان السادة الدينيين وأعمدة الإسلام ضد أية معاهدة إطلاقا))١ .

لم يتم التوصل في هذا الاجتماع إلى نتيجة، فتقرر تأجيل الاجتماع إلى يوم السبت ٢٤ حزيران/ ١٩٢٢.

وأدرك فيصل خطورة موقف جعفر أبو التمن المعارض للمعاهدة، لذلك حاول فيصل – ولعل الإنكليز هم الذين أشاروا عليه –

١- المصدر السابق ج٦ ص ١٧٣

أن يبعده عن الاشتراك في اجتماعات الوزراء، فاستدعاه واخبره أن وزارته سوف تلغى من قبل لجنة كريس (وهي لجنة ألفها المندوب السامي لدراسة حالة العراق الاقتصادية). ورجَّح له عدم الذهاب إلى مجلس الوزراء، والقيام بسفرة لتحسين صحته.

وبالفعل بعث أبو التمن رسالة إلى مجلس الوزراء يخبرهم بأنه مريض.

وفي اجتماع الوزراء يوم ١٩٢٢/٦/٢٤ وافقوا على المعاهدة بسرعة، لكن (أبو التمن) حضر في اجتماع اليوم التالي١٩٢٢/٦/٢٥ وقدم احتجاجاً شديداً ضد المعاهدة[١].

وفي ٢٦ حزيران استقال جعفر أبو التمن من الوزارة.

***

وأخذ العلماء يدعون إلى عقد اجتماعات لدراسة الأوضاع السياسية وتقديم الاحتجاجات ضد المعاهدة، فأرسلوا رسالة إلى رئيس الوزراء سُجِّلت في ملفات الوزارة بتاريخ ٢١/ ٧/ ١٩٢٢، وفي ٢٨ تموز عقدوا في جامع الهندي بالنجف اجتماعاً كبيراً حضره نحو خمسمائة شخصية دينية وسياسية، ونوقشت خلاله أوضاع البلاد، وتم التأكيد على الموقف الذي أعلن في رسالة العلماء السابقة.

١- عبد الرزاق الدراجي (جعفر أبو التمن ودوره في الحركة الوطنية في العراق) ص ١٨٠ - ١٨١

وتحرك رؤساء الفرات وواصلوا اجتماعاتهم، وابرقوا إلى فيصل وكذلك إلى المندوب السامي البريطاني برقيات احتجاج.

وفي ١١/ آب / ١٩٢٢ عقد مؤتمر في بيت السيد (أبو الحسن الاصفهاني) أكد فيه الحاضرون رفض المعاهدة وكتبوا بذلك مذكرة إلى الملك واستدعوا متصرف كربلاء، وابلغ بالقرارات التي اتخذت في ذلك الاجتماع[١].

عندها شعر الملك فيصل بخطورة الموقف وراح يتقرب من قادة المعارضة واضطر رئيس الوزراء عبد الرحمن النقيب، فقدم استقالته في ١٤ آب ١٩٢٢ نزولاً عند رغبة الملك وبناء على ضغط الرأي العام[٢].

ولكن المندوب السامي طلب من الملك فيصل أن يكلف عبد الرحمن النقيب بتشكيل الوزارة للمرة الثالثة باعتباره موالياً للإنكليز.

وبالفعل في ٣٠ أيلول ١٩٢٢ شكل النقيب وزارته الثالثة موقعة من قبله ومن قبل المندوب السامي (برسي كوكس).

***

١- احمد رفيق البرقاوي، العلاقات السياسية بين العراق وبريطانيا ١٩٢٢ – ١٩٣٢ ص٦٤

٢- العراق من الاحتلال حتى الاستقلال (عبد الرحمن البزاز) ص ١١٥

ماذا حدث لانتخابات المجلس التأسيسي وتصديق المعاهدة

لقد برزت في موضوع انتخابات المجلس التأسيسي ثلاثة عناصر متنافرة كان لها دور مهم في مجريات الحوادث بالعراق، لم تكن مقتصرة على الفترة التي جرت فيها تلك الانتخابات، وإنما استمرت تتفاعل مع الحالة العراقية برمَّتها (الاجتماعية والسياسية) إلى يومنا هذا، تلك هي:

علماء الدين.

الملك فيصل.

الإنكليز.

أما علماء الدين :

فقد كانوا يعلنون رفضهم إجراء انتخابات المجلس، ويرون حرمتها، لسببين:

أ- لأنهم يعلمون أن الذين سوف يفوزون بالانتخابات إنما هم الذين تريدهم الحكومة العميلة، وتريدهم بريطانيا، ويتفاعلون معها.

ب - ولأن هذا المجلس يراد له ان يصادق على اتفاقية تقيِّد الشعب العراقي وتكبله.

وبناء على ذلك فقد أصدروا فتاواهم بحرمة الانتخابات ، وسوف نشرح ذلك تباعاً.

وأما الملك فيصل :

فقد كان يحاول ان يوازن بين رغبات الشعب التي يمثلها العلماء وبين إرادة الإنكليز، بطريقة تحفظ كيانه ومستقبله، وهو يعرف تماماً قوة العلماء في تأثيرهم على الأمة وليس ثورتهم عام ١٩١٤ وثورة ١٩٢٠ ببعيدة عنه.

وقد كان الملك حريصاً جداً على ان لا يخسر ملوكية العراق بعد ما خسر ملوكية الشام، وإذا ما تحقق ذلك، فانه من غير المتوقع ان يكون له منصب كهذا في اية بقعة من العالم.

ولذلك فانه كان يوازن بين رغباته، ورغبات الإنكليز، ورغبات العلماء. فكان ربما يفلح في بعضها ويخسر في كثير منها.

وأما الإنكليز:

فقد كانوا يطمعون أن يحكموا العراق حكماً مباشراً على غرار طريقتهم في الهند أو على طريقة الانتداب، ولكنهم كانوا يواجهون ردود فعل قوية من قبل العلماء الذين كان لهم تأثير قوي على الأمة، وعلى شخص الملك الذي كان يخشى من مواجهتهم مباشرة.

ونتيجة لتلك المعادلات، فان الملك فيصل كان حريصاً على إنجاز الانتخابات بسرعة لكي يستكمل دستورية مؤسسات الدولة وممارساتها، وان كان حذراً من ردود الفعل.

ولذلك فان عبد الرحمن النقيب عندما ألّف وزارته في ٣٠/أيلول/١٩٢٢، أمر الملك فيصل رئيس ديوانه ان يكتب إلى رئيس الوزراء انه يودُّ الإطلاع على المنهاج الذي تريد الوزارة السير عليه.

وكان من جملة الأسئلة الموجهة إلى رئيس الوزراء، السؤال التالي:

((ما هي الخطة اتجاه الانتخابات المقبلة))[١]

***

فقد كان الملك يريد ولا يريد .

يريد الانتخابات ليوطّد وضعه بها .

ولا يريدها خشية من المعارضة القوية التي سيواجهها العلماء ولذلك فانه كان يهمه كثيراً ان يعرف – منذ البداية – خطة رئيس الوزراء في الانتخابات.

وكان لابد للإنكليز وللملك فيصل ووزارته أن يجروا الانتخابات، ولكنهم كانوا جميعاً يعيشون أياماً عصيبة، غير متأكدين من النتائج التي سترافق عملية الانتخابات.

فالعلماء كانوا قد اشتدوا في معارضتهم، ولكن الإنكليز وأعوانهم كانوا يرون ان الانتخابات هي نقطة الارتكاز التي ينبغي ان تستند إليها الدولة الجديدة. وأنهم إذا ما تخلوا عنها فلربما يؤدي بهم ذلك إلى ان يتخلوا عن الدولة برمّتها.

١- موسوعة العراق السياسية/ المجلد الثاني/ عبد الرزاق محمد اسود ص ٥٢٥

وكانت هناك آراء متضاربة بين الوزراء وبين الإنكليز وفي ذات الملك نفسه، تتردد هذه الآراء بين الشدة واللين وبين تأخير المباشرة بالانتخابات وتقديمها.

وأخيراً أصدر الملك فيصل إرادته الملكية بالشروع بالانتخابات ابتداءً من غرة ربيع الأول سنة ١٣٤١هـ، ٢٤ تشرين الأول سنة ١٩٢٢م[١].

ولكن وزير الداخلية عبد المحسن السعدون وان كان معروفاً باهتمامه بإجراء الانتخابات وموالاته للإنكليز، كان يخشى من العلماء، وما سوف يتولد من المعارضة والمقاطعة، فأصدر بياناً إلى متصرفي الالوية فيه تعليمات حول الانتخابات التي ستجري يوم ١٩٢٢/١١/٢٠ ويطلب منهم ان يكونوا حذرين من المعارضة، إذ يقول:

((..... وان لا يفسحوا مجالاً لما يشوش الأذهان من الأباطيل...))

ثم يعود فيصدر بياناً آخر بعد ثلاثة أيام، فيقول:

((وهنا اكرر هذا القول والتمس من أفراد شعبنا النجيب أن لا يحفلوا بالتمويهات والأباطيل، التي ربما يتجاسر عليها بعض من لاتهمهم مصلحة الشعب الحقيقية....))

١- المصدر السابق ص ٥٢٥

ولكن روح المقاطعة لهذه الانتخابات سرت في الشعب، وأصدر علماء الدين في (النجف، وكربلاء، والكاظمية) فتاوى شرعية بتحريم الاشتراك فيها[1].

وقد كانت الاستفتاءات توجه إلى العلماء بهذا الخصوص، فقد وجَّه احد الأشخاص استفتاءً للعلماء بذلك في ١٩٢٢/١١/٥ أي قبل إجراء الانتخابات بـ ١٥ يوماً، وكان العلماء يجيبون عليها كما يلي:-

((بسم الله الرحمن الرحيم – نعم قد صدر منا تحريم الانتخابات في الوقت الحاضر. لما هو غير خفي على كل بادٍ وحاضر فمن دخل فيه أو ساعد عليه فهو كمن حارب الله ورسوله وأولياءه صلوات الله عليهم أجمعين)).

الأحقر

أبو الحسن الموسوي الاصفهاني

((بسم الله الرحمن الرحيم – نعم حكمنا بحرمة الانتخابات وحرمة الدخول فيها على كافة الأمة العراقية، وان من دخل في هذا

١- المصدر السابق ص ٥٢٧

الأمر أو ساعد عليه أدنى مساعدة فقد حادَّ الله ورسوله والأئمة الطاهرين، صلوات الله عليهم أجمعين. أعاذ الله الجميع من ذلك))

الأحقر

محمد حسين الغروي النائيني[1]

***

وكان لصدور تلك الفتاوى تأثير على المستويين الرسمي والشعبي.

فقد استقالت الهيئات الانتخابية في معظم المناطق الشعبية، ثم عمَّت سائر أنحاء المملكة، حتى ان مطارنة المسيحيين دعوا إلى مقاطعة الانتخابات تمسكاً بالجامعة الوطنية، وحفاظاً للمصالح المشتركة، وتأييداً للحقيقة الواضحة والحق الصريح، استبقاءً للتآلف القديم، والتوادد المستقيم.

١- محمد مهدي كبة (مذكراتي في صميم الأحداث) ص ٢٧، والمعاهدات العراقية البريطانية وأثرها في السياسة الداخلية/ للدكتور فاروق صالح العمر. نقلاً عن ملفات البلاط الملكي، ملف ١/٤/٢ وثيقة ٥ من نفس الملف ص ٨٣

ولم تقتصر المقاطعة على أبناء الشيعة وحدها، بل تجاوزتها إلى المناطق الأخرى ، ووقف حزب النقيب – وهو المسمى بالحزب الحر – موقف المعارض للحكومة أثناء الانتخابات[1].

ثم تطورت المعارضة، وبلغت حداً زلزلت فيه موقع فيصل من الملوكية، عندما اخذ الشيخ مهدي الخالصي يجاهر بذم الملك ويشجب موقفه من المعاهدة، ويصفه ناكثاً بوعده الذي وعد به في بداية قدومه إلى العراق[2].

وذكر محمد مهدي كبه في مذكراته ان الخالصي أعلن في جمع حاشد في مدرسته، قائلاً ((بايعنا فيصل ليكون ملكاً على العراق بشروطٍ، وقد اخلَّ بتلك الشروط، فلم تعد له في أعناقنا وأعناق الشعب العراقي اية بيعة)).

فكان لهذا التصريح من الخالصي دوي في الأوساط المختلفة، وبلغ مسامع الملك فاستاء منه اشد الاستياء، واضمر له الحقد[3].

ولما حاول وزير الداخلية (عبد المحسن السعدون) حمل الناس على الانتخاب بالشدة لم يقره زملاؤه،ولا وافق على خطته رئيس الوزراء (النقيب) فاضطر إلى التخلي عن منصبه في ٦ تشرين الثاني ١٩٢٢. عندما أحسَّ أن الحكومة أصبحت ضعيفة جداً أمام المعارضة،

١- موسوعة العراق السياسية ص ٥٢٧ المجلد الثاني.
٢- لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ٦/٢٠٤
٣- مذكراتي في صميم الاحداث / محمد مهدي كبه ص ٢٦

ولأنه كان يود من صميم قلبه تذليل جميع الصعوبات القائمة في وجه الانتخابات، والضرب على أيدي القائلين بمقاطعتها[1].

ضاق النقيب ذرعاً بهذه المعارضة الشديدة التي يتزعمها المجتهدون، وكانت بعض منشورات المعارضة تهاجم النقيب شخصياً، وتصفه بأنه مرتدٌ عن الإسلام.

كما كان الملك غير مرتاح من النقيب ويريد تبديله برجل من أعوانه، وهو (جعفر العسكري). ولكن الإنكليز كانوا يريدون عبد المحسن السعدون، وهو الذي تمَّ. إذ عهد إليه الملك بتأليف الوزارة، وقد كان الاختيار صادراً من تحمس السعدون لإجراء الانتخابات بأي صورة، وهو ما يريده الإنكليز والملك.

ولما شكل السعدون وزارته الأولى في ١٩٢٢/١٢/١٨ أصدر بياناً لوزارته في ١٢/٢٤. وكانت المادة (٥) تنص على ما يأتي:

(صيانة الحرية التامة. ومنع المداخلات غير القانونية في الانتخابات الجارية للمجلس التأسيسي الذي له القول والفصل في تصديق المعاهدة وذيولها، وتصديق دستور المملكة العراقية، وقانون انتخاب المجلس التشريعي)

ولكن الانتخابات فشلت مرة أخرى في موعدها الذي كان مقرراً في كانون الثاني ١٩٢٣.[2]

١- موسوعة العراق السياسية ص٥٢٨

٢- المصدر السابق ص ٥٢٩

وفي ٣٠ آذار ١٩٢٣ تقدم احد المؤمنين باستفتاء موجه إلى المجتهدين حول الانتخاب، فأجابوه بالحرمة، كالمعتاد.

وفي ٣١ آذار ١٩٢٣ عاد كوكس إلى بغداد – وكان قد سافر إلى خارج العراق – وهو يحمل ملحقاً للمعاهدة يتضمن موافقة الحكومة البريطانية على تخفيض مدة المعاهدة من عشرين سنة إلى أربع سنوات، واستبشر الملك بذلك[1].

وكان الإنكليز، والملك معهم تصوروا ان ذلك سوف يقضي على توجهات المجتهدين في حرمة الانتخابات.

وفي أوائل حزيران / ١٩٢٣ صدرت فتاوى جديدة أكَّد فيها رجال الدين ما سبق وأعلنوه، وان الأمر لازال نافذاً، وحرمت على المسلمين من جديد المشاركة في انتخابات المجلس التأسيسي، وكان تحرك رجال الدين سريعاً وواضحاً[2]، مما جعل الحكومة تلجأ إلى سياسة تفتيت وحدة المعارضة، ومن ثم توجيه ضربة مباشرة لعلماء الدين.

وفي ٩ حزيران/ ١٩٢٣ صمَّم السعدون على تنفيذ رأيه وتسفير العلماء، وأصدر تعديلاً لقانون العقوبات في نفي الأجانب.

وفي ١٧ حزيران عقد مجلس الوزراء جلسة اقروا فيها ذلك[3].

***

١- لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث جزء ٦ علي الوردي ص ٢١٥

٢- عبد المحسن السعدون ودوره في تاريخ العراق السياسي المعاصر/ لطفي جعفر فرج ص٨٦

٣- لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث جزء ٦ / علي الوردي ص ٢١٨

الملك فيصل الأول يتجوّل في محافظات الجنوب ليثني العشائر عن متابعة العلماء

ولتحقيق هذا الغرض، سافر الملك فيصل في ١٨ حزيران١٩٢٣ في جولة للمناطق الجنوبية ، وخطب في البصرة ، والناصرية، والديوانية ، والحلة ، مؤكداً أهمية انعقاد المجلس التأسيسي[١].

استطاع الملك فيصل خلال جولته من إقناع عدد من رؤساء العشائر بتغيير موقفهم المعارض ، والتعهد بالمشاركة في الانتخابات، مقابل تعهد الملك لهم بمنحهم إمتيازاً كتلك التي منحت للموالين للحكومة، وان تعفو سلطات الانتداب عن دورهم السابق[٢].

لقد مثل موقف هؤلاء الرؤساء تراجعاً كبيراً عن حياتهم السابقة وأضعف كثيراً من قوة المعارضة التي كانت العشائر تمثل بالنسبة لها السند الميداني والقوة الحقيقية ، وكانت الحكومة ، كما كان الإنكليز يخافون منها فيحجمون عن تنفيذ الكثير من خطواتهم ضد علماء الدين والشعب العراقي، أما بعد ان انسحبت بعض العشائر وخرجت من دائرة

١- عبد المحسن السعدون ودوره في تاريخ العراق السياسي المعاصر/ لطفي جعفر فرج ص٨٧
٢- عبد الحليم الرهيمي (تاريخ الحركة الإسلامية في العراق) ص ٢٦٩

المعارضة، فان قوة علماء الدين قد ضعفت نتيجة لذلك. ولكنهم استمروا على مواقفهم[1].

ويعتبر تحول رؤساء العشائر بالذات عن صف العلماء إلى صف الدولة وارتباطهم بها ومغرياتها انعطافاً كبيراً في قدرة العلماء وهيمنتهم على الأمة.

فالعشائر تلك كانت يد العلماء الضاربة ، وهم إنما تحققت لهم تلك الهيبة من خلال المعارك البطولية التي قامت بها العشائر استجابة للعلماء عام ١٩١٤ و ١٩٢٠.

وسوف نرى في المستقبل كيف اثر ذلك على مواقف العلماء .

***

قبل سفر الملك بيوم واحد، أي ١٧ حزيران / ١٩٢٣ ، قرر مجلس الوزراء البدء بالانتخابات بعد عودة الملك من جولته ، وهذا ما يشير إلى ان المخطط كان قد وضع بشكل نهائي ومدروس لإنجاح الانتخابات، حيث يقوم الملك بإقناع رؤساء العشائر بالمشاركة ، وبذلك يبقى علماء الدين بعيدين عن الدعم الكامل من العشائر العراقية. وبعد ان يحدث التفتيت في موقف المعارضة، يمكن توجيه الضربة المباشرة لعلماء الدين[2].

١- لطفي جعفر فرح , عبد المحسن السعدون ودوره في تاريخ العراق السياسي المعاصر ص ٨٧

٢- تاريخ العراق السياسي المعاصر , الجزء الثاني للمؤلف ص ٢٩٤

وعلى ضوء تلك المنهجية عقد مجلس الوزراء جلسة، وقرر فيها حسب مادته الثالثة.

((تأديب المقاومة غير المشروعة بصورة قانونية وشديدة، وذلك بإخراج الأجانب منهم، وتوديع (بمعنى إيداع) المجرمين الوطنيين إلى المحاكم))[١].

فلقد تصاعدت وتيرة الإجراءات التي تتبعها الدولة ضد العلماء من اجل إنجاح الانتخابات والسيطرة على الموقف بعد ما نجح الملك فيصل في التأثير على العشائر، وأخذت الحوادث تتخذ منحىً جديداً.

فالعلماء كانوا لا يزالون يؤكدون على فتواهم السابقة في حرمة الدخول بالانتخابات، وكان المتأثرون بهم ينشرون فتاواهم تلك بين الأمة، ويلصقونها على أبواب المساجد.

وفي ٢٥ حزيران ١٩٢٣ أصدرت الحكومة بياناً تذم فيه مواقف المجتهدين الذين يعرقلون الانتخاب وتصفهم بأنهم دخلاء لاتهمهم مصالح الشعب[٢].

أما الدولة فقد بدأت تستعمل العنف، وتقبض على الذين يقومون بذلك، وحصلت اصطدامات بين الناس والشرطة في الكاظمية ، نتيجة لموقف الشيخ مهدي الخالصي المتعنت في الانتخابات.

١- عبد المحسن السعدون ص ٩٠
٢- لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث/ على الوردي ج٦ ص ٢٢٣

وكان الملك فيصل ، وعبد المحسن السعدون على اتصال مباشر بشأن آخر تطورات المعارضة، وخصوصاً فيما يتعلق بالشيخ الخالصي الذي يبدو أنهما كانا متفقين على إبعاده عن العراق.

ولكن الملك كان متردداً بعض الشيء، فسافر إلى البصرة ليظهر نفسه بأنه لم يكن مشتركاً في عملية التسفير.

***

عبد المحسن السعدون
يقرر إبعاد الشيخ مهدي الخالصي عن العراق

فأرسل السعدون إلى الملك في البصرة برقية جاء فيها:-

((الشيخ مهدي يحرك الناس جهراً على القيام في بغداد والكاظمية. وعلى كل حال لا يمكن على الحكومة أن تصبر على أفعاله، فأرى من الضروري إبعاده عاجلاً، هو وأولاده ، والقطيفي ، والشيخ علي، حفيد الخالصي.

المعتمد السامي يوافق على إبعاده بشرط ان لا يكون ذلك إلى إيران، فإذا توافقون يرسلوا إلى البصرة ومنها إلى جدّه بحراً))

فأجابه الملك بالبرقية التالية:-

((إذا كان العمل ضرورياً تجاه الشيخ مهدي، فأرغب ان يكون بكل احترام ، وبصورة لا تخلّ بكرامته الشخصية ، وان لا تعجز عائلته ولا تخوَّف)).

ثم أعقب الملك هذه البرقية بأخرى:

((لكم الصلاحية المطلقة فيما ترونه مناسباً في الكاظمية وبغداد لحفظ الأمن وشرف الحكومة ، ويجب اتخاذ خطة حازمة، بعد الكاظمية اخبروا مجتهدي النجف بواسطة المتصرف بكل ما جرى مع الخالصي وأتباعه ، وطمّنوهم بان يداوموا محافظين على السكينة ، وقائمين

بواجباتهم الدينية، مع إبلاغهم أسف الحكومة على اضطرارها إلى اتخاذ هذه الإجراءات رغماً عن الوسائل السلمية التي اتبعتها حتى الآن، أعلنوا ذلك في الصحف بصورة مناسبة)).

فتم القبض على الشيخ مهدي الخالصي في داره في الكاظمية، ليلة ٢٥ - ٢٦ حزيران ١٩٢٣ وعلى ولديه الشيخ علي والشيخ حسن ومعهم الشيخ سلمان القطيفي، والشيخ علي نقي حفيد الخالصي، ونقلوا إلى البصرة بقطار خاص ومن هناك أرسلوا بزورق إلى عمان والحجاز، وبعد ذلك هاجر الشيخ الخالصي إلى إيران.

***

حدثت بعض المظاهرات المعادية للحكومة في الكاظمية وبغداد احتجاجاً على نفي الشيخ الخالصي ، وتجمهر الناس وامتنعوا عن فتح دكاكينهم ، ولكن الشرطة قابلت كل ذلك بشدة وتهديد ، بحيث أسرع الناس إلى فتح دكاكينهم.

وعادت الأمور هادئة وكأن شيئاً لم يحدث.

وقد حاول فريق من رجال الدين في الكاظمية، ان يقوموا بحركة يعلنون بها تضامنهم مع الخالصي واحتجاجهم على نفيه، فاجتمعوا في دار احدهم وأرسلوا إلى رجال الدين الآخرين يطلبون منهم الإنضمام

إلى حركتهم ، فاعتذر هؤلاء ولم يؤيدوهم ، وانفضّ الاجتماع بدون نتيجة.

أما في النجف، فلم يكد يصل الخبر إليهم في صباح ٢٧ حزيران ١٩٢٣ حتى عم الاضطراب ، وأغلقت الدكاكين أبوابها.

وأدرك العلماء ان الحكومة سوف تقوم بتسفيرهم أيضاً، فصمموا على الهجرة من تلقاء أنفسهم ، وكأنهم متضامنون مع الخالصي.

وفي عصر ذلك اليوم غادر عدد من مجتهدي النجف ، وكان في مقدمتهم السيد أبو الحسن الاصفهاني ، والميرزا حسين النائيني إلى مسجد السهلة في الكوفة للمبيت هناك ومواصلة السفر إلى كربلاء في اليوم الثاني ، ومن هناك ركبوا الزوارق البخارية متوجهين إلى طويريج ثم ركبوا السيارات إلى كربلاء.

***

الحكومة العراقية تسفّر علماء النجف إلى إيران

وفي ١ تموز ١٩٢٣ تولى صالح حمام[١] مدير شرطة كـــربلاء تسفير المجتهدين الذين يحملون الجنسية الإيرانية وكانوا تسعة ، أبرزهم السيد أبو الحسن الاصفهاني والميرزا حسين النائيني ، وكان يــصحبهم ٢٥ رجلاً من أتباعهم ، وقد اركبوا جميعاً في سيارات تحـــت حراســـة قوية من الشرطة.

وفي صباح ٢ تموز ١٩٢٣ سار بهم قطار خاص إلى خانقين ثم نقلوا إلى ما وراء الحدود.

لقد كانت الحكومة العراقية حريصة على ان تعلن ان العلماء إنما سافروا إلى إيران بمحض إرادتهم ورغبتهم ، وان الحكومة عاملتهم بكل لطف واحترام.

ونشرت جريدة (العراق الحكومية) بتاريخ ٣ تموز خبراً بعنوان (سفر بعض علماء الدين إلى إيران) هذا نصه :-

---

١- كانت معاملة (صالح حمام) للعلماء معاملة مهينة جداً، ففي دائرة الشرطة كان ينادي على واحدٍ واحدٍ منهم باسمه ليحضر إلى غرفته (أبو الحـــسن الاصـــفهاني، حسين النائيني، وهكذا...) كما لو يتعامل مع قطاع طرق.

ولذلك فان أطفال النجف كانوا يلهجون بشعر شعبي في هجاء صالح حمام إلى منتصف الأربعينات، استنكاراً لطريقته في التعامل مع العلماء، وما تعرضوا له من إهانة على يديه.

((لقد شاع في العاصمة ان بعض العلماء المجتهدين في النجف الأشرف قد عقدوا النية على مغادرة البلاد العراقية، وقد استقصينا الأمر من مديرية المطبوعات فأخبرتنا بصورة رسمية أن البعض من حضرات العلماء الإيرانيين – على اثر نشر بلاغ الحكومة بشأن تدخل الأجانب بشؤون البلاد السياسية قد اظهروا رغبتهم في الرجوع إلى وطنهم إيران، وقد قابلهم سعادة متصرف كربلاء باسم الحكومة العراقية وافهمهم ان الحكومة لا تضمر عليهم أي سوء، وأنهم لا يزالون موضع الحفاوة والاحترام ما داموا مواظبين على الخدمة الدينية بإرشاد الناس إلى أمور دينهم، فاظهر العلماء شديد رغبتهم في الرجوع إلى أوطانهم.

ولذلك قامت الحكومة بكل التسهيلات المقتضية لتوفير استراحتهم في سفرهم...))[١].

***

إلى هنا تنطوي مرحلة مهمة جداً من نضال العلماء وجهادهم واستمرت قرابة عشرة أعوام ابتداء من ١٩١٤ – ١٩٢٣.

١- لمحات اجتماعية / الوردي ٦/ ٢٣٠ نقلا عن جريدة العراق بتاريخ ٣ تموز ١٩٢٣

وتحرك أولئك العلماء لم يكن في يوم من الأيام تحركاً قومياً، بل ولا مذهبياً، وإنما كان منطلقاً من الروح الإسلامية الأصيلة، حيث لا يوجد أي تمييز بين فارسي وعربي وبين شيعي وسني، فالكل ينضوون تحت الإسلام، ويجب عليهم الاهتمام بأمر المسلمين، والدفاع عنهم، وجهاد الكافرين المحتلين لأرض المسلمين.

وإذا أردنا الواقع فان علماء الشيعة هم الذين صنعوا استقلال العراق وأشادوا كيانه، ولولاهم لكان العراق محكوماً كالهند وغيرها من البلدان المستعمرة.

والعلماء أولئك عندما وجدوا ان بلاد المسلمين أصبحت في خطر الاحتلال الأجنبي هبُّوا من منطلق التكليف الشرعي ورعاية الأمة، ولم يكن في حسبانهم إنهم فرس، والأرض عربية،وهي نظرة إسلامية أصيلة عاشها المسلمون منذ عهد الرسول– صلى الله عليه وآله وسلم – والى ان تحرك أولئك العلماء في العراق عام ١٩١٤ وما بعدها.

ولا شك ان عملهم ذلك سبّب للإنكليز متاعب كثيرة ودقَّ اسفين الكرْهِ بين الشعب العراقي برمته وبين الإنكليز.

فكان لابد ان ينتقم الإنكليز لكرامتهم التي أهينت على أيدي علماء الشيعة، فابتدعوا فكرة التسفير على أساس إنهم ينتمون إلى بلد غير بلدهم، ولأنهم يتدخلون فيما لا يعنيهم من شؤونهم الخاصة التي هي

فقط إرشاد الناس إلى أمور دينهم، وليس من ذلك السياسة، قياساً على ما هو موجود في أوربا عندما جعلوا لقساوستهم شؤون الكنيسة فقط.

ثم أصبحت هذه الفكرة، فكرة (الأجنبي وغير الأجنبي) قانوناً سارياً في البلاد الإسلامية برمتها، ولم يكن الإنكليز ولا غيرهم من الدول الاستعمارية، يريدون في ذلك صلاح الأمة الإسلامية.

ولو أردنا الواقع لوجدنا ان الأجنبي الحقيقي،الذي يتدخل بالشؤون السياسية لبلد آخر، هم الإنكليز أنفسهم الذين دخلوا البلاد عنوة، وهم أجانب عن البلاد في كل شيء. فليست هناك أرض وحدود، وليست هنالك لغة موحدة ، أو دين واحد ، أو عادات وتقاليد وثقافة متقاربة ، ولكنها السياسة الاستعمارية التي تزرع الخلاف والشقاق أينما تكون.

والأنكى من ذلك ، هم أولئك الذين تأثروا بالإنكليز وأصبحوا يضربون على نفس الطبل، وعلى تلك النغمة، وتناسوا الأعمال العظيمة التي قام بها العلماء من اجل العراق ومن اجل سكان العراق ، لا من اجل أي شيء آخر. من أجل العراق ليكون دولة مسلمة مستقلة يحكمها القانون.

وإذا أردنا ان نضع الموازين القسط ، لوجب على العراقيين جميعاً ان يخلّدوا أولئك العلماء، ويصنعوا لهم التماثيل، العلماء الذين كانوا يدافعون عن العراق وعن أهل العراق، وليس لهم في ذلك أية مصلحة ذاتية، وإنما هي مصلحة الأمة الإسلامية والإخوة الإسلامية.

ولننظر الآن إلى (سلمان الشيخ داود) الذي كان صدى لأولئك الأجانب من المستعمرين الإنكليز في موضوع نشره بعنوان (الجبن الأدبي)، حيث قال:

((مع ان هؤلاء المتذبذبون قد عاشوا متظللين بسماء العراق العربي، واستنشقوا هواء هذه البلاد، فإنهم لم يفتأوا عن محاربتها والإيقاع بها تحت ستار مزركش يأخذ لمعانه بأبصار السذج من أبناء البلاد، ألا وهو ستار الديانة والوحدة الدينية وغيرها، التي لا يمكن تحقيقها، نظراً إلى انتشار مبدأ القومية، وأنا على يقين من أنهم لم يقصدوا سوى الفتّ في ساعد الحركة العربية المباركة، فهم بذلك يخونون البلاد التي يتنعمون تحت ظلها الوارف بقصد خدمة شعب أجنبي كان من اكبر عوامل القضاء على دولة العرب، وإبادة مدنيتهم الزاهرة، ومع ما انطوى عليه هؤلاء الأفراد من روح العداء للبلاد، فإنهم يظهرون – إذا جوبهوا – كل جبن وخضوع))[1].

وفي مقالة أخرى بعنوان ((العقلية البسيطة)) هاجم سلمان الشيخ داود المجتهدين،حيث وصفهم بأنهم ((يعملون في السياسة دون ان يكون لديهم أي إلمام بالعلوم العصرية التي هي ضرورية لكل من يعمل في السياسة، فهم لا يعرفون تاريخ الشعوب ونفسيتها، بل لا يعرفون حتى

١- جريدة العراق في عددها الصادر ٥ تموز ١٩٢٣

حدود بلادهم، ولا يعرفون من تاريخ قومهم إلا صفحة مليئة بالخزعبلات والخرافات...))[1].

***

قلنا قبل قليل ان الملك فيصل كان قد سافر إلى البصرة ليبتعد عن المسؤولية في تسفير الشيخ الخالصي، ولما تيقن ان نفي الشيخ قد تمَّ بدون صخب وضجيج، رجع من البصرة، ليبدأ جولة في الفرات الأوسط تمهّد لتسفير علماء النجف.

وإذا كان حديث عبد المحسن السعدون ، ومن يحيط به ، يدور حول كون العلماء إيرانيين أجانب عن البلاد ويتدخلون في السياسة بحجة انها ليست من شأنهم ، فان الملك سلك طريقةً أخرى ، طريقة إثارة النخوة والشهامة في العشائر في ضرورة إجراء الانتخابات، التي هي أمل البلاد الحديثة، وما إلى ذلك.

والملك يعرف تماماً من أين تؤكل الكتف، فالعشائر – كما قلنا – يد العلماء الضاربة ، فإذا كان قد استمالهم إلى جانبه أو وضعهم على الحياد , فذلك للملك فوز عظيم.

ومن المناسب ان نقرأ هذه الصفحة لنرى تلك العشائر التي سرعان ما انحرفت عن العلماء واتجهت إلى الملك ومغريات الدولة،

٢- جريدة العراق في عددها الصادر في ١٠ تموز ١٩٢٣

وإن كنا لا نستبعد ان تكون حادثة نفي الشيخ الخالصي التي لم يرافقها أي رد فعل مناسب ، هي التي شجعت العشائر على ان يحددوا موقفهم بسرعة ، ولربما طرق سمعهم ان الحكومة تسلك نفس السلوك مع علماء النجف، فرتبوا وضعهم مع الدولة بسرعة.

فلنقرأ هذا الخبر:

وفي ٢٨ حزيران ١٩٢٣ جرى للملك في الديوانية احتفال عظيم حضره الكثير من رؤساء عشائر الفرات الأوسط , وقد أطنبت جرائد بغداد في وصف ذلك الاحتفال ووصف الحاضرين فيه بأنهم أبطال ثورة العشرين.

وفيما يلي نص ما نشرته جريدة (العراق) في هذا الصدد نقلاً عن مندوبها في الديوانية.

((اجتمع شيوخ الشامية ورؤساؤها وزعماء قبائلها.... في سرادق كبير عصراً بجلالة الملك ، وأقسموا لجلالته بالأيمان المغلظة، انهم متفانون في إتباع سياسة جلالته وامتثال أوامره، وهم متأهبون لقتل كل فكرة أو دسيسة تمس مصالح البلاد الرئيسية ، والقومية العربية، وسحق كل مروّج لذلك. وهم لا يصبرون على تأخير الانتخابات يوماً واحداً. ومما قاله الزعيم الشيخ شعلان أبو الجون: إننا يد جلالتك القوية في تحقيق استقلال الأمة المطلق بالطرق التي ترجحونها، وطوع إرادتك اليوم وغداً، كما بالأمس.

فأجابهم جلالته بان الحكم اليوم للأمة ، وما أنا إلا كبير خدّامها، العامل على تحقيق أمانيها الحرة ، إني سررت كثيراً بشعوركم الوطني في ضرورة قبض الأمة على مقاليد أمورها ، وان هـذه الـبلاد التـي حررت نفسها ، والتي لو عصرنا ترابها لقطر دم الأجداد منه ، لا يمكن ان تستسلم لدعوة أجنبية ، أو تعرض كيانها للخطر. الأمة بحاجة إلـى دستور يصنعه ممثلوها طبق إرادتها وتقاليدها وشرائعها.

فاشتدت الحماسة وأمَّن الجميع على كلمات جلالته ، وزادوا بأن قبائلنا بأسرها سيفك القاطع في تأييد سياستك الرشيدة ، هذا عهدنا أمـام الله والعالم))[١].

هكذا انقلبت الأمور ، فالعشائر التي كانت يد العلماء الـضاربة أصبحت – كما يقولون هم – يد الملك الضاربة ، ويلمّحون إلـى إنهـم يؤيدون الملك في عمليات التسفير ، وأصبح من اليسير أن يسفر علماء النجف، عندما استطاع الملك أن يستولي على العشائر.

ولن يضير الملك ولا دولته أية مظاهرة أو غلق للدكاكين الـذي قد يستتبع تسفير العلماء،وإذا ما تمَّ التسفير فان الملك وحكومته والإنكليز سوف يتصرفون بالبلاد كما يحلو لهم ولن يعيقهم أي عائق ولن يقـف أمامهم أيُّ معارض، وان كانت أهداف الملك تختلف عن أهداف الإنكليز في عملية التسفير وخلو الساحة من المعارضين.

***

١– جريدة العراق في عددها الصادر في ٣٠ حزيران ١٩٢٣

لقد تمّ تسفير العلماء كما شاء الإنكليز وكما نفذ فيصل الأول وعبد المحسن السعدون .

أولئك العلماء الذين صنعوا العراق واستقلاله , ووقفوا سدّاً منيعاً أمام تدخل المستعمر في الشؤون الداخلية للعراق , كما وقفوا أمام معاهدة ١٩٢٢ , ولولاهم كان العراق محكوماً حكماً مباشراً من قبل بريطانيا , ولطالت معاناة الشعب العراقي , كالهند وغيرها من المستعمرات .

***

أما بعد أن تم تسفير العلماء من العراق ، فانه يجدر بنا أن نتحدث عما يلي :-

١- مصير الانتخابات .

٢- مصير العلماء المسفرين إلى إيران .

مصير الانتخابات

بعد تسفير العلماء بالطريقة التي ذكرناها ، رأت وزارة السعدون أنها لابد ان تشرع بالانتخابات ، بل ان الملك هو الذي أعرب لرئيس وزرائه عن رغبته في ان يعقد مجلس الوزراء جلسة خاصة برئاسة (الملك) للمُداولة في موضوع الانتخابات. فاجتمع المجلس يوم ٣ تموز ١٩٢٣ وقرر تحديد اللجان الانتخابية في الألوية كافة، وإصدار الأوامر إلى المتصرفين بوجوب الإسراع بتهيئة وسائل الانتخاب.

وفي ٧ تموز قرر مجلس الوزراء الشروع بالانتخابات ابتداء من ١٢ تموز ١٩٢٣ وخافت السلطات البريطانية من احتمال فوز المعارضة بأغلبية في الانتخابات، وبالتالي مجيء مجلس لا يصادق على المعاهدة، وهذا يفسِّر ما جاء في رسالة المندوب السامي إلى الملك((... ان الحكومة ملزمة بأن توضح للناخبين انها تأمل ان يفوز الذين يحبذون تصديق المعاهدة))[1]

أجرت الحكومة في ١٢ / تموز / ١٩٢٣ الانتخابات وأنجزت مرحلة انتخاب المنتخبين الثانويين، وكان معظم رؤساء القبائل قد انصاعوا إلى رغبة الملك وتهديده.

١- موسوعة العراق السياسية / المجلد الثاني ص ٥٣١

وبعد ما تمت الانتخابات، استقالت الوزارة السعدونية الأولى، في ١٩٢٣/١٢/١٥ وتألفت الوزارة العسكرية (جعفر العسكري) الأولى في ١٢/٢٢، وكانت المادة الثانية من منهاج الوزارة تنص على ((إكمال الانتخابات للمجلس التأسيسي بالحرية الكاملة وجمع المجلس بأسرع ما يمكن، وعرض مشروع القانون الأساسي عليه، والمعاهدة العراقية – البريطانية لإبرامها ولائحة قانون انتخاب النوّاب)) .

وشددت المعارضة من موقفها، سواء منها المقاطعة للانتخابات، أو الطاعنة في نزاهتها، من حملتها ضد السياسة البريطانية في العراق.

وفي ٢٤ / شباط / ١٩٢٤ ألصقت المعارضة إعلانات سياسية ضد الانتخابات وضد (الملك).

وفي (كربلاء) انعكست المعارضة على الهيئة التفتيشية، اذ لم يحضر (٢٠) عضواً منها من أصل (٢٥) من أعضاء الهيئة الاجتماع.

وسارت عملية انتخاب أعضاء المجلس التأسيسي بالسرعة التي كانت الوزارة تنشدها.

وفي ٢٢ / آذار / ١٩٢٤ صدرت الإرادة الملكية المرقمة (٢٤٣) التالية:–

نحن ملك العراق :

بناء على ما عرضه رئيس الوزراء وقرره مجلس الوزراء أمرنا بما هو آت :

يفتتح المجلس التأسيسي يوم الخميس في ٢١ / شعبان / ١٣٤٣ وفي ٢٧ / آذار / ١٩٢٤ وعلى الوزارة تنفيذ هذا القانون.

كتب ببغداد في ٢٢/ آذار / ١٩٢٤ اليوم السادس عشر من شهر شعبان سنة ١٣٤٣.

وجرت حفلة الافتتاح في ٢٧ / آذار / ١٩٢٤ بمهرجان عظيم، وانتهزت الحكومة هذه الفرصة فعطلت الدواوين، واستصدرت إرادة ملكية بإعفاء المسجونين عن قسم من مدد محكومياتهم السابقة، وسرحت المعتقلين والموقوفين، وأمرت بإقامة معالم الزينة في العاصمة والألوية والأقضية، ليلاً ونهاراً.[١]

ونظر المجلس التأسيسي في المهام المطروحة عليه. فنظر في أمر المعاهدة العراقية – البريطانية، وبتَّ فيها، وفرغ من تصديق القانون الأساسي.[٢]

***

وهكذا تمَّت الانتخابات وتـمَّ تـصديق المعاهـدة، كمـا أرادت الحكومة وكما رغبت بريطانيا. وإذا كانت قد وجـدت معارضـة مـن العلماء سابقاً ومن يتأثر بهم، فقد خلا الجو منهم.

١- المصدر السابق ص ٥٣٥

٢- دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث/ النفيسي/ ص ١٩٩

والشيء الذي كانت تريده الحكومة حققته الآن، وأصبح في العراق مجلس تأسيسي وقانون أساسي ، وتنفس الإنكليز الصعداء وتخلصوا من أكبر عدو لهم في العراق ، وهم علماء الشيعة الذين كانت لهم هيمنة على الشعب العراقي بأسره ، بصورة عامة ، وعلى الشيعة بصورة خاصة.

وما كان الإنكليز في يوم من الأيام يتعاطفون مع الشيعة ومطاليبهم ، لأنهم سببوا لهم مشاكل وكوارث كثيرة منذ يوم وطأت أقدامهم أرض العراق.

و(المس بيل) هي خير من يمثل رأي الإنكليز في شيعة العراق ، وقد مر بنا – قبل عدة صفحات – تصريحها الخاص بالشيعة.

وبناءً على ذلك فقد اختطوا للعراق سياسة ثابتة لا تتغير ولا تتبدل مهما تعاقبت الحكومات ، وهي إقصاء الشيعة من الحكم ولو كانوا هم الأكثرية.

***

مصير العلماء المسفرين إلى إيران
ثم عودتهم إلى العراق

وصل العلماء يوم ٣ تموز/ ١٩٢٣ إلى قصر شيرين (أول مدينة حدودية إيرانية) وتلقوا – وهم في هذه المدينة – برقية من ملك إيران، احمد شاه القاجاري ترحيباً بهم ، وكانت تحمل كل الودّ والمحبة والعطف للسادة العلماء، وكانت هذه البرقية تؤكد – بالخصوص – على حاكم كرمنشاه أن يراعي منتهى المحبة والاهتمام بالعلماء ويقوم بضيافتهم نيابة عن الحكومة.[١]

كما بعث لهم وزير الخارجية محمد مصدق برقية ترحيب أيضاً.

وفي الجواب قام النائيني والأصفهاني بإرسال برقيتين إلى احمد شاه والدكتور مصدق أعلنا فيهما عن شكرهم الجزيل للاهتمام والحفاوة التي قوبلوا بها ، وندرج هنا البرقيتين :

((بسم الله الرحمن الرحيم – الحضرة المباركة لصاحب الجلالة الأقدس، الشاهنشاه أدام الله سلطانه. بعد تقديم مراسم الدعاء ، نعرض أن المكتوب التلغرافي المبارك المتضمن لتفقداتكم وعناياتكم الكاملة الملكية، قد زاد من شكرنا ودعائنا وأملنا ، وسائر السادة وحجج الإسلام

١ – تاريخ بيست ساله إيران / حسين مكي ص ٣٤٦ – ٣٤٧

والمرافقين، دائماً نعتبر الدعاء لدوام ظل عطوفة ، وحماية الدين للذات المقدسة للشاهنشاه، ملاذ الدين أعز الله تعالى نصره من أهم وظائفنا، ولا نغفل عن هذه الوظيفة المهمة في أي نقطة إن شاء الله.

الداعي أبو الحسن الموسوي الأصفهاني ، الداعي محمد حسين غروي النائيني[1].

كما أبرق التلغراف التالي من العلماء، رداً على تلغراف الترحيب الذي بعثه (رضا خان) رئيس الوزراء من مدينة كرند:

((المقام المنيع لرئيس الوزراء العظام، دامت شوكته

وصل التلغراف المحترم من كرند الغر ، حفظ النواميس الإسلامية بعون الله تعالى وحسن تأييده دائماً في ذمة الدولة العلية، أدام الله تعالى شوكتها وشيد الله أركانها، ويعتبر من أهم وظائفنا دائماً. نأمل دوام التأييد وحسن الموقع لحضرة الأشرف، والحكومة المعظمة، إن شاء الله.

حسن الطباطبائي ، عبد الحسين الشيرازي ، عبد الحسين طباطبائي ، جواد صاحب الجواهر ، الأحقر مهدي خراساني ، الأحقر أبو الحسن الاصفهاني، محمد حسين[2] ، الأحقر احمد خراساني))[3].

---

١ – المصدر السابق ص ٣٤٩
٢ – المقصود بالمومى إليه ميرزا حسين النائيني
٣– المصدر السابق ص ٣٤٩

ثم بعثوا برقية إلى الدكتور مصدق، وزير الخارجية لشكره على موقفه:

((بسم الله الرحمن الرحيم – مقام السيد مصدق السلطنة المنيع، وزير الخارجية دامت شوكته، ان تلغرافكم المحترم الذي يكشف عن إحساس إسلامي وتأثر قلبي من هذا الحدث، قد زاد من امتناننا وأملنا، دائماً نرجو دوام تأييد وحسن موفقية وجودكم الشريف في حفظ النواميس الإسلامية وأداء الواجبات المقدسة ان شاء الله تعالى.

الأحقر أبو الحسن الموسوي الاصفهاني، الأحقر محمد حسين الغروي النائيني))[1]

***

ولأن أمور سفر العلماء كانت تهيأ ببطء، فقد اضطروا إلى البقاء في كرمانشاه مدة شهر كامل.

وفي تلك الفترة، وحسب تقرير القنصل الإنكليزي في كرمانشاه، قام القنصل الروسي في تلك المدينة بمقابلة بعض العلماء المسفرين كالسيد علي الشهرستاني، بينما رفض النائيني والاصفهاني ذلك.

١- المصدر السابق ص ٣٥١

وقد تنبأ القنصل الإنكليزي في تقريره بمستقبل سيّءٍ للأحداث المتعلقة بنفي العلماء إلى إيران.[١]

وكان المسؤولون الإنكليز في العراق يخشون أنهم لو أذنوا بعودة العلماء المتمردين إلى العراق، أن تحدث ثورة وطنية أخرى ضد الإنكليز.[٢]

من ناحية أخرى لم يكن وجود العلماء المنفيين في إيران ينفع الإنكليز في البلاد، حيث كانت هناك مسيرات ونشاطات مناهضة لحكومة الانتداب البريطاني في العراق، ودور الإنكليز بتبعيد العلماء.[٣]

وقد حدثت مراسلات عديدة بين المسؤولين الإنكليز في طهران وبغداد مع وزارة الخارجية الإنكليزية حول مسألة نفي العلماء.

وسافر الوزير الإنكليزي المفوض في طهران عدة مرات إلى بغداد بسبب هذا الأمر.[٤]

وقد وعدت الحكومة الإيرانية (لورن)، الوزير الإنكليزي المفوض في طهران بأنها سوف تبذل كل جهدها لإبقاء العلماء في إيران حتى انتهاء الانتخابات في العراق، بشرط أن تعلن الحكومة

١- تشيع ومشروطيت/ عبد الهادي حائري ص ١٧٦
٢- المصدر السابق ص ١٧٦
٣- المصدر السابق ص ١٧٧
٤- نفس المصدر ص ١٧٧

العراقية صراحة ان العلماء المبعدين بإمكانهم العودة إلى العراق بحرية.[1]

وعلى اثر مفاوضات الحكومة الإيرانية مع الحكومة العراقية، والمسؤولين الإنكليز بشأن تبعيد السادة العلماء، حصل اتفاق يقضي بان يرجع السادة المذكورون إلى العتبات بشرط أن لا يتدخلوا في الشؤون السياسية.[2]

وقد كان رأي المندوب السامي الإنكليزي في بغداد صريحاً (انه يجب على العلماء أن يتعهدوا أولاً بأن لا يتدخلوا في السياسة، وان يقوموا أيضاً بسحب الفتاوى التي كانوا أصدروها بحرمة المشاركة في الانتخابات)[3]

وبعد محادثات مطولة بين الملك فيصل، ورئيس الوزراء العراقي، والوزير الإنكليزي المفوض في إيران، والمندوب السامي الإنكليزي في العراق، توصلوا إلى هذا القرار:

((إن الحكومة العراقية تحترم الموقف الديني للعلماء، ومستعدة أن توافق على عودة العلماء الى العراق، ولكنها سوف تقوم بهذا العمل فقط بعد الوصول إلى الأهداف المرتبطة بسياسة العراق، يعني تشكيل

١- نفس المصدر ص ١٧٧
٢- تاريخ بيست ساله ايران / حسين مكي ص ٣٥٢
٣- تشيع ومشروطيت / عبد الهادي الحائري ص ١٧٧

المجلس التأسيسي ، وإنهاء جميع الأعمال التي يتطلبها تشكيل هذا المجلس، والتي كان العلماء يخالفونها ويعارضونها)[١]

***

١- المصدر السابق ص ١٧٨

العلماء المبعدون في قم

لعل سبب انتخاب النائيني وبقية العلماء لمدينة قم للإقامة المؤقتة، هو أنهم كانوا يريدون ان يستفيدوا من نفوذ الشيخ عبد الكريم الحائري، ومحبوبيته لصالح أهدافهم.

وكان العلماء المبعدون يتوقعون أن يعلن احمد شاه إضرابا عاماً ويقطع روابطه السياسية مع الحكومة البريطانية، احتجاجاً على الإزعاج الذي سببته تلك الحكومة لعلماء الشيعة في العراق.

ولكن احمد شاه نفسه كان يمر في ظروف غير مستقره وحرجة. ولم يكن بمقدوره أن يلبّي طلبات العلماء، وكان علاوة على هذا يهيّئ نفسه للسفر إلى أوربا، السفر الذي لم يرجع منه أبداً.

ولعل العلماء كانوا يتوقعون من الحائري الذي كانوا يظنون انه على ارتباط بقائد الجيش (سردار سپه رضا خان) أن يستفيد من نفوذه لصالحهم.

وتوجد هناك تقارير تحكي ان العلماء المبعدين لم يكونوا راغبين في البقاء في قم أبداً، وقد سَعَوْا للرجوع إلى العراق وبأسرع وقت للسببين التاليين :

١- كان العلماء المبعدون يسيئون الظن بإيران وبالخصوص السيد أبو الحسن الاصفهاني، الذي لم يكن يذكر إيران بخير أبداً.

٢-وكانوا يرون أن لهم وظيفتين (سياسية وعلمية) فإن لم يستطيعوا أن يحققوا أهدافهم السياسية , فليكثّفوا جهودهم في المضمار العلمي .

ولعل ذلك هو نفس رأي الأئمة المعصومين من بعد الحسين عليهم السلام جميعاً , الذين لم يستطيعوا أن يمسكوا بزمام الأمور ــ لأسباب كثيرة لا مجال للحديث عنها الآن ــ فإن بإمكانهم أن يعملوا على نشر فقه أهل البيت , في حاضرة العلم النجف الأشرف .

فالحكومة العراقية كانت محكومة بسياسة بعيدة عن الإسلام وكان العلماء ــ رحمهم الله ــ يحاولون أن يجعلوا البلاد محكومة بقانون إسلامي وملك مسلم , ولكنهم لم يستطيعوا فأطماع الملك والحكومة والاستعمار كلها كانت على خلاف رغبة العلماء بل على خلاف إرادة الإسلام .

وبالنتيجة لم يبق أمام العلماء إلا أن يحصروا اهتمامهم بالعلم بعد أن وقف كل أولئك حائلاً أمامهم .

وربما كانوا يخيّرون أنفسهم بين أن يبقوا في إيران كمعارضة للحكومة (حكومة فيصل التي قامت بإرادة الإنكليز) أو أن يتخلّوا عن السياسة ليبذلوا جهودهم في العلم والفقه .

ولم يكن بمقدور العلماء أن يتمسكوا بالمعارضة ويؤدوا وظيفتهم العلمية في قم , وذلك لأن مدينة قم ــ آنذاك ــ لم تكن مؤهلة إلى أن تقوم بالريادة الفقهية للعالم الإسلامي , فمدينة النجف هي الوحيدة المؤهلة لذلك .

العلماء يكتبون إلى فيصل بشأن العودة

بناء على هذا بعث العلماء اثنين من مرافقيهم ، وهما الشيخ (جواد الجواهري) من أبناء صاحب الجواهر، والشيخ الميرزا (مهدي الخراساني) ابن الآخوند الخراساني، إلى العراق، وأرسلوا معهما رسالة إلى الملك فيصل يطلبون منه أن يوفر لهم أسباب رجوعهم إلى العراق.

فأرسل فيصل رسالة بتاريخ ٢٦ رجب /١٣٤٢، مارس/١٩٢٤ ورسائل شفهية بواسطة نفس الشخصين ، والسيد باقر سركشيك إلى النائيني والاصفهاني. كما أرسل فيصل رسالة شفهية بواسطة السيد باقر سركشيك إلى (سردار سپه)[١] أعلن فيصل بصراحة في رسالة إلى العلماء ، انهم يمكنهم الرجوع إلى العراق، فيما لو أعطوا تعهداً كتبياً بعدم اشتراكهم في الأمور السياسية للعراق[٢].

فأجابه السيد أبو الحسن الاصفهاني برسالته التي يقول فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة جلالة ملك العراق ، أيّد الله ملكه وسلطانه.

بعد السلام عليكم والسؤال عن أحوالكم ورحمة الله وبركاته. نعرض ان كتابكم المؤرخ ٢٦ رجب المرسل مع حجتي الإسلام جناب

١- سردار سپه , لقب رئيس الوزراء ــ آنذاك ــ رضا خان والذي أصبح بعد ذلك شاه إيران .
٢- المصدر السابق ص ١٨٢

الشيخ جواد صاحب الجواهر، وجناب ميرزا مهدي آية الله زاده دامت بركاتهما، أخذته بكمال الاحترام، وكما ذكرتموه فيه وأودعتموه في مطاويه صار معلوم لدينا.

ولقد أفادا بما دار بينكم من الشؤون وبيان الأسباب الموجبة إلى تأخير حركتنا وطلب جلالتكم المؤازرة، وكذلك المحروس السيد باقر سركشيك قام بواجبه وبلغ خطاباته الشفاهية، هذا وان كنا قد أخذنا على عاتقنا عدم المداخلة في الأمور السياسية، والاعتزال عن كلما يطلبه العراقيون، ولسنا بمسؤولين عن ذلك، وإنما المسؤول عن مقتضيات الشعب وسياسته جلالتكم، لكن المؤازرة للملوكية الهاشمية حسبما تقتضيه الديانة الإسلامية، ذلك من مبدئنا الإسلامي، وأما ما أمرتم من توحيد الكلمة وتوطيد عرى الصداقة بين إيران والعراق، فذلك من وظائفنا الدينية، وحينما دخلنا إيران لن نزل نبذل الجهد في ذلك، وسوف تظهر نتيجة أعمالنا المبرورة. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٢١ شعبان سنة ١٣٤٢ الأحقر أبو الحسن الموسوي الاصفهاني

(المهر)[١]

١- وثائق البلاط الملكي رقم التسلسل ٣ رقم الوثيقة ٥٩ نقلاً عن كتاب لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث للوردي جزء ٦ ص ٢٦١ - ٢٦٢

وبعد أربعة أيام من هذا التاريخ، كتب الشيخ جواد الجـواهري والميرزا مهدي الخراساني رسالة إلى الملك يعلنان فيها نجاح مهمتهما، وهذا نصها:

بسم الله تعالى

حضرة جلالة ملك العراق ، أيده الله تعالى وخلد ملكه وسلطانه.

بعد السلام عليكم والسؤال عن أحوالكم ورحمـة الله وبركاتـه نعرض انا في كمال الشوق إلى تلك الشمائل الحسنية حفظها وايَّدها رب البرية.

ثم نعرض ان الأخ السيد باقر بعد الوصول إلى قم مضى إلى طهران، وقابل حضرة رئيس الوزراء دام إقباله وأفاد في البلوغ وأجاد في المحاورة وعقد المودة بين الحكومة العربية والإيرانية، وكثير اظهر رئيس الوزراء الامتنان من جلالتكم، واحترم السيد باقر من اجل نسبته إلى جلالتكم، ومن اجل لياقته، وحسن تأديبه لما أمرتموه به، ولازم يعرض لجلالتكم التفصيل. ثم سيدي نعرض إبلاغ سلام الآيتين السيد[1] والميرزا، دام ظلهما لمقامكم السامي، وتفصيل جوابهما بعد أن عرضنا لخدمتهما، ان صاحب الجلالة يقول، اكبر هدية ارغب إليها اعتراف حكومة إيران برسمية الحكومة العربية، قالا دام ظلهما: إننا قبل مجيئكما تكلمنا بهذا المطلب وكان البناء بعد انعقاد المجلس يعطى القرار بذلك، وقد أوعز إلى اغلب الوكلاء بذلك... وحيث اننا نفتخر بالحكومة

١- المقصود بهما هما السيد أبو الحسن الاصفهاني والميرزا حسين النائيني

العربية ولاسيما ملكها المؤيد من الدوحة الهاشمية، ونرى ان العراق وطننا وحكومته حكومتنا وملكها ملكنا، نأمل الزيارة في الحكومة العراقية، وبذلك ترتفع رؤوسنا، وجلالتكم سيد العارفين ثم ان مدير الأمن العام الإيراني الذي هو الآن بخدمة العلماء العظام أرسل لمقابلتكم وهو يحمل الوداد من قبل رئيس الحكومة الإيرانية لجلالتكم ويكون مع العلماء إلى النجف الأشرف، وان شاء الله تعالى نتوفق للتشرف بخدمتكم ونعرض التفاصيل والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٢٩ شعبان ١٣٤٣

الداعي مهدي الخراساني جواد نجل المرحوم صاحب الجواهر قدس سره

(الخاتم) (الخاتم)[١]

١- وثائق البلاط الملكي – رقم التسلسل ٣، رقم الوثيقة ٥٥، نقلاً عن لمحات اجتماعية للوردي ص ٢٦٢ – ٢٦٣

الملك فيصل يدعو العلماء للعودة إلى العراق

وعلى أساس القرارات التي اتخذت في بغداد، والمراسلات التي كانت تتم بين العلماء والملك فيصل، والعهود التي وقّعها العلماء، فان الوقت كان مناسباً لتحقيق رغبة النائيني والعلماء المبعدين، وذلك بعودتهم إلى العراق.

في هذا الصدد أرسل مندوب عن الملك فيصل إلى قم ليدعو العلماء للعودة إلى العراق.[1]

كما أمر سردار سپه احد كبار الضباط في الجيش الإيراني القائد (رفعت) والذي كان في الوقت نفسه مديراً للأمن العام الإيراني ليرافق العلماء إلى العراق.

وبالفعل فقد رجع العلماء إلى العراق بتاريخ ١٩٢٤/٤/٢٢ وأقيمت لهم مجالس التكريم والابتهاج .

***

وبدأوا يؤدون وظيفتهم في الدرس والتدريس والاستنباط وتخريج العلماء والمجتهدين .

١- المصدر السابق ص ١٩٠

وهي وظيفة مهمة دأب علماء الإسلام على ممارستها في النجف منذ ما يقارب ألف سنة , يوم انتقل إليها الشيخ الطوسي في منتصف القرن الخامس الهجري , بعدما تعرّض إلى ضغوط مذهبية في بغداد .

واستطاع العلماء أن يبينوا للأجيال أحكامهم الشرعية ويواصلوا نقل الأحاديث والروايات الواردة عن الرسول (ص) والأئمة عليهم السلام .

ومدرسة النجف العلمية على رغم إنها تعرضت للإهتزاز والابتزاز على مدى تأريخها , إلا انها بقيت شامخة تواصل عملها من جيل إلى جيل .

***

وإذا كان العلماء أعطوا تعهداً بعدم التدخل في الأمور السياسية , فليس معنى ذلك أنهم كانوا يرون ذلك محرّماً عليهم , وإنما الظروف التي كانوا يمرّون بها هي التي تحتمّ عليهم السكوت , ومع هذا فقد كانوا يمارسون تلك الوظيفة عندما تحتدم الأمور أو يجدون إنفراجاً فيدخلون إلى السياسة من أوسع أبوابها والحوادث على ذلك كثيرة .

***

الإنكليز وعملاؤهم يثيرون الأمة ضد العلماء

وكان الإنكليز يثيرون الأمة ضد العلماء , فالأمة بصورة عامة والعشائر بصورة خاصة , كانوا هم الجيش الإحتياطي واليد الضاربة للعلماء ــ كما قلنا ــ .

فكان المحتلون الإنكليز يحاولون بجهود حثيثة إبعاد الأمة عن العلماء .

فالعلماء كانوا يصدرون فتاواهم إلى الأمة في مقارعة الغزاة والجهاد والمقاطعة .

وحيث توقف العلماء في فترة من الفترات عن العمل السياسي فإن الإنكليز كانوا يوحون للأمة إن العلماء لم يعودوا يعارضون الدولة فما عليكم إلا أن تنسجموا مع الدولة ومشاريعها .

والأمة نفسها كانت قد تعبت في مواجهتها للإنكليز منذ عام ١٩١٤ إلى عام ١٩٢٠ وكانت خسائرها كثيرةً في المال والرجال , واحترقت مزارعهم , وربما كانوا يريدون مبرراً للإنسجام .

واستطاع الإنكليز والحكومات العميلة المتعاقبة على دست الحكم في العراق التأثير على كثير من رؤساء العشائر التي ثارت في وجههم عام ١٩١٤ وعام ١٩٢٠ .

فمال كثير من أولئك إلى صفوف الدولة وخدعوهم بمناصب زائفة في المجالس النيابية والوزارات واقطاعيات الأراضي وتحقيق الرغبات الرخيصة .

***

ونشأت من كل ذلك حالة من الركود والخضوع والإنسجام مع الوضع الراهن والتعايش معه .

وانتشرت في البداية أفكار غريبة عن البلد الإسلامي , فكانت ظاهرة الإلحاد , وكان من يتبنى ذلك يتبجّح أمام الآخرين بأنه إنسان حر , مثقف , يستطيع أن يتحدّى مشاعر الناس ومعتقداتهم .

إن ذلك أحدث حالة لدى كثير من الناس أن يتشوّقوا للإنسجام مع الحياة الحديثة التي دخلت العراق مع دخول الإنكليز .

وساعد الإنكليز على نشر الأفكار الشيوعية في العراق عند نشوب الحرب العالمية الثانية , حيث كان الاتحاد السوفيتي حليفاً لبريطانيا , وليقف الفكر الاشتراكي أمام الفكر النازي الألماني الذي انتمى إليه كثير من شباب العراق كرهاً لبريطانيا .

وحصل إنحراف في بعض القطاعات من الأمة الإسلامية في العراق .

فكان الإلحاد في البداية , وهو تحدٍّ سافر لمشاعر الأمة ومعتقداتها .

ثم الشيوعية

ومن ثم أفكار أخرى ليست لها علاقة بالإسلام .

وإذا كانت قد حدثت في النجف حالة من الانزواء السياسي (الإضطراري) لفترة من الفترات , فإن حالة أخرى من الوعي والسياسة قد حدثت أيضاً

كان من روّادها :

الشيخ محمد رضا المظفر

الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء

السيد محسن الأمين

الشيخ عبد الكريم الجزائري وأخوه الشيخ محمد جواد

الشيخ محمد جواد البلاغي

فقد تصدّى أولئك ــ رحمهم الله ــ إلى مقارعة الدولة سياسياً وأعمالها التي هي في الأساس خلاف مصلحة الشعب .

كما تصدى بعضهم لنشر الوعي العلمي وتطوير الحوزة كما فعل الشيخ المظفر .

أما السيد محسن الأمين فانصبّ جهده على تنقية الشعائر الحسينية من الشوائب التي ليست من مأساة الحسين , والتي قد تسئ إلى الإسلام وإلى الحسين بالذات .

وأما الشيخ البلاغي فقد كان مدركاً لما يحدث في الأمة ولما يراد بها , ففي تلك الفترة كانت الشبهات والأفكار الإلحادية لها سوق رائجة بالإضافة إلى التبشير المنظم للمسيحية , كما كان هناك طعن بالإسلام

والقرآن وبالرسول (ص) فتصدى لهم الشيخ ــ رحمه الله ــ في عــدد من مؤلفاته

وكان قد تعلم اللغة العبرية وأجادها إجادة تامة , وكان في تأليفه يتقمص شخصية قس اوحاخام , ويبدأ معــه بالمناقــشة وردّ الــشبهات وإثبات التزوير في التوراة (العهد القديم) والإنجيل (العهد الجديد) .

***

منشأ قوة علماء الشيعة

إن علماء الشيعة يختلفون عن علماء السنة ,إنهم معارضون للسلطات الحاكمة تاريخياً, سواء كانت تلك السلطات شيعية أم سنية ,فهم إنما يؤيدون السلطة إذا كانت تطبق الأحكام الشرعية.

فإذا كان الحاكم شيعياً ولا يطبق الحكم الشرعي , فهم يخالفونه ويقفون ضده وربما يثورون عليه ,كما حدث ذلك لشاه إيران الذي ثار الإمام الخميني ضده.

في حين ان علماء السنة يؤيدون الحاكم ــ إلا ما ندرــ وربما كان بعضهم يحرّمون الثورة ضده حتى إذا كان فاسقاً .

فعلماء الشيعة :

أ-ضد السلطة

ب-ولكنهم مع الأمة

وعلماء السنة :

أ-مع السلطة

ب-ولا شأن لهم بالأمة, فالرواتب التي يتقاضونها من الحكومة,تعطى لهم , سواء كان لهم تأييد في الأمة أم لم يكن .

إضافة إلى ذلك فان الشيعة يعتقدون أن الإنسان في عباداته إما أن يكون مجتهداً وأما أن يكون مقلداً لأحد المجتهدين .

وعملية التقليد هذه أكسبت العلماء جماهيرية كبيرة وتأثيراً عظيماً في الأمة , فانه يكفي المجتهد أن يقول كلمة , فيتبعه مقلدوه الذين قد يكونون بالملايين ومن عدة قوميات وأقاليم.

وفي بعض الحالات فان المجتهدين الآخرين حتى إذا كانوا لا يرون الرأي الذي اتخذه المجتهد ذلك , فإنهم يتبعونه لبعض الاعتبارات.

وكمثال على ذلك,فتاوى الجهاد التي أصدرها العلماء عام١٩١٤ في جهاد الإنكليز , فذهب الناس طواعية إلى ساحات المعارك استجابة لرأي علمائهم الذي يعتبرونه واجباً كوجوب الصوم والصلاة.

وهذه الحالة أو هذه الصفة في علماء الشيعة جعلت الحكام – تاريخياً– يخشون من قوتهم وهيمنتهم على الأمة . فيحاولون أن يتقربوا لهم , أو يحاولون أن يقضوا عليهم .

ولكنهم مهما فعلوا فإنهم لا يستطيعون أن يقضوا على حالة التقليد التي يلزم الإنسان الشيعي نفسه في إتباع احد المجتهدين .

فإذا لم يمكنه أن يأخذ مسائله الشرعية من المجتهد في العراق مثلاً فانه ينتقل إلى مجتهد آخر في خارج العراق , وهم كثيرون والحمد لله.

***

المظاهرات في العراق لم يكن فيها إسلاميون

فقد كانت تحدث عدة قضايا داخلية وخارجية تتسبّب في خروج مظاهرات صاخبة.

في ١٩٤٧/١١/٢٩ صدر قرار من الأمم المتحدة برقم ١٨١ نصَّ على تقسيم فلسطين بين اليهود والفلسطينيين ، بحيث أعطي لليهود بموجب هذا القرار ٥٦٪ من مساحة فلسطين ، بينما أعطي ٤٤٪ فقط للفلسطينيين ، ونصَّ القرار على تدويل كامل مدينة القدس .

ورفض الشعب الفلسطيني هذا القرار الذي يعطي لليهود أكثر من نصف مساحة فلسطين ، في الوقت الذي لم يكن عددهم يتجاوز ٦٪ من عدد سكان فلسطين.

وفي ١٩٤٨/٥/١٤، أعلنت بريطانيا إنهاء انتدابها على فلسطين وعلى الفور أعلن عن قيام دولة إسرائيل ، واتخذت مدينة (تل أبيب) عاصمة لها , ثم اعترفت بها الولايات المتحدة الأمريكية مباشرة وأعقبها الاتحاد السوفيتي في ٥/١٧.

وعلى إثر هذا الإعلان اجتاحت المظاهرات عدداً من المدن العراقية، وكان المتظاهرون يطالبون الحكومات العربية بتحرير الجيوش العربية لفلسطين وإنقاذها.

علماً بان هذه المظاهرات لم يكن فيها إسلاميون على مستوى قيادة المظاهرات .

وتقدمت الجيوش العربية بعد يوم واحد من إعلان انتهاء الانتداب، أي في يوم ١٥ أيار ، ولكن هذه الجيوش ما أسرع ما تراجعت، لأسباب لا مجال للتنويه عنها هنا.

وظهر أن بعض الأسلحة كانت فاسدة لدى الجيش المصري أيام الملك فاروق[١] .

ان حادث فلسطين كان يثير فينا نحن طلاب (منتدى النشر)[٢] تساؤلات كبيرة وملحّة:

١- ولكن من جهة أخرى، فان النكبة حملت معها نتائج ايجابية، حيث كشفت زيف الحكام العرب وخيانتهم وتواطؤهم مع الاستعمار. فلقد طرد (شكري القوتلي) رئيس الجمهورية السورية من أراضيها في ٣ كانون الأول ١٩٤٨. وقتل (رياض الصلح) رئيس وزراء لبنان في ١٥ تموز ١٩٥١، واغتيل (عبد الله) ملك الأردن في ٢٠ تموز ١٩٥١، وخلع (الملك فاروق) في ٢٣ تموز ١٩٥٢

٢- منتدى النشر : مدرسة حوزوية متطورة ، أنشئت في النجف عام ١٩٣٥ الغرض منها تنزيه الحوزة من الشوائب وتهذيب الدراسة والدارسين، وخلق جيل واع يستطيع ان يؤثر في الأمة . وكان أبرز مؤسسيها الشيخ محمد رضا المظفر الذي كان قمة في العلم والأدب والوعي السياسي . انتميت إلى هذه الكلية (وتعبير الكلية انما يقصد به مستوى الكلية وليس كلية بالمعنى الأكاديمي) عام ١٩٤٣، ولا نبالغ إذا قلنا ان منتدى النشر كان خطوة مهمة على طريق الوعي الإسلامي العارم،الذي لفّ العراق وبعض البلدان الأخرى ، بل أن منتدى النشر – في الواقع – كان خطوة على طريق تأسيس (حزب الدعوة الإسلامية). ولا نكتم سراً عندما نقول ان الطبقة الأولى من الدعاة كانوا في اكثرهم من طلاب منتدى النشر. وللعلم فان الشهيد الصدر كان تلميذاً في مدرسة منتدى النشر بالكاظمية قبل ان ينتقل إلى النجف لمواصلة دراسته الحوزوية عام ١٩٤٥، وان ابا عصام الذي كان زميلاً لي في منتدى النشر ، كان يقول دائماً انه تأثر كثيراً في حياته بالشيخ المظفر.

رحم الله تلك الصفوة الذين تبّينوا الطريق ووضعوا الخطى عليه وبدأوا المسير رغم الصعاب والعقبات ، أولئك الذين حاولوا الإصلاح جهد امكاناتهم فتوفقوا في بعض وخانهم الحظ في البعض الآخر.

لماذا لم يكن للإسلاميين نصيب في ذلك؟

أليست فلسطين بلداً إسلامياً؟ أليس أهلها مسلمين؟

أليس فيها بيت المقدس، أولى القبلتين وثالث الحرمين؟

ثم، لماذا لايثأر المسلمون لهذا الحدث الحسّاس؟

ولماذا حجّموا القضية، فأصبحت تهم العرب فقط ، والمسلمون أضعاف العرب ؟

ولو كانت الحرب إسلامية يهودية ، فلربما كانت النتيجة أمراً آخر .

وكان يسيئنا – نحن طلاب منتدى النشر – عندما نسمع ان الاتحاد السوفيتي استاء حين دخلت الجيوش العربية في ١٥ مايس ١٩٤٨ ارض فلسطين ، ووصف الحرب الفلسطينية بأنها (عمل عدواني ضد إسرائيل) وطالب الدول العربية بالكف عنه.

وعلى كل حال ، فالأمور كانت مهيأة لطلاب منتدى النشر بالذات ان يكونوا أصحاب وعي اجتماعي وسياسي يختلفون عن غيرهم في تحليلهم للمواقف السياسية .

***

حادثة في النجف تثير وعياً

في عام ١٩٥١ حدث اعتداء على احد الزوار الإيرانيين من قبل بعض (أشقياء) النجف ، وقد ظُنّ في حينه ان للسلطة علاقة بالاعتداء أو على الأقل إنها شجعت عليه.

وكان المعتدى عليه يجوب الأسواق والصحن الشريف، ويخطب في الناس ويثير مشاعرهم ، ويستنكر عليهم ان تحدث في أوساطهم مثل تلك الجريمة ثم لا يتحركون للمحافظة على كرامة النجف وسمعتها الدينية.

فكان بذلك يثير المشاعر ويحرك النفوس ، وقد أضربت الأسواق إثر ذلك وعطل علماء الدين دروسهم ، وامتنعوا عن إقامة صلاة الجماعة يوماً واحداً احتجاجاً على ما حدث.

في تلك الأجواء جاءني صديقي وزميلي (عبد الصاحب دخيّل) الذي استشهد عام ١٩٧٢ ، وتحدث معي عن المكانة المقدسة للنجف الأشرف التي يسكنها علماء الإسلام ومراجع المسلمين ، وإنها لابد ان تحكم من قبل العلماء حكماً ذاتياً ، والعلماء هم الذين يشكلون الحكومة المحلية ، وهم الذين يقيمون الحدود , وينزلون العقاب بالمعتدين ، وهم الذين يحافظون على الأمن والاستقرار فيها.

فناقشته في هذا الموضوع كثيراً ، وانه أمر لا يمكن ان يتحقــق بسهولة في ظل الحكومة العراقية.

ثم اتفقنا على ان البحث بمشروع كهذا ســوف يحــرك الأمــة لإدراك الواقع الفاسد الذي يعيشونه ، وانه لابد من حلٍّ إسلامي ، وحكم إسلامي.

فاهتدينا إلى شخص ثالث من منتسبي منتدى النشر أيضاً يــؤمن بهذه الفكرة، فشكّلنا – نحن الثلاثة – وفداً وذهبنا إلى المراجع والعلماء لنطرح عليهم هذا المشروع.

وزرنا السيد محسن الحكيم والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء والشيخ عبد الكريم الجزائري ، وأخاه الشيخ محمد جواد، وغيرهم ، وقد تعاطفوا معنا ولكن شيئاً عملياً لم يحدث.

***

بداية التفكير بإنشاء حزب إسلامي

ان تراكم كل تلك القضايا الداخلية والخارجية ، وتفاقم الوضع غير الإسلامي الذي كان يسيطر على الساحة ، كان قد حفّزنا نحن الثلاثة (صادق القاموس وعبد الصاحب دخيل وأنا) إلى أن نعقد اجتماعات في بيوتنا ، أو في بعض زوايا منتدى النشر بشكل سري، وندعو لها بعض أصدقائنا المتدينين ، ونفكر في شؤون الإسلام.

وقد أولينا اهتماماً خاصاً بالتربية الروحية ، والالتزام بالأحكام الإسلامية، إضافة إلى التحرك على أبناء الأمة لتغييرهم نحو الإسلام.

وحرصُنا على الاجتماعات السرية ، لم يكن نتيجة للخوف من السلطة بقدر ما كنا نخشى الناس وفضولهم.

فقد كان المجتمع ــ آنذاك ــ من الحساسية بحيث يعتبر من يفكر بتغيير الوضع الموروث في النجف بأنه لا يحمل الإخلاص والولاء لأهل البيت عليهم السلام .

ولذلك فقد كانت مهمتنا صعبةً للغاية عندما نريد أن نوازن بين الأفكار التي نطرحها للأمة والتي نراها واجبة علينا شرعاً تدخل ضمن دائرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبين التقاليد التي نشأ عليها الناس .

الحزب الجعفري

فكنا لا ندعو إلى مجالسنا إلاّ الذين نثق بهم وبدينهم وبـالتزامهم بالسرّية. وقدْ جرّنا هذا إلى ان نشكل نحن الثلاثة حزباً سميناه (الحزب الجعفري) عام ١٩٥٢.

والواقع إننا في بداية تشكيله لم نضع له اسماً معيناً، ولكن عندما بدأنا نتحرك كنا نواجه تساؤلات من بعض الأشخاص، ما هو اتجاهكم؟ وما هو اسم حزبكم؟ هل انتم شيعة؟

وكنا نشعر ان السائل يحاول ان يثير حولنا شبهة ، هي أننا لسنا شيعة ، أو أننا وهابيون. وقطعاً لدابر تلك الشبهات ، سميناه (الحـزب الجعفري).

كنا نعقد الجلسات الحزبية بشكل أسبوعي ، وكنا نكتب أهـدافنا بأقلام الكوبيا، والكاربون ، ونوزعها على الذين نتوسّم فـيهم الإيمـان والسرّية ليقرأوها ، وإذا اقتنعوا بها يستنسخون عليها نسختين ، يعطونها لمن يرونهم مناسبين ، وهكذا...

وقد انضمّ الينا عدد من الإخوة المؤمنين، واخذ عدد أعضاء هذا الحزب يزداد قليلاً قليلاً.

كان هدفنا هو الحكم الإسلامي الذي يجب أن يطبق في البلاد ولكن لا بدّ أن نتدرج في ذلك :

١- في البداية ـ لا بدّ أن يكون عملنا هو تزكية النفس , فلن يتمكن أحد أن يغير الأمة إلا بعد أن يغير نفسه (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) ثم نقوم بتغيير الآخرين وجعلهم يتحسسون بالواقع المتخلف الذي تعيشه الأمة .

٢- ثم ننتقل إلى حالة أخرى , هي العمل السياسي , فقد كنا ندرك أن الواقع المتخلف لا بدّ من تغييره , وهو لا يتغيّر بتزكية النفس فقط وإنما بالعمل السياسي والجهد السياسي (ولعل المراحل التي تبنّاها حزب الدعوة الإسلامية فيما بعد لا تبعد عن هذا كثيراً) .

وانتشرت رسائلنا. وأصبحت تَردُنا من بعضهم الأسئلة والاستفسارات، فنجتمع ثلاثتنا لنردَّ عليها.

بعد ذلك عقدنا مجلساً حسينياً في الصحن الشريف، في ليالي شهر رمضان المبارك، وكان هدفنا من وراء هذا المجلس ، إعطاء فكرة عن الوعي المنبري في نشرنا للمفاهيم الإسلامية الحركية ، ولم يكن مألوفاً – آنذاك – إقامة مجالس بهذا المستوى في الصحن. ولذلك فإننا كنا مرصودين من المعارضين الذين بدأوا يثيرون حولنا الشبهات.

لقد أثاروا حولنا شبهة أننا من الإخوان المسلمين ، وأننا سنة ونريد أن ندخل الفكر السني إلى حاضرة النجف.

المعارضة كانت شديدة ، حتى ان المجلس الذي عقدناه لم يحضره إلا عدد قليل ، وبدأ الحاضرون يتناقصون ليلة بعد ليلة ، مما اضطرنا في النهاية إلى إلغائه.

وبنهاية هذه الخطوة توقف العمل في (الحزب الجعفري)، ويمكن القول انه أصبح في حكم المنحل بعد هذه التجربة المؤلمة التي فُرضت علينا.

فقد كانت المعارضة التي تحيط بنا قاسية ، ولم يكن من السهولة أن نجد نصيراً لتوجهاتنا وأفكارنا في التحرك.

ولعل القارئ لا يستطيع ان يتصور أجواء النجف في تلك الفترة لقد كانت الأفكار الشيوعية تنتشر بشكل واسع مقابل غياب المفاهيم الحركية الإسلامية.

وكان المعارضون يبذلون جهودهم بغية الحيلولة دون ظهور أية محاولة إصلاحية.

وكنا نجد عَنَتاً شديداً من أولئك المعارضين.

كنا عندما نمرّ في الأسواق ، أو نذهب إلى المجالس، يشار إلينا بأصابع الاتهام! هؤلاء لا يخشون الله ، ويريدون أن يسيئوا إلى التشيع في مدينة الإمام علي – عليه السلام – .

ولعلنا لو لم نكن من أبناء النجف المعروفين، ومن عوائل عريقة لآل مصيرنا إلى القتل .

***

بعد هذا الاستعراض السريع ، يمكن الخروج بنتيجة واضـــحة، تلك هي عدم قدرة التحرك الإسلامي في فترة ما بعد الحرب العالميـــة الثانية ، ولأكثر من عقد من الزمن على التأثير في المجتمـــع العراقـــي والساحة السياسية بحيث يوقف التيارات الشيوعية والقومية ، ويطـــرح نفسه بثقل على الأمة ، فيستقطبها ويغيرها باتجاه الإسلام.

ولكن مع التأكيد على أن ذلك التحرك كان بمثابة التجربة الفنية في خطوات التحرك الإسلامي اللاحقة .

***

أحداث العراق عام ١٩٥٢

في أواخر تشرين الأول وبدايات تشرين الثاني من عام ١٩٥٢ مرَّ العراق بأحداث ساخنة، كادت تؤدي بالملكية.

ولم يكن للإسلاميين أي دور في هذه الأحداث ، اللهم إلا ما كان في آخرها، حيث تدخّل الشيخ (محمد حسين كاشف الغطاء) وساهم في إسكات المعارضة.

ففي ٢٦ تشرين الأول ١٩٥٢ قام طلاب كلية الصيدلة والكيمياء بإضراب ومظاهرات ، تعبيراً منهم عن الاحتجاج على الأنظمة الداخلية الجديدة للكلية.

وقد وجدت الأحزاب القائمة حينذاك الفرصة مواتية يستطيعون من خلالها تقديم مطاليبهم إلى السلطة.

واستطاعت الأحزاب عن طريق أعضائها من الطلبة ان تحوّل المظاهرات والاضرابات الطلابية العارمة من الطابع العلمي إلى الطابع السياسي.

فبدلاً من الاقتصار على المطالبة بإصلاح الأنظمة الدراسية للكليات، رفع الطلاب شعارات جديدة طالبت الحكومة بضرورة القيام بالإصلاحات الداخلية لصيانة الحريات العامة ، مع التأكيد على وجوب الأخذ بالانتخاب المباشر كأساس للانتخابات المزمع إجراؤها.

ونتيجة لعنف الطابع الذي اتسمت به هذه المظاهرات، والتي شملت معظم المدن المهمة كبغداد والنجف وكربلاء والحلة والديوانية والناصرية والبصرة، شعرت السلطة بمدى خطورتها واقتنعت بأنها تهدد النظام تهديداً خطيراً.

لذلك، ومن اجل الحيلولة دون تحوّل الاضطرابات هذه، وسيرها بنفس الأسلوب الذي اتسمت به أحداث القاهرة (حريق ٢٦ كانون الثاني ١٩٥٢) التي مهّدت لقيام ثورة ٢٣ (يوليو) تموز ١٩٥٢، كلّف الوصي (عبد الإله)، بعد أن عجزت قوات الشرطة والأمن من السيطرة على الموقف واضطرار رئيس الوزراء (مصطفى العمري) إلى الاستقالة، كلّف رئيس أركان الجيش (نور الدين محمود) بتشكيل الوزارة وإعادة الأوضاع إلى حالتها الطبيعية.

فاتخذ هذا سلسلة من الإجراءات القاسية، حيث أعلن الأحكام العرفية ومواجهة المظاهرات بأعنف مما سبق.

وكانت مظاهرات النجف صاخبة جداً - كعادتها - وأرسلت الحكومة أعداداً هائلة من الجيش إلى النجف للسيطرة على الوضع. فكانت تحدث مناوشات ومقابلات بين الجيش والأهالي، وقد سبق ان قلنا ان الإسلاميين لم يكن لهم حضور في هذه الأحداث[1].

١- في هذه الأحداث، والأحداث التي تلتها عام ١٩٥٦ احتجاجاً على الاعتداء الثلاثي على مصر، كانت تحصل عدة ضحايا في النجف بين قتيل وجريح، وربما يكون أولئك من أولاد العلماء ولكنهم ليسوا من الإسلاميين، كما ان الدولة كانت تعتقل كثيراً من المتظاهرين، فكان الناس يلجأون إلى المراجع للتوسط لدى←

فطلبت السلطة من الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ان يقوم بتهدئة الشعب في النجف.

فأصدر الشيخ – رحمه الله – بياناً قريء من على منائر الصحن الشريف في النجف، يذكر فيه حرمة ضرب الأهالي للجنود، وكذلك حرمة ضرب الجنود للأهالي.

وارتأيت – في تلك الأيام – ان اشتري جهاز راديو لأستمع إلى الأخبار الداخلية والعالمية حول ما يجري في العراق،وكان الراديو كهربائياً طبعاً. وتحيّرت كيف أخفيه؟ وكيف اخفي سلك (الاريل)؟ فأوصلته إلى السطح بطريقة ذكية.

هكذا كنا نعاني من فضول الناس وجهلهم، وأتذكر إنني كنت أتناقش مع احد المتزمتين في جواز اقتناء الراديو لاستماع الأخبار، فكان هو يحرّم ذلك، ويقول ان إدارة قرص الراديو على محطة الأخبار، قد يمرّ على محطة للأغاني – ولو لجزء يسير من اللحظة – وهذا كاف للحرمة.

***

←الحكومة لإطلاق سراح المعتقلين، وبالفعل كان أولئك يتوسطون لهم، فيطلق سراحهم. وربما يكون بينهم الشيوعي والقومي، ولم يحدث ان يكون بينهم ضحية أو معتقل إسلامي على طول تلك الفترة.

أمريكا تعقد مؤتمراً في لبنان لمكافحة الشيوعية وتدعو له علماء المسلمين

في الخمسينات ازدادت قوة الشيوعيين في العراق ، بل لعل تلك الزيادة كانت في كافة مناطق الشرق الأوسط.

وكنا قد قلنا سابقاً ان الإنكليز هم الذين عملوا على نشر الفكر الشيوعي أيام الحرب العالمية الثانية، عندما كان الاتحاد السوفيتي في كتلة (الحلفاء) مقابل الفكر النازي الذي بدأ الناس يتبنّونه كرهاً للإنكليز.

ولكن الإنكليز وقعوا في مشكلة، فالعلاج الذي أرادوه لمرض النازية أصبح هو مرضاً يحتاج إلى علاج.

فقد انتشرت الشيوعية في منطقة الشرق الأوسط، وأحسّ الإنكليز، كما أحسّ الأمريكان بالخطر الذي يهدد المناطق التابعة لهم، وهم لا يريدون ان يشاركهم في حكم تلك البلاد احد سواهم.

والحلف والوفاق الذي كان يجمعهم مع الاتحاد السوفيتي، انما كان نتيجة للمخاوف التي هددتهم من جانب (هتلر) والمحور الذي يلتف حوله، اما عندما اندحر المحور، بدأ الحلفاء يتنافسون فيما بينهم على الغنائم، وحرصوا على ان لا يكون للاتحاد السوفيتي نصيب فيما يملكون.

ولكن الشيوعية ، التي سقيت بماء أعدائها ، بدأت تتوسع وتنتشر، مما حدا بأعدائها والذين هم أعداء الإسلام أيضا ان يفكروا في صدّها والقضاء عليها.

ففي عام ١٩٥٤ تبنّت أمريكا جانباً من هذه المهمة ، فقد بعث ((كارلند ايفانز هوبكنز)) نائب رئيس جمعية أصدقاء الشرق الأوسط في الولايات المتحدة الأمريكية برقيات إلى خمسة وعشرين شخصاً من الشخصيات الإسلامية، والى عدد مماثل من الشخصيات المسيحية في العالم يدعوهم لحضور مؤتمر يعقد في لبنان لبحث القيم الروحية في الديانتين، والأهداف المشتركة ، وموقف الديانتين من الشيوعية.

وكانوا قد وجهوا دعوة للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في ١٥ آذار ١٩٥٤ في رسالة مطوّلة ، جاء في بعض فقراتها ((يمكنكم الاستعلام عن موقف جمعية أصدقاء الشرق الأوسط الأمريكية، وأهدافها السامية من أصحاب السعادة، الدكتور محمد فاضل الجمالي والسيد عبد الله بكر، والسيد موسى الشابندر)).

اما الشيخ محمد حسين فلم يكتف بعدم الحضور وإنما أجابهم برسالة مطوّلة، طبعت في كتاب سماه (المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون)[1].

وقد احدث الكتاب هذا ضجة وانتشر انتشاراً واسعاً ، ولم يكن يألف الناس – في تلك الأيام – ان يتحرك العلماء، وأن ينتقدوا الدولة

١– حيث كان المقرر عقد المؤتمر في مدينة (بحمدون) في لبنان.

وتصرفاتها ، بل ويتعرضوا للسياسة الأمريكية والبريطانية بصورة عامة.

والواقع ان الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء – رحمه الله – كان يختلف اختلافاً كبيراً عن بقية المراجع ، فان أولئك إذا سكتوا ولم يتدخلوا بشؤون الدولة ، فان الشيخ لم يسكت ، بل تدخل واعترض وانتقد وله مواقف عديدة يذكرها النجفيون بصورة خاصة ، والعراقيون بصورة عامة في هذا الشأن.

* * *

نعم أجابهم الشيخ كاشف الغطاء برسالة مطولة ، كان فيها شديد اللهجة، منتقداً سياسة أمريكا وإنكلترا في المنطقة ، وفي فلسطين بالذات، كما انتقد فيها (حلف بغداد) الذي عقد عام ١٩٥٤ بين العراق وتركيا وإيران وباكستان.

الكتاب يقع في ثمانين صفحة ، يطفح حرقة وألماً للوضع المأساوي الذي سبّبه الإنكليز والأمريكان.

* * *

الاعتداء الثلاثي على مصر

وتأثيره في الوسط النجفي

في عام ١٩٥٦ كان الاعتداء الثلاثي (بريطانيا وفرنسا وإسرائيل) على مصر، وهو ما سمي بـ (حرب السويس)حيث تم تأميم القناة ، فكان لهذا الحدث وقع كبير على الأمة الإسلامية في كل مكان.

اما في النجف، فكان له تأثير يختلف عمّا سبق من الحوادث، فقد كانت المظاهرات اعنف من السابق ، مما حدا بمتصرف (محافظ) كربلاء، ان يطلب قوة من الجيش من الطائفة اليزيدية ، التي لا تؤمن بالإسلام ومقدساته، ليردعوا المتظاهرين.

والمتظاهرون في النجف ، كانوا عندما يتعرضون للمطاردة من قبل الشرطة ، يلجأون إلى الصحن الشريف ، وإن لم يكونوا إسلاميين، فيمتنع الشرطة عن ملاحقتهم.

ولكن محافظ كربلاء – آنذاك – استقدم قوة من الطائفة اليزيدية التي لا تحترم مقدسات المسلمين – كما قلنا – ليقتحموا الصحن ويفرقوا المتظاهرين ويقبضوا عليهم.

فكانت هذه القوة تلاحق المتظاهرين، وتطلق عليهم النار وإن كانوا يلجأون إلى الصحن ، وكانت طلقات الرشاشات قد أصابت واجهة

الصحن كما أصابت إحدى المنارتين الذهبيتين ، وبقيت آثار ذلك إلى فترة طويلة ، مما جعل الناس في النجف يستنكرون بشدة هذه الاعتداءات، كما أنها حركت النفوس وبعثت فيهم وعياً إسلاميا، وتحمّس البعض إلى ان يكون للإسلاميين دور في أحداث العراق ، ومن غير المقبول ان تبقى المواجهة بين فئة لا تؤمن بالإسلام وبين الحكومة التي لا تحترم الشعائر الإسلامية.

وابرق الشيخ محمد رضا المظفر عميد منتدى النشر برقية إلى شيخ الجامع الأزهر تضمنت ما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم

محافل النجف الأشرف تعجّ صارخة اليه تعالى بدعائها لإنقاذ مصير الأمة المسلمة ، وتبتهل إليه أن يأخذ بنصركم ويرفع لواءكم، والقلوب تقطر دماً من الاعتداء الصارخ الذي تقوم به وحشية أعداء الإسلام والإنسانية.

والمسلمون في جميع البلاد يد واحدة في شدّ أزركم

محمد رضا المظفر

عميد كلية منتدى النشر

تشرين الثاني ١٩٥٦

إضافة إلى ان الاعتداء الثلاثي على مصر نفسه ، قد حرّك المشاعر الإسلامية ولا نستبعد ان يكون لنشيد (الله اكبر) ، الذي كانت تذيعه إذاعة صوت العرب من القاهرة، تأثير على النفوس ، وكأنها كانت في سبات فأيقظها (الله اكبر يا بلادي فاسمعي ... جيش الأعادي جاء يبغي مصرعي) .

فكانت تعقد في النجف اجتماعات لمتابعة هذا الحدث الكبير وتطوراته، وكيف تجمعت قوى الكفر على دولة إسلامية لأنها أرادت ان تؤمم قناة السويس في أرضها وسيادتها.

ونستطيع ان نقول ان عام ١٩٥٦ كان حداً فاصلاً بين الجمود والوعي ، بين السبات واليقظة ، بين الخوف والرجاء.

فالوعي الذي كانت بذرته منتدى النشر وطلابه الذين بدأ عددهم يزداد وينتشر، ثم الحوادث المتكررة عام ٤٧ و ٤٨ و ٥٢ ، وأخيراً عام ١٩٥٦ التي هزّت النفوس المتوثـّبة للانتفاضة على الواقع الخامل.

فلقد كان هنالك بعض الأشخاص الذين يريدون ان يتنفسوا بالإسلام وحاكمية الإسلام، ولكنهم كانوا يجدون صدوداً عظيماً ، فالقوم نشأوا على ان الحديث بالسياسة ، بل حتى التفكير بها ، يعتبر خروجاً عن الورع والتقوى ، وان الأمور يجب ان تبقى على ماهي عليه من الفساد والتردي وانتشار الظلم ليكون ذلك مبرراً لظهور المهدي المنتظر – عليه السلام – الذي هو وحده الذي يسعى لنشر العدالة ، وانه من الحرمة بمكان منازعة المهدي في وظيفته تلك.

لقد بدأ الوعي الإسلامي عام ١٩٥٦ يتململ ويتحـرك كالميـت الذي نفخت فيه الروح من جديد، ولكن بأنفاس بطيئة متقطعة.

***

وحيث وصلنا في حديثنا إلى عام ١٩٥٦ ، الذي بدأ فيه التحرك الإسلامي السياسي يحاول ان يخرج من القمقم , فانه يجدر بنا ان نشير إلى ان بعض الأحزاب والتشكيلات الإسلامية كانت قد تأسست فـي العراق أيام الاحتلال البريطاني ، والتي اختفت كلها قبل ثورة العشرين.

***

بداية تشكيل الأحزاب الإسلامية في العراق

فلقد كان الغزو البريطاني للعراق عام ١٩١٤ ومن ثم فترة الاحتلال حدثاً مفاجئاً للأمة ولعلماء المسلمين بصورة خاصة ، وهم وان كانوا – في ظل الدولة الإسلامية العثمانية – يعيشون حالة التعصب الطائفي البغيض ، إلا أنهم وجدوا أن وظيفتهم الشرعية تحتّم عليهم الوقوف بقوة أمام الجيوش الغازية دفاعاً عن بلاد المسلمين.

وتنبّه علماء المسلمين قبل غيرهم إلى ضرورة تشكيل أحزاب إسلامية لمواجهة هذه الظاهرة الطارئة التي حلت بالبلاد.

فشهدت فترة الاحتلال العسكري المباشر للعراق أربع تجارب حزبية بصورة رئيسية وعدداً قليلاً آخر من التجارب الصغيرة ، اندمج بعضها مع الوجودات الكبيرة.

كانت الحياة الحزبية – آنذاك – قوية مؤثرة في مجرى الأحداث فقد استمدّت القوة من ضرورات الظرف ، ومن تصدي العلماء، وقامت على أسس واضحة في التنظيم والتخطيط والتحرك.

واستطاع النشاط الحزبي – في تلك الفترة – ان يحرك الساحة والأحداث والمواقف بفضل العنصر الجماهيري الضخم.

ان اكبر إنجاز حققه العمل الحزبي في سنوات الاحتلال البريطاني هو تحريكه الجماهير باتجاه الأهداف التي يسعى إليها

وبالأسلوب الذي يتبناه ، وقد سجّل التاريخ العراقي هذه الخطوة الواسعة لصالح الأحزاب الإسلامية التي كان لها دور كبير في إشعال ثـورتين جماهيريتين كبيرتين ، الأولى ثورة النجف عام ١٩١٨ والثانية الثـورة الكبرى في ٣٠ تموز ١٩٢٠.

فإن الأولى حدثت بتخطيط وتوجيه جمعية النهـضة الإسـلامية والأخرى جاءت بتظافر جهود مكثفة اضطلع بأكثرها الحزب النجفـي السري.

وكان هذان الحزبان يتحركان تحت قيادة وإرشاد مراجع الـدين وكبار العلماء، وهو تطور هامّ في العمل الإسلامي – أيام ذاك – ويأتي بعدهما من بين الأحزاب الكبيرة، حزب حرس الاستقلال في سيره وفق توجيهات علماء الدين.

ويلاحظ ان العديد من علماء الدين البارزين مارسـوا بـصورة مباشرة العمل الحزبي. فلقد أسّسوا أحزاباً سياسية، وكانوا ضمن قياداتها وعلى رأس خطوطها التنظيمية، إذ أن أربعة أحزاب سياسـية أسّـسها واشترك في قيادتها علماء دين بارزون ، أمثال السيد محمد علي بحـر العلوم ، والشيخ محمد جواد الجزائري ، والسيد أبو القاسـم الكاشـاني والشيخ محمد رضا نجل الميرزا محمد تقي الـشيرازي ، قائـد ثـورة العشرين.

والأحزاب تلك هي:-

١- حزب النهضة الإسلامية.

٢- الحزب النجفي السري.

٣- الجمعية الإسلامية في كربلاء.

٤- الجمعية الإسلامية في الكاظمية.

أما جمعية النهضة الإسلامية:-

فقد تأسست في النجف الأشرف أواخر عام ١٩١٧، وكان في طليعة المؤسسين الشيخ محمد جواد الجزائري، الذي تولى رئاسة الجمعية، فيما كان السيد محمد علي بحر العلوم نائباً له، وهما اللذان رسما مناهج الحزب ، وحدّدا خطوطها الفكرية والسياسية على أساس العقيدة الإسلامية، ولذلك لم تدخل في عضويتها الشخصيات ذات الميول القومية.

واتخذت جمعية النهضة الإسلامية من تحرير العراق هدفاً مرحلياً لها، واعتمدت أسلوباً تنظيمياً دقيقاً، إذ شكلت جناحين لها، الأول سياسي والآخر عسكري.

وجاء في منهاج الجمعية ، في المادة الثانية منه (السعي لإعلاء كلمة الإسلام وسعادته وترقيته ومراعاة القانون الأعظم، وهو الشرع الشريف المحمدي والعمل به ، طبقاً لقوله تعالى ((ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً)).

أما المادة الأولى ، فقد أكدت على الوحدة الإسلامية بين المسلمين، حيث نصت:

((اجمع رأي علماء الإسلام وقادتهم الأفاضل الأعلام على لزوم تفهيم الأمة الإسلامية ووجوب تحكيم ارتباط أفراد المسلمين بعضهم ببعض، تحت عنوان ((الجامعة الإسلامية)) للتكاتف والتعاضد والاعتصام بحبل الله ليكون الإسلام كتلة واحدة على من سواهم)) .

وقد رأت ان يرأس المرجع الأعلى للمسلمين الجامعة الإسلامية التي لابد ان يكون مركزها في إحدى المدن المقدسة (النجف الأشرف أو كربلاء أو الكاظمية أو سامراء) حسب إقامة المرجع الأعلى كما نصت على ذلك المادة السادسة.

وأما الحزب النجفي السري :-

فقد تأسس عام ١٩١٨ بشكل سري ، واتخذ من غرفة معزولة في مدرسة الملاّ (كاظم الخراساني) في محلة الحويش في النجف الأشرف مقراً لها.

ضمَّ هذا الحزب الكثير من علماء الدين الكبار، أمثال الشيخ عبد الكريم الجزائري وأخيه الشيخ محمد جواد، والشيخ جواد الجواهري، والشيخ محمد باقر الشبيبي ، وأخيه الشيخ محمد رضا ، والشيخ حسين الحلي ، والشيخ عبد الحسين مطر ، وغيرهم.

وحظي هذا الحزب بتأييد مراجع الدين ، حتى ان التنسيق كان قوياً حول ظروف الساحة وأساليب التحرك ، ولا سيما مع الإمام الميرزا محمد تقي الشيرازي الذي انتقل من سامراء إلى كربلاء في

نهايات ١٩١٨ فلقد وجد الميرزا الشيرازي في هذا الحزب ذراعاً فاعلة تستطيع ان تدفع الأمة بالاتجاه الذي تريده المرجعية.

انصبَّ نشاط الحزب على توفير مستلزمات الثورة المسلحة ضد الإنكليز ، وقد نجح في ذلك من خلال فروعه الكثيرة في الفرات الأوسط ، واستطاع ان يعبئ أعداداً كبيرة من المجاهدين باتجاه الثورة المسلحة.

وأما الجمعية الإسلامية في كربلاء :-

فإنها تأسست في تشرين الثاني من العام ١٩١٨ من قبل الشيخ محمد رضا نجل المرجع الميرزا محمد تقي الشيرازي ، وضمت العديد من علماء الدين ، والشخصيات الاجتماعية المعروفة، مثل السيد هبة الدين الشهرستاني ، والسيد حسين القزويني.

والجمعية هذه كانت تسير – في حقيقتها – وفق توجهات مرجعية الإمام محمد تقي الشيرازي وقد حظيت بدعمه وتأييده خصوصاً بعد الفتوى التي أصدرها في ٢٠ ربيع الثاني ١٣٣٧هـ ، كانون الثاني ١٩١٩ ، والتي نصّت:

(ليس لأحد من المسلمين ان ينتخب ويختار غير المسلم للإمارة والسلطنة على المسلمين).

وتمتعت الجمعية الإسلامية بتأييد كبار العلماء ، حيث أيّد هذه الفتوى سبعة عشر عالماً من علماء كربلاء ، وطبعت على نسخ كثيرة في المدن العراقية ومناطق الفرات الأوسط.

ولكن الإنكليز اعتقلوا رئيس الجمعية الشيخ (محمد رضا الشيرازي) وبعض أصحابه ونفوهم إلى خارج العراق، وبذلك أنتهى أمر هذه الجمعية.

وأما الجمعية الإسلامية في الكاظمية:-

فقد أسسها أواخر ١٩١٨ آية الله السيد أبو القاسم الكاشاني عند قدومه من كربلاء إلى الكاظمية، كما كانت تحظى بدعم آية الله شيخ الشريعة الاصفهاني، وهو الذي طلب من السيد الكاشاني ان يتوجه إلى الكاظمية لأهميتها.

وعزز إرساله بالرسالة التالية:-

((لا يخفى ان جناب العالم العامل الكامل سيد المحققين ، وعمدة العلماء والمجتهدين الحاج الميرزا أبي القاسم الكاشاني ، دام علاه ، مع انه من العلماء الروحانيين وله حق المطالبة بحقوق العراقيين، فهو كما انه معتمد المشايخ والرؤساء وزعماء القبائل فيما يرجع إلى الاحتجاج لهم والمدافعة عنهم ، فيما يؤدي إلى إصلاح العراق ، فهو معتمدي وثقتي ، والسكون إلى قوله ورأيه ، فليعرف كل احد سمّو شأنه وعلّو مقامه، ومن الله أرجو توفيقه لما يجلب الخير إلى العراقيين ، إن شاء الله)).

وقد كان للجمعية هذه علاقات حسنة مع الأحزاب السياسية الأخرى ، ولاسيما مع حزب حرس الاستقلال ، وكانت نهايتها عند اندلاع ثورة العشرين ، إذ توقف نشاطها، كما توقف نشاط بقية

الأحزاب السياسية ، حيث دخلت الحياة العراقية واقعاً جديداً. وأصبحت على أعتاب مرحلة تختلف في الكثير من جوانبها عن الفترة السابقة.

***

واستطاعت هذه الأحزاب تحت ظل المرجعية المتمثلة آنذاك بالميرزا الشيرازي ومن ثم شيخ الشريعة الاصفهاني ، إنّ تحرك الأمة العراقية في ثورة عارمة هي ثورة العشرين التي لفّت العراق كله واستطاعت ان تغيّر السياسة البريطانية.

غير ان الحضور الفاعل لعلماء الدين في الحياة الحزبية اخذ ينحسر بعد انتهاء ثورة العشرين وتشكيل الدولة العراقية.

***

بعد ذلك لم تتكرر تجربة الحضور العلمائي في الميدان الحزبي رغم أن علماء الدين كانوا يتصدون للمعارضة السياسية الساخنة ضد السلطة وسياسة الإنكليز ، وهي تلك التي تركزت حول الموقف من انتخابات المجلس التأسيسي ، حيث أصدر المراجع فتاواهم بمقاطعة الانتخابات ، مما أحرج الإنكليز واضطروا لاستبدال أكثر من وزارة حتى أقدم (عبد المحسن السعدون) على خطوته اللئيمة التي أبعد فيها المراجع إلى إيران في ٢٦ حزيران ١٩٢٣.

وبإبعاد علماء الدين ومراجع المسلمين من العراق ، لم يشهد العمل الإسلامي أيَّ تحرك إلا في حالات نادرة، ولوقائع محددة تنتهي بانتهاء تلك الواقعة، مما ادّى إلى بروز حركات أخرى لا تمتُّ إلى الإسلام، وساهمت في ذلك السياسة العامة للحكومة العراقية، والسياسية البريطانية في محاصرة التصدي الإسلامي للسياسة وأمور الدولة.

وبالتدريج أصبح التفكير بالأمور السياسية يعتبر عزوفاً عن الورع والتقوى ، ونشأت أجيال على ذلك .

***

ولابد من ملاحظة اننا في حديثنا عن اختفاء العمل السياسي الإسلامي، والذي حددنا بدايته عام ١٩٢٤ ، إنما كان عن التحرك السياسي الشعبي انسياقاً مع التحرك الإسلامي الشعبي بصورة عامة.

وأما العمل الإسلامي لإخواننا السنة ، فلا بد ان نشير للتاريخ ان حركة الإخوان المسلمين التي انطلقت من مصر، والتحرير التي انطلقت من الأردن ، كان لهما وجود في العراق، ولكنه لم يكن وجوداً مستقطباً للساحة كما استقطبها حزب الدعوة الإسلامية فيما بعد.

***

حزب الدعوة الإسلامية وظروف تأسيسه

قلنا سابقاً ان الوعي الإسلامي عام ١٩٥٦ كان يتململ ، وكان إرهاصاً لتشكيل حزب إسلامي يستطيع بالتدريج ان يحكّم القرآن.

والواقع ان حزب الدعوة الإسلامية – الذي تشكل بعد ذلك – نشأ ليس كردّة فعل لأعمال الحزبيين غير الإسلاميين ، ولكنه نشأ للشعور بالحاجة الملحّة لتشكيل الدولة الإسلامية، ولم يكن بإمكان أوساط الحوزة العلمية والأساليب التقليدية أن تنوء بهذه المهمة.

وهنا يقول السيد محمد حسين فضل الله ((وكنا نفكر أن الإسلام يمكن أن يكون حلاً لمشكلات الإنسان في الحياة , وكنا نبحث كيف نؤكد هذا التطلّع في ثقافتنا , وكنا نشعر بأن علينا أن نتجاوز الوضع التقليدي الذي كانت النجف تعيشه في النظر إلى السياسة والأوضاع الجديدة , وكنّا ننفعل بالأحداث السياسية , أنفعلنا بثورة مصر على الرغم من أنها ثورة قومية , وكنا نعيش القضية الفلسطينية على نحو مسؤول وبشكل متحرك))[١]

فتلاقت مجموعة من المؤمنين الواعين للإسلام ومجموعة من الحوزة ، وقد أرهفت الأحداث نفوسهم ، وتهيأت عقولهم لخوض العمل الإسلامي.

١- مجلة الدراسات الفلسطينية العدد ٢٣ ص٩٥

التقى هؤلاء الأفراد والمجموعات في أماكن مختلفة وفي اجتماعات كانت تتسع وتضيق وتتكرر.

بحث هذا التجمع الصغير الأوضاع السياسية، وأوضاع الأمة وضرورة العمل على ضوء العقيدة والشريعة الإسلامية إطاعة لأمر الله تعالى وتقرباً إليه، وإنقاذاً للأمة الإسلامية من القيادات الفكرية المتأثرة بالغرب، ومن تأثير الأحزاب المصطنعة والأحزاب الإقليمية والعرقية.

وتوحدت الأهداف وتقاربت المفاهيم واتجهت العواطف والمشاعر، وشاء الله سبحانه وتعالى، فكان (حزب الدعوة الإسلامية) الذي تحمل مهمة توعية الأمة، ونشر الفكر الإسلامي وخلق جيل متسلح بالإيمان والوعي، ليقف أمام الأفكار الضالة، ومن ثم ليحكم الإسلام كما أراد الله. وكان الشهيد الصدر هو الذي سمّاه بهذا الاسم.

ان الوسط الذي ولد فيه حزب الدعوة الإسلامية يكاد يكون خاصاً واستثنائياً، فقد كانت معظم أوساط المجتمع تعيش حالة من التخلف الفكري والثقافي والسياسي، وتعاني من الجهل بعقيدتها ودينها ويخيم عليها طابع الانبهار بالحضارة الغربية والتبعية الفكرية لها. إضافة إلى انتشار النظريات والمبادئ المختلفة كالشيوعية والاشتراكية والديمقراطية الغربية، والقومية، والوطنية، وغيرها.

وفي نفس الوقت كانت معظم الأوساط الدينية تستنكر العمل السياسي الإسلامي بشكل عام، وأسلوب العمل الحزبي في الدعوة للإسلام بشكل خاص، فضلاً عن عدم إيمان الكثير منهم بالتدخل في

الشؤون السياسية نتيجة استيحاء مفهومي الحزب والسياسة من الصورة الوضعية السائدة آنذاك.

وكان هناك عدد من الأشخاص يفكر بمستوى إنقاذ الأمة من التخلف عن مواكبة الحوادث المتسارعة. وكان يفكر بعضهم بإنشاء حزب إسلامي يقوم بهذه المهمة. ولكن أولئك الذين كانوا يفكرون بمثل هذه الأمور كانوا يخشون بعضهم ، فالمجتمع قاسٍ ومتخلف لدرجة ان الواحد يخشى من مفاتحة الآخر ، إذ لا يدري بماذا سوف يواجَه.

كانت الفكرة الأولى التي نستطيع ان نسميها (قدح الزناد) من السيد (طالب الرفاعي) ، وكان على مستوى من الشجاعة ، فكلم كلاً من السيد مهدي الحكيم والسيد محمد باقر الصدر ، فقد كانا صديقين له وكان هذان يفكّران نفس التفكير وينتظران من يوري فيهما هذا التفكير.

وسرعان ما استجابا، فكتب السيد الصدر إلى السيد العسكري.

فحصل بينهم لقاء مصغر ، ثم لقاءات متعددة ، وبصورة اكبر نسبياً، إلى ان كان اللقاء التاريخي في كربلاء في بيت الإمام السيد محسن الحكيم، في يوم السبت ١٧ ربيع الأول ١٣٧٧هـ الموافق ١٢ تشرين الأول ١٩٥٧م تيمّناً بمولد النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - .

وكان الذين حضروا الاجتماع وأدوا القسم هم ستة أشخاص هم السيد محمد باقر الصدر والسيد مرتضى العسكري والسيد مهدي الحكيم وصاحب دخيل ومحمد صالح الأديب ومحمد صادق القاموس .

وبخصوص أداء القسم ، فان السيد الصدر طلب من السيد العسكري – باعتباره اكبر الحاضرين سناً – ان يكون هو أول من يقسم على بذل الجهد في خدمة الإسلام وعدم التهاون في ذلك مادام في الحياة، ولكن السيد العسكري طلب من السيد الصدر ان يكون هو البادئ، باعتباره فقيهاً ضمن المجموعة.

وأخيراً كان السيد العسكري أول من أدّى القسم ، وكان يقول إنه عندما أدّى القسم يتصوّر انه رفع جبال العالم على رأسه ، ثم حلف الصدر ثم السيد مهدي الحكيم.

وكانت هذه النواة (القيادة) المباركة متكاملة، يكمّل أفرادها بعضهم بعضاً، فهي ذات إمكانيات ظاهرة وكامنة ، كافية لقيادة الأمة الإسلامية للسير نحو تطبيق الإسلام.

ففيها قابليات – يندر اجتماعها – لفهم الإسلام وفهم الواقع وفهم التنظيم، والوعي على الأحداث في البلاد الإسلامية وفي العالم، وقدرات فذّة للفهم النظري ، وامكانات للتحرك وللتأثير في أوساط قيادية شعبية عليا في المنطقة والمناطق التي ستعمل بها.

وكانت المجموعة بعيدة عن تيارات ومشاعر التعصب الذميم بكل أشكاله العرقية والإقليمية التي يزخر بها العالم الإسلامي وكان جميع أفرادها واضحي الهوية ونقيي السريرة ، قد تطهرت نفوسهم من مواصفات الركود بفعل الأحداث والممارسات السابقة وبفعل البحث والتنقيب المخلص للسير في طريق التغيير.

وحدّد الاجتماع الأول الشكل الهيكلي لنشاط الدعوة والدعاة إلى الله سبحانه وتعالى ، وجعل الآية الكريمة شعاراً للدعوة ((ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الــوارثين)). التي أصبحت فيما بعد شعاراً لمجلة الحزب (صوت الدعوة)، بعــد ان عرفوا ان مسؤوليتهم يجب ان تكون مسؤولية طلائعيــة للمستــضعفين والسعي لتحقيق الوراثة للصالحين الذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً ((تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً ، والعاقبة للمتقين)).

كان عليهم ان يحددوا الأسلوب والطريقة التي يعمل بهــا هــذا الكيان المنظم بالاشتراك مع أبناء الأمة والمخلصين فيهــا لاستئــصال جذور الفساد والجاهلية.

ويتوقف تحديد الأسلوب ، والتنفيذ للأهداف والخطط على فهــم وتحليل الواقع السياسي والفكري والاجتماعي. فخرجت الحركة بنتيجــة تحليلية ، مفادها أن التشكيل الحضاري ، والتيار الــسياسي والفكــري وأنظمة الحكم ، ومناهج الثقافة والتربية والبناء تسير على أسس جاهلية مادية غربية رأسمالية ، أو شرقية شيوعية.

وبالتالي فان الإصلاح الفوقي وتغيير بعض البنى يكون عمــلاً عرضياً لا يقوى على مقاومة التيار، بل يبتلعه تيار الحضارة الجاهليــة ويستهلك قيمته وأثره ، لذلك تبنت الحركة منــذ اليــوم الأول العمــل التغييري الجذري الشامل.

وكان السيد الصدر يؤكد في اجتماعات التأسيس على ثلاث نقاط:

الأولى: وتتعلق بظاهرة انتماء الشباب إلى التيارات والأحزاب العلمانية. والتي كان بعضها يجاهر بالعداء للدين ويحارب شعائره، وكانت رؤية السيد الصدر حول تلك النقطة: ان أولئك الشباب المتحمسين والمتطلعين إلى المستقبل لا يعرفون عن إسلامهم شيئاً.... وهم بانتمائهم إلى تلك الأحزاب إنما يريدون خدمة وطنهم عن أي طريق كان... ولو كانت هناك حركة إسلامية تأخذ بأيديهم وتستوعب تطلعاتهم لما اختاروا غير الإسلام سبيلاً.

أما النقطة الثانية : فهي ضرورة العمل لقيام دولة إسلامية ، لأنه كان يعتقد بأن وجود مثل تلك الدولة هو الضمانة لتبيان تعاليم الإسلام ولتطبيق أحكامه.

ومن كلامه في هذا الشأن ، قوله ((قد نعمل ونغير المجتمع ، فإذا كانت الحكومة لا تؤمن بذلك فإنها قادرة – وبجرة قلم – على إلغاء كل ما قمنا به ....)) .

والنقطة الثالثة : هي أنّ السيد الشهيد كان يسعى إلى أن تجتمع لديه الأنظمة الداخلية للحركات , سواء كانت إسلامية أو غيرها .

وتم الحصول على أنظمة الحزب الشيوعي والبعث وحركة القوميين العرب .

وكذلك كتب الشيخ محمد تقي النبهاني وهي التي تسمى (الكتـــب العشرة) والتي يفترض أن يقرأها كل منتسب إلى حزب التحرير إضافة إلى كتاب (الداعية والدعاة) لحسن البنا وكتب أخرى لعبد القادر عودة ومجلة (المسلمون) التي يصدرها سعيد رمضان .

***

مشروعية العمل الحزبي

العمل الحزبي موضوع جديد طرأ على الحوزة , ولذلك ثـــارت حوله كثير من النقود والإشكالات .

فبالإضافة إلى أن الحوزة كان فيها من يـــرى حرمـــة العمـــل السياسي , وأن إقامة الدولة في الواقع شأن من شؤون الإمـــام المهـــدي المنتظر عليه السلام ولا تجوز منازعته في ذلك , فإن هناك كان مـــن يقول أن العمل الحزبي يحتاج إلى دليل وبرهان .

وحدث في وسط الحوزة جدل حول مشروعية العمـــل الحزبـــي سواء كان سياسياً أو غير سياسي .

وكلما كانت تمر الأيام ويبرز للعيان العاملون في حزب الدعوة تثور في مواجهتهم جدلية الشرعية في العمل الحزبي .

كان البعض يستشهد بالعمل السري الذي سلكه رسول الله (ص) الذي هو نوع من العمل الحزبي .

ويناقشهم الآخرون بأن هذا العمل لا يشبه ذلك , وكانت تحتـــدم المناقشات , ولا شك أن الدعاة كانوا في الطرف الذي يتوخى المبررات

والواقع أن العمل الحزبي إنما هو اسلوب في الـــدعوة إلـــى الله فهو أمر بالمعروف ونهي عن المنكر .

وفي هذا الصدد يقول السيد محسن الحكيم ((بسم الله الرحمن الرحيم ، ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، والدعوة إلى الإسلام ليس لها طريقة خاصة ، فكلما يراه المبلّغ أجدى وانفع يلزمه العمل به)) .

ويقول السيد أبو القاسم الخوئي ((بسمه تعالى شأنه، ليس للدعوة إلى الإسلام أسلوب خاص. بل الداعي إذا توفرت فيه شروط الدعوة من العلم والعمل ، له أن يدعو بأي أسلوب يراه مناسباً ومؤثراً))[١].

ومن الطريف ما ينقله احد تلامذة[٢] السيد الشهيد الصدر ، قال:

ان السيد الشهيد نقل لي ان احد الأشخاص قال لأستاذي الخوئي ان السيد محمد باقر الصدر أسس حزباً إسلامياً ، وكأنه يريد أن ينتقص منه.

فأجابه السيد الخوئي : لو أسس السيد محمد باقر الصدر حزباً فاني أول من أسجل اسمي فيه.

وأما الشهيد الصدر فيقول ((وأما مشروعية (العمل الحزبي) فلأن الدعوة إلى الإسلام إنما هو الطريق التي يمكن بواسطتها إيصال الإسلام إلى أكثر عدد من الناس وتربيتهم بثقافة الإسلام تربية مركّزة تدفعهم للقيام بما فرض الله عليهم ، وحيث ان الشريعة الإسلامية لم تأمر بإتباع أسلوب محدد في التبليغ والتغيير ، جاز لنا شرعاً انتهاج أية

١- من الفقه السياسي في الإسلام /محمد صالح جعفر الظالمي ص ١٥٦
٢- الشيخ إبراهيم الأنصاري

طريقة نافعة في نشر مفاهيم الإسلام وأحكامه ، وتغيير المجتمع بهـــا. مادامت طريقة لا تتضمن محرّماً من المحرمات الشرعية ، فأية حرمة شرعية في ان تتشكل الأمة الداعية إلى الخير ، والآمـــرة بـــالمعروف والناهية عن المنكر في هيئةٍ وجهاز ، وتكّون كياناً موحـــداً، وفعاليـــة منتجة في الدعوة إلى الله عز وجل.

ان تجميع الجهود من اجل الإسلام ، وتنسيقها بحكمة ، واختيار الطريقة الأفضل لتنظيم ذلك ، ليس مجرد أمر جائز في عصرنا وحسب بل هو واجب مادام تغيير المجتمع و تعبيده لله ، ومجابهة الكفر المنظم متوقفاً عليه))[1].

ويضيف الشهيد الصدر ((ان الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – لو كان في عصرنا لاستعمل – بمقتضى حكمته – الأساليب الإعلامية والتبليغية المعاصرة والملائمة، والحق ان أسلوبه – صلى الله عليه وآله وسلم – في الدعوة ما كان عن التنظيم الحلقي ببعيد)).

وحيث ان الكفر ينتشر بصورة منظمة ودقيقة فكان لابد ان يجابه بتنظيم دقيق أيضاً، ولا ينتشر الهدى إلا من حيث ينتشر الضلال.

ولقد أحسن السيد محمود الهاشمي – احد أبرز تلامـــذة الـــشهيد الصدر – في حديثه عن تلك الفترة : نقلتها عن صـــحيفة (جمهـــوري إسلامي الفارسية) بتاريخ ١٩٨٢/٤/٨م.

١- حول الاسم والشكل التنظيمي/ أول نشرة كتبها الشهيد الصدر لثقافة الدعوة.

إذ يقول :

((لقد أسس الشهيد الصدر هذا الحزب على أساس الأصول الفقهية ويمكن القول بجرأة، ان هذا الحزب هو أول حزب في تاريخ التشيع تكّون على سير خط جعفر بن محمد الصادق عليه السلام. ومن المعلوم ان حزب الدعوة الإسلامية كان موضع غضب القوى الكبرى وعملائها في العراق، فقد أصدروا القانون المعروف ، على أن كل من ينتمي إلى حزب الدعوة ، أو انتمى ، أو يتعاون معهم بشكل مباشر أو غير مباشر ، فهو محكوم بالإعدام.

لقد كان الشهيد الصدر بمثابة الفقيه والأب الفكري والروحي لهذا الحزب، وكان احد الذين طرحوا فكرة الحزب ، إن لم يكن السيد الشهيد المقترح الأساسي لحزب الدعوة.

وكان قصد الشهيد من هذا التنظيم ، انتشاره بين طبقة المثقفين والطلبة الجامعيين لكي يكونوا عوناً وسنداً سياسياً واجتماعياً لخط المرجعية .

وكان الشهيد يحسّ ان هذه الفرصة يجب ان تغتنم وإلاّ – بسبب عدم وجود تنظيم قوي في الشباب خصوصاً الجامعيين والمثقفين – يتجهون صوب التنظيمات الأخرى اللاإسلامية ، أو النصف إسلامية أو الإسلامية المبنية على غير هذا الخط.

لهذا رأى في هذا الأمر ضرورة ملحّة. وطرحه وبقي يغذي التنظيم غذاءً فكرياً.

وبالتدريج نمت هذه البذرة التي بذرها الشهيد في الواقع بشكل (حزب الدعوة) الذي تنامى خصوصاً في طبقة الجامعيين والمثقفين وفي تلك الفترة كان اغلب هؤلاء – بشكل أو بآخر – ذا ارتباط مع هذا الحزب.

ان الكادر المركزي لحزب الدعوة يسير على هداه ويؤمن بلياقته الفقهية والإيديولوجية. ويمكن القول بان (٩٥٪) من الجوانب والمواضيع الفكرية لحزب الدعوة كانت تُستلهم من كتابات وأفكار الشهيد الصدر)).

***

لماذا العمل السري في بداية التأسيس

ولابد أن تكون خطوات التأسيس وما لحقها عملاً سرياً ، لــيس خشية من الدولة فحسب ، فان تحركهم لا ينبّه الدولة علــيهم كثيــراً [1] وإنما خشية من الذين كانوا يرون حرمة أي عمل سياسي الذي يجــب إيكاله إلى المهدي المنتظر عليه السلام .

ففي النجف ، كان من يعتقد بحرمة إقامــة الدولــة الإســلامية كالمجتهد الكبير الشيخ حسين الحلي، وقد أشار المرحوم الــسيد مهــدي الحكيم إلى ذلك[2] ، ولم يكن الحلي وحده، إذ ان الكثيرين كانوا مثله ، بل ان بعضهم كان يتمنى لو ينتشر الفساد ليكون مبرراً لظهور المهــدي – عليه السلام – بناءً على الرواية التي تقول انه بظهوره ســوف يمــلأ الأرض عدلاً وقسطاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، في الوقت الذي يعتبــر وجوب قيام حكم إسلامي من ضروريات الدين التي لا تحتاج إلى دليل.

يقول الشيخ محمد حسن النجفي في كتابه ((الجواهر)) عن تعداد أنواع الجهاد:

١– ومع ذلك فان الدعوة عندما أرادت أن تنقل (طابعة الحزب , الرونيــو) مــن بغداد إلى النجف , وجدت في ذلك صعوبة بالغة , إبتداء من شرائها ومن ثم نقلهــا من بغداد إلى النجف وأخيراً وضعها في مكان أمين للإستفادة منها .
فتبرع المرحوم الدكتور الشيخ أحمد الوائلي بمبلغ شرائها , ونقلت من بغــداد إلــى النجف بكتاب رسمي صدر من جمعية منتــدى النشر فــي النجــف ــ دون علــم الإدارة ــ ثم استقرت في إحد السراديب .
٢– مذكرات السيد مهدي الحكيم المطبوعة ص ٣٥

((الثاني أن يدهم المسلمين عدد من الكفار ، يخشى منه على بيضة الإسلام ، أو يريد الاستيلاء على بلادهم ، وأسرهم واخذ أموالهم وهذا واجب على الحر والعبد ، الذكر والأنثى ، السليم والمريض والأعمى والأعرج ، وغيرهم ممن احتيج إليهم ، ولا يتوقف على حضور الإمام أو نائبه.

ويقول الشيخ كاشف الغطاء الكبير :

((فأن عجز المجتهدون عن القيام به – الدفاع – وجب على كل من له القابلية السياسية وتدبير الحرب وجمع العساكر ، إذا توقف الأمر على ذلك القيام، وتجب على المسلمين طاعته، كما تجب عليهم طاعة المجتهدين في الأحكام ومن عصاه فكأنما عصى الإمام)) .

ويقول السيد علي الطباطبائي في كتابه (الرياض) بعد ان نفى الجهاد في بعض المواقع ((إلاّ ان يدهم المسلمين عدد يخشى منه على بيضة الإسلام. فيجب حينئذ بغير إذن الإمام أو نائبه)).

وقريب من هذا النص ما ذكره كلّ من السبزواري في (الكفاية) والعلامة في (التذكرة). والشهيدان في (اللمعة) و (الروضة).

ويقول الشيخ الطوسي في (المبسوط) بعد كلام في موضوع الجهاد :

((اللهم إلا ان يدهم المسلمين أمر يُخاف منه على بيضة الإسلام ويخشى بواره أو يخاف على قوم منهم ، فإنه يجب حينئذٍ دفاعهم

دفاعهم ويقصد به الدفاع عن النفس والإسلام والمؤمنين)).

ويقول الشيخ (محمد تقي الشيرازي) قائد ثورة العشرين :

((غير خفي على أحد أن موقف المسلمين في مثل هذا اليوم قد بلغت صعوبته وحراجته مبلغاً لا يسع العلماء الأعلام ان يسكتوا عنه كما لا يسع العشائر المتحفزين إلاّ بذل النفس والنفيس في سبيل هذه النهضة الدينية ، والحركة الواجبة الإسلامية (أي ثورة العشرين) فالواجب على عموم المسلمين أداء فريضة الدفاع عن حوزة الدين المبين)).

ويقول أيضاً :

((مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين، ويجب عليهم ضمن مطالبتهم رعاية السلم والأمن، ويجوز التوسل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الإنكليز من قبول مطالبهم)).

ويقول السيد الخميني :

((لو غشي بلاد المسلمين أو ثغورها عدد يخشى منه على بيضة الإسلام ومجتمعهم يجب عليهم الدفاع بأية وسيلة ممكنة من بذل الأموال والنفوس))[1]

***

١- الأقوال تلك، ابتداء من قول الشيخ محمد حسن النجفي إلى كلام السيد الخميني، كلها منقولة من كتاب (من الفقه السياسي في الإسلام) محمد صالح الظالمي ص ٩٩ - ١٠٠

إما السيد البروجردي فيقول :

((لا يبقى شك لمن تتبع قوانين الإسلام وضوابطه ، في انه دين سياسي اجتماعي ، وليست أحكامه مقصورة على العبادات المحضة المشروعة لتكميل الأفراد وتأمين السعادة في الآخرة ، بل أكثر أحكامه مربوطة بسياسة المدن وتنظيم الاجتماع، وتأمين سعادة هذه النشأة...

وذلك كأحكام المعاملات ، والسياسات من الحدود والقصاص والديات والأحكام القضائية المشروعة لفصل الخصومات ، والأحكام الكثيرة الواردة لتأمين الماليات التي يتوقف عليها حفظ دولة الإسلام كالأخماس والزكوات ، ونحوها....

ولأجل ذلك اتفق الخاصة والعامة على انه يلزم في محيط الإسلام وجود سائس وزعيم يدير أمور المسلمين ، بل هو من ضروريات الإسلام ، ولا يخفى ان سياسة المدن وتأمين الجهات الاجتماعية في دين الإسلام لم تكن منحازة عن الجهات الروحانية والشؤون المربوطة بتبليغ الأحكام وإرشاد المسلمين ، بل كانت السياسة فيه من الصدر الأول مختلطة بالديانة ، ومن شؤونها....

فكان رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – بنفسه يدبرّ أمور المسلمين ويسوسهم ، ويرجع إليه في فصل الخصومات ، وينصب الحكام للولايات ، ويطلب منهم الأخماس والزكوات ونحوها من الماليات...

وهكذا كانت سيرة الخلفاء من بعده من الراشدين وغيرهم، حتى أمير المؤمنين _ عليه السلام – فانه بعدما تصدى للخلافة الظاهرية، كان يقوم بأمر المسلمين ، وينصب الحكام والقضاة للولايات.

وكانوا في بادئ الأمر يعملون بوظائف السياسة في مراكز الإرشاد والهداية، كالمساجد ، فكان إمام المسجد بنفسه أميراً لهم....

وبعد ذلك كانوا يبنون المسجد الجامع قرب دار الإمارة، وكان الخلفاء والأمراء بأنفسهم يقيمون الجمعات والأعياد، بل ويدبّرون أمر الحج أيضا، حيث ان العبادات الثلاث، مع كونها عبادات قد احتوت على فوائد سياسية لا يوجد نظيرها في غيرها كما لا يخفى على من تدبّر....

وهذا النمو من الخلط بين الجهات الروحية والفوائد السياسية من خصائص دين الإسلام وإمتيازاته[1].

ويقول الفيض الكاشاني :

((فوجوب الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعاون على البر والتقوى والإفتاء والحكم بين الناس بالحق، وإقامة الحدود والتعزيرات، وسائر السياسات الدينة من ضروريات الدين، وهو القطب الأعظم في الدين، والمهم الذي ابتعث الله له النبيين، ولو تركت لعطلت النبوة، واضمحلت الديانة ، وعمّت الفتنة ، وفشت الضلالة.

١- البدر الزاهر في صلاة الجمعة والمسافر ص ٥٢ نقلاً عن كتاب (في انتظار الإمام) للشيخ عبد الهادي الفضلي ص ٧٨

وشاعت الجهالة ، وخربت البلاد ، وهلك العباد، نعوذ بالله من ذلك[1].

***

وبهذا الخصوص **يقول السيد مرتضى العسكري** :

انه بعد تأسيس حزب الدعوة الإسلامية ، كان قد ذهب إلى السيد الحكيم وتحدث معه حول ضرورة السعي لإقامة دولة تحكّم الإسلام في جميع الشؤون، فكان السيد الحكيم في البداية لا يـرى وجـوب ذلـك، ويستشهد بكثير من الآيات والروايات والحوادث التاريخية.

وكان السيد العسكري من جانبه يستشهد هـو الآخـر بآيـات وروايات وحوادث تاريخية تلزم المسلمين بذلك.

وأخيراً آمن السيد الحكيم – رحمه الله – بما يقوله السيد العسكري[2]

وعندما اشتد تعنـّت الشيوعيين في العراق ، وأثـاروا الغبـار حول توفـّر الإسلام على نظام كامل للحياة... ، وجّه السـؤال التـالي للسيد الحكيم ، والى عـدد آخـر مـن مراجـع التـقليد بتـاريخ ١٣٧٩/٣/٢٦ هـ .

١- مفاتيح الشرائع باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ٦١٧ منقول مـن كتاب الفضلي ص ٧١ – ٧٢

٢- حديث للسيد العسكري معنا بتاريخ ١٩٨٩/١٢/١٥

((هل في الإسلام نظام متكامل شامل يتناول جميع مظاهر الحياة بالتنظيم ، وجميع مشاكل الإنسان بالحل الصحيح الناجح ، ويعنى بشؤون الفرد والمجتمع عناية تامة في مختلف وشتى مجالات الاقتصاد والسياسة والاجتماع وغيرها؟ وهل الدعوة إلى تطبيق هذا النظام الإسلامي واجبة على المسلمين؟)) .

فأجاب السيد الحكيم:-

((نعم... في الإسلام النظام الكامل على النهج المذكور في السؤال، ويتضح ذلك بالسير والنظر في الأوضاع التي كان عليها المسلمون في العصور الأولى تجب الدعوة إلى هذا التطبيق))

ويقول السيد ميرزا عبد الهادي الشيرازي جواباً للسؤال المتقدم :

((لا ريب في ان دين الإسلام هو النظام الأتم الأكمل ، لما فيه الحل الصحيح لجميع مشاكل الإنسان ، في جميع الأعصار والأدوار ويجب الدعوة إلى تطبيقه)) .

ويقول السيد الميرزا مهدي الشيرازي ، جوابا للسؤال المتقدم أيضاً :

((نعم... الإسلام نظام متكامل شامل لجميع مظاهر الحياة، ويحل جميع مشاكل الإنسان بأفضل حل ، لم يسبقه في ذلك سابق ، ولا يلحقه فيه لاحق، صالح للتطبيق في جميع الأزمنة والأمكنة، قال الله تعالى ((اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)).

والدعوة إلى تطبيق الإسلام واجبة على جميع المسلمين، قال الله تعالى ((ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن))[1].

***

١- السؤال والأجوبة الثلاثة للأعلام (الحكيم والميرزا عبد الهادي والميرزا مهدي) موجودة في مخطوطة لدى الشيخ عبد الهادي الفضلي، نقلناها من كتابه (في انتظار الإمام) ص ٧٥ – ٧٦ .

لماذا اتخذت الحركة اسم (حزب الدعوة الإسلامية)

وجاء في الفصل الأول من ((النظام الداخلي لحزب الدعوة الإسلامية)) ما يلي:-

ان اسم حزبنا هو ((حزب الدعوة الإسلامية)) ذلك لأننا دعاة الله وأنصار للإسلام.. (قل هذه سبيلي أدعو....)).

وبما ان دعوتنا حركة في المجتمع وتنظيم للعمل وتحزب لله، لذلك فقد أطلقنا على كياننا ((حزب الدعوة الإسلامية)).

فحركتنا إسلامية تعتمد العقيدة الإسلامية وما ينبثق منها وما يبنى عليها كرابطة تربط بين أعضائها وتربطها بالأمة، ويشتد الترابط بينها وبين الأمة كلـّما تبيّنت وتوضحت الرابطة لدى أبناء هذه الأمة.

وتعمل حركتنا في جميع المجتمعات بغية جعل ((كلمة الله)) هي العليا وتحكيم الإسلام في جميع مرافق الحياة.

وهدفنا هو: تحقيق المجتمع الإسلامي بجميع مقوماته بعمل جماعي منظّم متواصل يتنامى بتأثيره إلى أن تتغير معالم المجتمع نوعاً وكمّاً، تغييراً شاملاً بإذن الله.

فهدف الدعوة الإسلامية هو تغيير واقع المجتمع البشري إلى واقع إسلامي، بتغيير المفاهيم والسلوك والأعراف والعلاقات على كل المستويات، على أساس من العقيدة والرابطة الأخلاقية الإسلامية

وإحلال الشريعة الإسلامية محل القوانين الوضعية تحقيقاً لإرادة الله سبحانه في عباده وابتغاء مرضاته جل شأنه وذلك عن طريق:-

١- تغيير الفرد المسلم، وإعداد وبناء الطليعة المؤمنة الواعية المجاهدة القادرة على إحداث التغيير الإسلامي الشامل في النفس والمجتمع إعداداً إسلاميا منظماً.

٢- بعث الفكر الإسلامي الأصيل من جديد، وتنقيته من الأفكار والمفاهيم الغربية التي علقت به.

٣- تهيئة وتعبئة الأمة فكرياً وروحياً وسلوكياً حتى تتغير معالم المجتمع بالتدريج ويتحقق المجتمع الإسلامي بجميع مقوماته.

٤- تحرير البلاد الإسلامية من السيطرة الاستعمارية الكافرة، وتوسيع نطاق الثورة الإسلامية في العالم.

٥- دعوة العالم إلى الإسلام.

وعليه فمجال الدعوة الإسلامية - مبدئياً - هو: الأرض كلها، لان دعوة الإسلام عالمية لا يحدّها إقليم أو عنصر أو لون، وتشمل كل قطاعات المجتمع ((قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً)) وعملياً يتحدد مجال العمل تبعاً للمصلحة الإسلامية العليا والظروف الموضوعية السائدة في المنطقة، والامكانات المتوفرة لدى الدعوة.

***

وجاء في الفصل الخامس

ثقافة الدعوة

العلم في الإسلام للعمل، ولا خير في علم لا عمل معه، ولا خير في عمل لا فقه فيه، فالذي يحدد الثقافة اللازمة لنا هو عملنا في الدعوة، وعملنا في الدعوة هو بناء كتلة قادرة على التصدي لأمور المسلمين بقدر يمكّن هذه الكتلة من مواصلة مسيرتها.

وتتوقف عملية تغيير المجتمع إلى الإسلام في نظر الدعوة على فهم الإسلام وفهم المجتمع، وفهم أسلوب تغيير المجتمع والشخصية الإسلامية المغيّرة.

ولذا كانت ثقافة الدعوة تشمل الخطوط الأربعة التالية:

الفكر العام، والفكر التنظيمي، والفكر السياسي، والفكر الإيماني.

أما مصادر ثقافة الدعوة فهي: القرآن والسنة بشكل أساسي، ونتاج المسلمين ونتاج العلوم المختلفة وتجربة الدعوة، والاعتبار بتجارب الأمم والمجتمعات والأحزاب.

١- **القران والسنة:** وهما المصدران الأساسيان لثقافة الدعوة، وإذا كان الاستهداء بالقرآن والسنة في الجانب التنظيمي والسياسي أمراً غير مألوف لدى بعض المسلمين وذلك لان نظرتهم إلى القرآن والسنة لازالت نظرة جامدة، فالحقيقة أن غناهما في هذين الجانبين كغناهما في الجوانب الأخرى.

٢- **نتاج المسلمين:** وهو كل نتاج إسلامي يستهدي بالقرآن والسنة ويتعلق بأمر الإسلام والمسلمين من فلسفة وعقيدة وفقه وتفسير وتاريخ وكتابات اجتماعية واقتصادية وسياسية وتربوية وحضارية وحركية.... الخ.

فالدعوة تنظر إلى هذا النتاج بتقدير على انه جهد المسلمين، جدير بان نستفيد منه وهي نظرة بين نظرتين: إحداهما مغالية تأخذ النتاج الإسلامي بتقليد وتقديس دون ان تميّز ما فيه من خطأ أو تأثر بأفكار غير إسلامية، والثانية مجحفة، همّها نقد نتاج المسلمين والانتقاص منه، ورفض جهود نافعة بسبب خطأ صغير أو كبير.

٣- **نتاج العلوم المختلفة:** وهو كل الحقائق التي توصل إليها العلم في حقل الطبيعة والاقتصاد والسياسة والاجتماع.... الخ مما له نفع في عملية الدعوة، وكذلك النظريات والفرضيات العلمية.

٤- **تجربة الدعوة:** ونقصد بتجربة الدعوة الاستفادة في فكر الدعوة من التجارب التطبيقية للفكر، التي مرّت بها الدعوة، فندرس النتائج ونكمل النقص الذي نلاحظه ونصحح الخطأ الذي نكتشفه.

٥- **تجارب الأمم والمجتمعات والأحزاب** : ونقصد بتجارب الأمم والمجتمعات والأحزاب والناس، الاستفادة منها في عملية الدعوة كتاريخ ووقائع جرت وفق سنة الله للحياة والعلاقات، فان مسار

الأمم والمجتمعات والأحزاب والأفراد من الناس مُليءَ بالأحداث والنتائج التي تنفع الدعوة.

ورب تجربة لشخص عادي من الناس تدلنا على باب من الحكمة، وتوفر علينا جهداً، أو تبعد عنا خطأ أو ترشدنا إلى خير و((الحكمة ضالة المؤمن يأخذها أينما وجدها)) نستفيد من هذه التجارب دون ان نتأثر بها بما ينافي الإسلام.

* * *

بعض الأسباب التي جعلت فكر الحزب ينتشر في الحوزة

لقد إستطاع حزب الدعوة الإسلامية أن يسير بخطوات جيدة في الحوزة العلمية بالنجف .

ولعل الذي ساهم في ذلك ما يلي :-

١- الشهيد الصدر نفسه , فإن وجوده في رأس الهرم في الدعوة كان عاملاً مهماً من عوامل الإقناع , لما يتمتع به السيد الصدر من كفاءة علمية وقوة في الطرح .

ولذلك كان مستهدفاً من قبل أعداء الدعوة وأعداء هذا الخط ولكنه بقي صامداً ويبعث الصمود عند الآخرين ويواجه التسقيط بالحجة , والشبهة بالبرهان .

٢- وكذلك فان الكثيرين كانوا قد أدركوا الوعي السياسي نتيجة للأوضاع التي ذكرناها في الصفحات السابقة.

ولا نجانب الحقيقة إذا قلنا إن طلاب الحوزة من غير العراقيين كانوا أسرع تقبّلاً لفكر الحزب الإسلامي , وكان كثير منهم طلاباً يدرسون لدى الشهيد الصدر.

أولئك الطلاب غير العراقيين كانوا يدأبون على الرجوع إلى بلدانهم في الصيف .

فكانوا ينقلون هذه الفكرة الجديدة معهم وتجد من يتحمس لها هناك. وينتمي إليها ويتبناها.

كان أكثرهم من لبنان ، كما كانوا من البحرين والخليج بصورة عامة، ومن إيران وأفغانستان وباكستان وأماكن أخرى .

***

ثم كانت الجامعات والمدارس مجالاً خصباً (للدعوة) وبعد ذلك كانت الأمة هي المجال الواسع.

ففكرة الحزب الإسلامي كانت تتحرك في الحوزة ولكن بصعوبة، على خلاف طلاب المدارس الأكاديمية , الذين كانوا يدركون تماماً ما يخططه الاستعمار للمسلمين ، وكانوا بالإضافة إلى ذلك يشاهدون تحرك الأحزاب غير الإسلامية، فكان ذلك يثير فيهم الحماس الإسلامي.

***

الحزب ينتشر رغم المعّوقات

وصمَدَ الدعاة الميامين لكل المعوقات والعقبات، واستنصروا الله واستنجدوا به فما خذلهم، وما جعل الوهن يدبّ فيهم، بل لعل تلك المعوقات كانت تحفزهم للعمل أكثر واشد لان يسلكوا طريق ذات الشوكة التي سلكها الأنبياء والمرسلون من قبل ، وكانوا كلما واجهوا محنة ازدادوا يقيناً واطمئناناً بأنهم على الحق سائرون.

وكانوا من الاطمئنان والقوة بحيث كانوا هم يذهبون إلى العلماء والمجتهدين يحدثونهم عن ضرورة العمل للإسلام.

إن الدعاة الأوائل، رحمهم الله أحياءً وأمواتاً، أولئك الذين طرحوا فكرة تأسيس الحزب الإسلامي في جو النجف كانوا قد وضعوا في حسبانهم كل تلك المعوقات، فلم ينكفئ منهم إلا واحد، لا للضجة الظالمة التي أثيرت ضدهم وإنما ترك العمل الحزبي خوفاً من السلطة إذا بلغها خبر التأسيس، ولكنه بقي صديقاً لزملائه، وحريصاً على (الدعوة) إلى ان توفي إلى رحمة الله.

وكانت كلما تمر الأيام يقل أولئك المعوقون وتنتشر فكرة الحزب ويكثر أنصارها والمدافعون عنها.

وللحقيقة فان ثلاثة من المؤسسين كان لهم تأثير كبير في أوساط الحوزة (الشهيد السيد محمد باقر الصدر ، والشهيد السيد مهدي الحكيم والسيد مرتضى العسكري).

فالأول – بنبوغه وفكره وتفاعله مع مجتمع الحوزة ومعروفيته في الأوساط العلمية.

والثاني – باعتباره نجل السيد الحكيم الذي كان في أيام التأسيس أحد أبرز مراجع المسلمين في العراق ، وكان دخول السيد مهدي إلى حلبة الصراع اكسب الدعوة زخماً قوياً حيث كان له تأثير في حاشية والده.

وأما الثالث – فقد كان معروفاً كشخص مفكر تربوي وسياسي يتبنى تأسيس المدارس ليخلق أجيالاً على هدي الإسلام.

واخذ الحزب يتوسع وينتشر، ووجدت الأمة في حزب الدعوة رواءً لضمئها. وحاجتها إلى التنظيم الجديد لتحقيق أهدافها النابعة من عقيدتها، وانفتحت على العمل رغم كل الظروف القاسية والعقبات الكثيرة ، فشملت نشاطاته مختلف الحقول الاجتماعية في العراق ، فكان هناك تنظيم للحوزة العلمية وقد ضم الكثير من العلماء وطلاب المدارس الدينية، ملأ فراغاً كبيراً في مجال التربية العلمية والتبليغ وتحريك الحس الديني فيها.

وكان هناك تنظيم آخر في الأوساط الجامعية.

كما كانت تنظيمات أخرى بين الشباب وبين صفوف النساء، مما شكل كل ذلك تياراً جماهيرياً إسلامياً.

ولعل سبب النجاح هو: خلو الساحة التي تحرك فيها الدعاة من العمل الإسلامي المنظم , والظرف السياسي المواتي ، والصدمة النفسية التي هزّت المشاعر لدى جمهور المسلمين والاستعداد الكامل لدى مجموعة الصفوة للعمل الإسلامي ، ناهيك عن شخصية الإمام الصدر الذي كان نابغة زمانه في الفقه والأصول والفلسفة والوعي بصورة عامة . وتعرض العمل في البداية إلى صدمات وهزّات ، كانت عنيفة في بعض الأحيان ، فقد أصيب بانسحاب بعض الأعضاء بسبب الضغط الاجتماعي والضغط السياسي.

إلا أنّ (الدعوة) كانت من الحيوية والكفاءة بحيث كانت تعوّض نفسها من مجاهديها باختيار دقيق، يأخذ العوامل المنظورة جميعها بنظر الاعتبار، مما كان يدفع العمل إلى الأمام بدلاً من اهتزازه وتضعيفه. وكان يتراكم في نفوس بعض الدعاة هموم إضافية وهزات عاطفية عنيفة بسبب هذه الصدمات... وكانت تعالج بصبر وأناة.

كان الدعاة المجاهدون المنتظمون من الوعي والكفاءة والروحية العالية والإخلاص لله وللعمل الإسلامي ، لا يأبهون لانسحاب منسحب أو تراجع متراجع.

وكان الإخوة المنسحبون من (الدعوة) على درجةٍ من الإيمان وروحية التعاون وحب العمل الإسلامي ، بحيث لم تصدر منهم عند

انسحابهم إشارة للتأثير على العمل في نطاقه العام ولم يقطعوا علاقتهم بالدعوة وتعاونهم حسب الظروف التي يعتقدون إنها تسمح بذلك.

ان العلاقة الإيمانية التي تربطهم بالدعوة وتربط الدعوة بهم من المتانة بحيث لا تتأثر بشكل جذري بالمؤثرات.

وقد كان لأسلوب الدعوة في التعامل معهم اثر كبير في استمرار العلاقة الحسنة.

إن القياديين الذين تركوا الدعوة ، قدموا لها خدمات جليّ، نسأل الله ان يعطيهم أجرها.

واستمرت المسيرة بانسجام اكبر وبعزيمة أقوى وبحكمة عملية أعمق وبحمل أثقل لهموم الدعوة والحمد لله.

وقد اثبت التنظيم فاعليته في العراق على رغم الأجواء الإرهابية التي عدم نظيرها في العالم ، ولعل التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع لحزب البعث في العراق يوضح حقيقة الإنجازات التي قام بها التنظيم الإسلامي وفاعليته، فجاء فيه :

((وبرغم ان المرحلة السابقة قد حفلت بالإنجازات العظيمة والتقدم الشامل في شتى نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، كما حفلت ببعض المعارك الضارية الساخنة، وبعضها كان من طراز المعارك التاريخية (تأميم النفط) ومع ان الحزب قد استقطب تأييد الجماهير، والتفافها معه... ومن بينها أوسع قطاعات الطلبة والشباب الذين آمنوا بمبادئه وعملوا تحت لوائه.. وانضموا إلى

منظماته الطلابية والشبابية.. برغم كل هذه الحقائق البارزة كانت المرحلة السابقة تفتقر إلى الاستمرارية بخط مضطرد ومتصاعد ضمن مقاييس تضع في إشعاعها كل المتطلعين للأمام والباحثين عن ملء الفراغ والبطولة والمجد ضمن مسيرتها وتفاصيل حياتها اليومية والشمولية في العملية الثورية... وشهدت تلك المرحلة حالات من الركود، وكانت توحي وكأن الثورة قد أصبحت مجرد نظام ... ومع ان الحزب كان ينتبه إلى ذلك بين الحين والآخر، كان يوفر مهاميز(كذا) لدفع العملية الثورية إلى الأمام، إلا ان ذلك لم يكن يتم بصورة مستمرة وبأسلوب شمولي يعم العراق كله ويعم كل ميادين الحياة الفكرية والسياسية والتنظيمية، لذلك بقيت في المجتمع الثوري نسبة معينة ولو كانت قليلة من المواطنين ومن الشباب بوجه خاص خارج المسيرة الثورية فلم يعيشوا سخونة هذه المسيرة، ولم يتأثروا بها بصورة مباشرة.

فوقفوا منها موقفاً سلبياً، وقد ركزت الأحزاب الدينية السياسية، وبخاصة حزب الدعوة على هذه الفئة، واصطادتها في فخاخها، ووعدت الشباب منهم بالمعارك الساخنة والتحديات الملحمية . ولابد ان نشير إلى ان أخطاء قد ارتكبت في أساليب تنظيم الشباب والطلبة، مما دفع قسماً من هؤلاء إلى الوقوع في شرك حزب الدعوة والحركات الدينية السياسية الأخرى.

وعلينا ان نلاحظ ان نسبة من الشباب الطموح إذا لم يتمكن الحزب من استقطابها وتلبية مطامحها في إطار منزوع يمكن ان تبحث عن طموحات غير مشروعة ومنحرفة في أوساط القوى المعادية))[١].

وقد كانت مساحة العمل للدعوة الإسلامية جغرافياً تشمل مختلف المدن في العراق، وكان الفكر الإسلامي الذي اعتمده الحزب أساساً والأهداف العالمية الكبرى للإسلام مبرراً لتوسيع مساحة العمل كي تشمل أقطاراً إسلامية أخرى، كما امتدت الدعوة الإسلامية إلى الطلاب الجامعيين في الخارج.

ان هذا التوسع الجغرافي والبشري يعبر عن كون حزب الدعوة الإسلامية قائماً على الرؤية الإسلامية الواضحة وكون صرخته هي صرخة المسلمين في واقعهم وخطه هو خط الإسلام الأصيل، الإسلام الذي يحكم الحياة.

***

١- التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع لحزب البعث العربي الاشتراكي في العراق ص ٢٩٥ - ٢٩٦

الحزب يهتم بالأمة اهتماماً كبيراً

أدرك حزب الدعوة الإسلامية منذ اليوم الأول ان الجمهور قد أغفل من الحساب , ولم يعتن به العناية المناسبة.

ولذلك فقد كان اهتمام الدعوة بالأمة اهتماماً كبيراً ، لأنها هي مادة التحرك والعمل , على أساس أن الجمهور يشكل في النظرية الإسلامية السياسية القوة والقاعدة الفاعلة والمؤثرة في مسيرة التاريخ....

وتتركز مسؤولية الحركة الإسلامية في تعبئة الجمهور وقيادته وتوجيهه ليقف قوة واحدة بوجه أعداء الله والإنسان.

***

وإن الاتصال بالأمة وانتشالها من الجهل والتخلف , وتغييرها نحو الطريق القويم هو من مهماتنا الأساسية , بل هو المهمة الأولى التي ينشدها الحزب في عمله الذي أخذ على عاتقه تغيير الأمة بناءً على القاعدة الأزلية التي وضعها الله سبحانه وتعالى للأنبياء والمرسلين وجميع المصلحين

(إنّ الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) حيث تبدأ عملية التغيير في الفرد نفسه , ثم في الأمة التي يعمل فيها المصلحون.

في حين أنّ الأحزاب الأخرى يريدون أن ينقاد لهم الناس إنقياد الأعمى الذي يسلـّم أمره لغيره , فيقوده ولا يدري هل يصل إلى شاطئ السلام أو الهلاك ؟

ولكن حزب الدعوة يريد لدعاته وللناس جميعاً أن يعوا الإسلام وعياً حقيقياً , ليعرفوا أن الإسلام ليس صلاة وصوماً فقط , وإنما هو نظام للحياة بأكملها , وإن هذا النظام هو الأفضل لأنه من الله سبحانه وتعالى , وليس من صنع البشر الذين يخطئون ويصيبون .

***

وحزب الدعوة وإن كان يثقف دعاته في حلقات حزبية من أفراد معدودين , قد يكونون خمسة في كل حلقة , ولكن الحزب كان يدير ندوات في أي مكان يستطيع .

ففي بيوت الدعاة كانت تقام ندوات من أفراد قد يتجاوزون الخمسين .

تبدأ الجلسة بقراءة القرآن الكريم

ثم يطرح مفهوم من مفاهيم الإسلام , يتحدث عنه المحاضر ويستشهد بالقرآن الكريم وأحاديث الرسول , وسيرة النبي (ص) والأئمة الطاهرين عليهم السلام , في الحرب والسلم والعلاقات العامة والخاصة في المسجد والبيت , مع أرحامه وعياله , وهكذا .

ثم تبدأ المناقشات والأسئلة والاستفسارات .

وربما تكون هذه الندوات في المساجد , ومن على المنابر , فقد كنا نمارس ذلك , ولم يكن باسم حزب الدعوة الإسلامية , وإنما هي أحاديث إسلامية عامة .

أو يتكلم الخطيب الذي يتحدث عن مأساة الحسين عليه السلام ثم يعرّج في حديثه إلى قضايا إسلامية معاصرة .

إضافة إلى أنّ عالم المنطقة[1] كان حديثه عن الإسلام في بيته ومسجده .

***

وفي عام ١٩٦٣ , أضيف إلى أساليبنا في الإلتقاء بالأمة أسلوب آخر , هو أسلوب المكتبات العامة , التي كانت ساحة خصبة مثمرة على مرّ الأيام .

فالمسجد الذي كان يشكو الغربة والفراغ , أصبح ممتلئاً بالشباب المصلين , وكأنهم كانوا في غفلة فانتبهوا .

واستطعنا أن نتخذ في الكليات مصليات خاصة , يصلي فيها الطلاب جماعة بإمامة احدهم , ولا بدّ أن يكون عقيب الصلاة محاضرة لا تتجاوز الخمس دقائق , نمرّ فيها مروراً سريعاً على الشأن الديني والسياسة بصورة هادئة .

ومواكب الطلبة كانت طريقاً للنفوذ إلى الأمة , فالتعاطف مع قضية الحسين عليه السلام في مواكب ومجالس وغيرها , دأب عليها

١- علماء المناطق , كان كثير منهم دعاة ووكلاء للإمام السيد محمد باقر الصدر.

الشيعة , وربما غيرهم أيضاً , ولكن الحكام منذ عهد سحيق كانوا يمنعونها أو يحرقونها , ولكن حزب الدعوة الإسلامية تبناها بقوة واستطاع أن يعيد إليها مغزاها وهدفها السامي .

أما الاحتفالات التي كانت تقام في كربلاء والنجف ابتداء بمناسبة ولادات الأئمة ووفياتهم عليهم السلام , ثم في المدن الأخرى , فكانت مهرجانات يتفاعل معها الناس .

ولا ننسى أنّ كلية الفقه ومن ثم كلية أصول الدين كانت منبعاً ثراً للوعي الإسلامي وإنّ الطلاب فيهما ــ في اغلبهم ــ كانوا يحملون شعلة الإسلام والدعوة إليه .

***

ولا نبالغ إذا قلنا أنّ حزب الدعوة الإسلامية انتشر في العراق ــ على رغم الهجمة الشرسة ــ التي تعرض لها في عهد البعث منذ عام ١٩٦٨ ــ انتشاراً واسعاً , أكثر مما كان في الأيام السالفة .

ولربما كانت تلك بما حملت معها من قتل وتعذيب وحبس ومصادرة أموال وملاحقات , تزيد في الأمة إصراراً على الانتساب إلى حزب الدعوة , حتى غدا العراق وكأن فيه حزبين , حزب البعث وهو الحزب الحاكم وحزب الدعوة الإسلامية الذي أنتشر في صفوف الأمة وكان كما يقول صدام حسين مثل (الثيّل) كلما قطعته نبت من جديد .

***

الأسس الإسلامية التي كتبها الشهيد الصدر

وكانت ثقافة الدعوة في البداية هي مواضيع عن الإسلام والتشريع، وما إلى ذلك، كتبها الشهيد الصدر بيده الكريمة، والتي كان قد سمّاها (الأسس) ومجموعها ثلاثة عشر أساساً، كتبها للدعاة فور عملية التأسيس واستمرّ بها إلى عام ١٩٥٨، وكانت هي مادة الدراسة في الحلقات الحزبية.

وهي في الواقع فكر جديد لم يكن مطروقاً من قبل، كانت تلك الأسس يتم تكثيرها بالكاربون على عدد الحلقات.

إما مواضيعها فهي كما يلي :-

الأساس الأول الإسلام.

الأساس الثاني المسلم.

الأساس الثالث الوطن الإسلامي.

الأساس الرابع الدولة الإسلامية.

الأساس الخامس الدولة الإسلامية دولة فكرية.

الأساس السادس شكل الحكم في الإسلام.

الأساس السابع تطبيق الشكل الشوروي للحكم في ظروف الأمة المعاصرة.

الأساس الثامن	الفرق بين أحكام الشريعة والتعاليم.
الأساس التاسع	مهمة بيان أحكام الشريعة. وتعيين القضاة ليست من مهام الحكم
الأساس العاشر	المقياس في السياسة الخارجية للدولة.
الأساس الحادي عشر	موقف الدعوة والدولة من النفوذ الكافر.
الأساس الثاني عشر	دعوتنا إلى الإسلام دعوة تغييرية.
الأساس الثالث عشر	من أين يبدأ التيار التغييري في الأمة.

***

من عناوين تلك (الأسس) نستطيع ان نكتشف بسهولة سعة أفق الشهيد الصدر واستيعابه لحاجة الأمة المسلمة لمواضيع من هذا القبيل.

وهي مواضيع جديدة على الفرد المسلم في حوزة النجف التي كانت تستبعد في الدراسة مواضيع متعددة، كالقضاء والديات والحدود، وما إلى ذلك، على أساس ان تلك مواضيع ليست محل ابتلاء المسلمين في الوقت الحاضر.

ولذلك فإن مواضيع (الأسس) بدأ يدرسها طالب حوزة النجف في الحلقات الحزبية وكأنه يدرس علماً جديداً كالفيزياء والكيمياء والهندسة، وهو ما أثار المحافظين الذين كانوا يرون (البركة) في الدروس التي نشأوا على تلـقّيها آباءً وأجداداً، ويرون ان المساس بها يسلب منها تلك البركة الموروثة.

والشهيد الصدر، وإن كان نابغة في الفقه والفكر، وهو ابرز مؤسسي حزب الدعوة الإسلامية ، إلا انه لم يكن يرغب ان يقوم بهذا العمل الجبار دون ان يخبر بذلك أستاذه (السيد أبو القاسم الخوئي)، بل ويعرض عليه الأسس التي كتبها بهذا الشأن.

يقول السيد الصدر بهذا الخصوص :-

ذهبت إلى السيد الخوئي وشرحت له وضع المجتمع وضرورة وجود دولة إسلامية وقلت له ، بغير وجود حزب منظم يتبنى مذهب أهل البيت – عليهم السلام – ويعرض الإسلام الحقيقي الذي أتى به الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم –، بغير هذا لا يمكن إقامة الدولة .

فاستبشر السيد الخوئي بذلك وقال :

هذا هو الذي يجب ان يكون.

وعندما ذكرت له بأننا شكّلنا هذا الحزب، فرح للغاية.

بعد ذلك عرضت عليه الأسس وطلبت منه إبداء ملاحظاته عليها، فاستلمها ووعد بذلك.

وبعد إطلاع السيد الخوئي على الأسس ناقشتها معه في جلسة أخرى، فكانت له بعض الملاحظات، من أهمها إشكاله على ما يتعلق بموضوع المرتد الفطري والمرتد الملّي، حيث جاء في الأسس ان توبة المرتد الفطري تقبل في زمن الشبهة، وهذا خلاف رأي باقي العلماء الذين كانوا يرون ان توبة المرتد الفطري لا تقبل ، وتقبل توبة المرتد

الملّي الذي يسلم ثم يرتدّ ثم يسلم.

يقول السيد الصدر:

فبدأت أناقش السيد الخوئي في إشكاله ، وكان النقاش ينصب حول (إلحاد الشيوعيين) هؤلاء حسب العرف السائد مرتدون فطريون لذا فلو أقمنا الدولة الإسلامية هل نعتقلهم؟ وإذا شهد عليهم الشهود بالردة هل نقيم عليهم الحد ونقتلهم؟ الحل غير عملي ، بعد ذلك اخذ النقاش بين السيدين منحى فقهياً خلص فيه السيد الصدر إلى اعتبار هذا الزمن زمن شبهة (بالاصطلاح الفقهي) فيما إذا أقيمت الدولة الإسلامية، وبذلك يمكن ان تقبل توبة المرتد الفطري ، فوافق السيد الخوئي السيد الصدر فيما ذهب إليه من حكم شرعي ، بعد ذلك عرض السيد الصدر الأسس على خاله الشيخ مرتضى آل ياسين.

****

ولو وسعنا المجال لذكرنا تلك (الأسس) مفصلة ، ولكننا سوف نكتفي ببعضها:

الأساس رقم -١-

الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الإسلام في اللغة هو الاستسلام والانصياع، وبهذا المعنى كان صفة للدين الإلهي بشكل عام في قوله تعالى ((إن الدين عند الله الإسلام)) وآيات أخرى.

أما المعنى الاصطلاحي للإسلام فهو (العقيدة والشريعة اللتين جاء بهما من عند الله تعالى الرسول الأعظم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله) وهذا المعنى هو المقصود من الإسلام في قوله تعالى ((اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً))

ونقصد بالعقيدة مجموعة المفاهيم التي جاء بها الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - التي تعرّفنا خالق العالم وخلقه ، ماضي الحياة ومستقبلها ودور الإنسان فيها ، ومسؤوليته أمام الله ، وقد سميت هذه المفاهيم عقيدة لأنها معلومات جازمة يعقد عليها القلب. فالإسلام إذن مبدأ كامل لأنه يتكون من عقيدة كاملة في الكون ينبثق عنها نظام اجتماعي شامل لأوجه الحياة ويفي بأمسّ وأهم حاجتين للبشرية ، وهما القاعدة الفكرية والنظام الاجتماعي.

***

الأساس رقم -٥-

الدولة الإسلامية دولة فكرية

لما كانت الدولة هي المظهر الأعلى للوحدة السياسية التي توجد بين جماعة من الناس، فلا بد ان تكون وحدتها انعكاساً لوحدة عامة قائمة بين الجماعة.

وهذه الوحدة العامة بين الناس التي تنعكس في الوحدة السياسية تارة تكون وحدة عاطفية وأخرى تكون فكرية.

فالوحدة العاطفية هي العاطفة الواحدة التي يحسها ويشترك فيها جماعة من الناس بسبب من الأسباب، كاشتراكهم في إقليم متميّز بحدوده الجغرافية أو اشتراكهم في قومية متميزة بلغة أو دم أو تاريخ معين.

وأما الوحدة الفكرية فهي عبارة عن إيمان جماعة من الناس بفكرة واحدة تجاه الحياة، يقيمون على أساسها وحدتهم السياسية، وهذه الوحدة هي الوحدة الطبيعية والجديرة بأن ينشأ على أساسها كيان سياسي موحّد متمثل في دولة، بعكس الوحدة العاطفية، لان العاطفة لما كانت لا تعني بطبيعتها الموقف السياسي للأمة ولا نظرتها العملية نحو الحياة، فبالتالي لا يمكن ان توجد للأمة حكماً ونظاماً، لان الحكم والنظام إنما يوجده الفكر، ولذا كان الفكر هو القاعدة الطبيعية للحكم وكانت الوحدة

الفكرية هي الوحدة الصالحة لتعليل الوحدة السياسية المتمثلة في الدولة تعليلاً علمياً.

على ضوء ذلك نستطيع ان نقسم الدولة ولو بصورة غالبة إلى ثلاثة أقسام:-

١- الدولة الإقليمية: وهي التي تعكس في وحدتها السياسية الوحدة الإقليمية.

٢- الدولة القومية: وهي التي تستند وحدتها السياسية من القومية الموحدة.

٣- الدولة الفكرية: وهي التي ترتكز في وحدتها السياسية على وحدة فكرية معينة.

والدولة الإسلامية من القسم الثالث، ومن طبيعة الدولة الفكرية أنها تحمل رسالة فكرية ولا تعترف لنفسها بحدود إلاّ حدود ذلك الفكر, وبذلك تصبح قابلة لتحقيق رسالتها في أوسع مدى إنساني ممكن، وكذلك الدولة الإسلامية فإنها دولة ذات رسالة فكرية التي هي الإسلام. والإسلام دعوة إنسانية عامة بعث بها النبي محمد – صلى الله عليه وآله وسلم- إلى الإنسانية كافة في مختلف العصور والبقاع بقطع النظر عن الخصائص القومية والإقليمية وغيرها، كما يدل على ذلك قوله تعالى (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون) وقوله تعالى (قل أي شيء اكبر شهادة، قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحي إليّ هذا

القرآن لأنذركم به ومن بلغ) مع آيات ونصوص أخرى كثيرة لا تـدع مجالاً للشك بان الإسلام رسالة عالمية لا إقليمية ولا قومية.

الأساس رقم -٨-

الفرق بين أحكام الشريعة والتعاليم

أحكام الشريعة الإسلامية المقدسة هي الأحكام الثابتة التي بُيـّنتْ في الشريعة بدليل من الأدلة الأربعة (الكتاب والسنة والإجماع والعقل) فلا يجوز في هذه الأحكام أي تبديل أو تغيير لأنها ذات صيغة محـددة شاملة لجميع الظروف والأحوال، فلا بد من تطبيقها دون تصرّف.

ولنضرب لذلك مثلاً بإلزام الأمة الإسلامية بإعداد ما تستطيع من القوة في مواجهة أعداء الإسلام، فهو حكم شرعي نصّت عليه الشريعة في بعض أدلتها كما في قوله تعالى ((واعدوا لهم ما استطعتم من قوة)) ولذلك فهو حكم ثابت شامل لجميع الظروف والأحوال.

أما التعاليم أو القوانين فهي أنظمة الدولـة التفـصيلية، والتـي تقتضيها طبيعة الأحكام الشرعية الدستورية لظرف من الظروف، ولـذا فهي قوانين متطورة تختلف باختلاف ظروف الدولة،ومنشأ التطور فيها إنها لم ترد في الشريعة مباشرة وبنصوص محددة، وإنما تستنبط مـن أحكام الشريعة على ضوء الظروف والأحوال التي هي عرضة للتغيير والتبدل.

ويدخل في الأحكام الشرعية كل حكم دلّ عليه الحكم الشرعي بصفته المعينة ، كحكم وجوب الصلاة والزكاة والخمس والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكافة التفاصيل المحددة التي جاءت بها الشريعة المقدسة.

ومثال التعاليم ، إلزام المسلمين القادرين بالتدريب على القتال، فان هذا الحكم ليس حكماً شرعياً ثابتاً في كل الأحوال، ولم يدل عليه دليل من الأدلة الأربعة بهذه الصفة المعينة، ولذا لم يكن إلزام بالتدريب أيام الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – إلا قليلاً حيث كانت وسائل الحرب بسيطة ومتداولة، والحاجة إليها والتدرب عليها يكاد يكون عاماً.

وأما في الظروف الحاضرة فقد أصبح التدريب من أسباب القوى التي يجب رصدها وإعدادها، فهو – لذلك – تعليم تقتضيه طبيعة الحكم الدستوري الذي هو وجوب إعداد القوة القتالية.

وهكذا يدخل في التعاليم كل أحكام القوانين التي تقتضيها طبيعة الأحكام الشرعية، كقانون الشرطة وقانون الاستيراد والتصدير وقوانين التعليم والتخصص، وقانون العمل، وأمثالها مما تقضي به طبيعة الأحكام الشرعية في ظرف من الظروف.

وعلى ضوء ما سبق نعرف ان اصطلاح ((الدستور الإسلامي)) حينما يطلق على الشريعة المقدسة هو أوسع من المصطلح المتعارف

للدستور، لأنه يشمل كافة أحكام الشريعة الخالدة، حيث تعتبر بمجموعها أحكاماً دستورية.

كما ان وصف التعاليم والقوانين بالأحكام الشرعية هو وصف صحيح، وان كانت أحكاماً ظرفية، لأنها تكتسب الصفة الشرعية ووجوب التنفيذ شرعاً من الأحكام الشرعية التي اقتضتها، ولان الجهاز الحاكم العادل قد تبنّاها من اجل رعاية شؤون الأمة، والحفاظ على مصلحتها ومصلحة الإسلام العليا.

كما نعرف ان المرونة التشريعية التي تجعل أحكام الإسلام صالحة لجميع الأزمان، ليس معناها ان الإسلام قد سكت عن الجوانب المتطورة من حياة الإنسان، وفسح المجال للتطور ان يشرّع لها من عنده، وإنما معناها ان الإسلام أعطى في تلك الجوانب الخطوط العريضة الثابتة، بحيث ان التطورات المدنية للإنسان لا توجب تغير هذه الخطوط وتبدلها، وإنما تؤثر في القوانين والتعاليم التي تباشر تنظيم الحياة في ظروف تقصر أو تطول.

***

الأساس رقم -١٢-

دعوتنا إلى الإسلام دعوة تغييرية

الدعوة الإصلاحية هي الدعوة التي تستهدف إصلاح جانب معين من جوانب الواقع القائم، متغاضية في حقل نشاطها العملي عن سائر جوانبه الأخرى وعن الركائز الأساسية التي يبنى عليها الواقع بصورة عامة، أي أنها تسعى إلى إنشاء البنيات الفوقية التي تأتلف منها شخصية الأمة دون ان تنفذ إلى البنيات والجذور الرئيسية في شخصيتها.

والدعوة التغييرية هي: الدعوة التي لا تدين بالواقع الذي تعيش فيه الأمة من أساسه لأنه يناقض مبدأها جملة وتفصيلاً، فتبني عملها على تغييره تغييراً جذرياً، وذلك بحمل رسالة فكرية تبشر بها لإنشاء شخصية الأمة إنشاءً جديداً بكل بنياتها الأساسية والفوقية وإنشاء الحياة على قواعد تلك الرسالة وركائزها المحددة، سواء في النظرة الفلسفية نحو الكون والحياة، أو المقياس العملي العام للحياة، أو في طريقة التفكير التي يتكون بها الكيان الاجتماعي للأمة.

ولدى السؤال: ماذا يجب ان تكون دعوتنا إلى الإسلام، إصلاحية أم تغييرية؟

علينا ان ننظر إلى الظروف التي يعيشها الإسلام ومدى وجوده في واقع الأمة، فإن هذه الظروف هي التي تحدد نوع الدعوة إلى الإسلام.

فإذا كان الإسلام هو القاعدة الرئيسية التي يبتنى عليها نظام الحياة وكيان الأمة، وكانت العقيدة الإسلامية هي القاعدة الفكرية والدستورية للدولة، والمنهج العام لمختلف ألوان النشاط الفردي والاجتماعي والسياسي ، كان للدعوة ان تتخذ طريق الإصلاح للحفاظ على القاعدة الأساسية للدول، وإصلاح الجوانب التي لا تنسجم مع هذه القاعدة.

أما إذا فقد الإسلام مركزه من القاعدة الأساسية واستبدل بغيره من القواعد الفكرية، أو استبدل باللاقاعدة، فان الدعوة إلى الإسلام يجب ان تكون دعوة لإعادة الإسلام إلى مركزه من الدولة ومن الأمة في عملية تغيير شاملة لكل الواقع اللاإسلامي.

ومن الواضح ان الظروف التي يعيشها الإسلام منذ نهاية الحرب الأولى هي الظروف الثانية، إذ قوّض المستعمرون الدولة الإسلامية ودخلوا بلاد المسلمين وتقاسموها وقاموا بعملية انقلاب شامل في حياة الأمة، وأقصوا العقيدة الإسلامية عن وضعها الرئيسي في كيان الأمة السياسي والاجتماعي، ووضعوا الأمة في أطُر فكرية وسياسية غريبة عن عقيدتها، من الديمقراطية الرأسمالية والاشتراكية، وما إليها من الأطر اللا إسلامية.

لذلك فان واجب الدعوة في ظروف الإسلام الحاضرة ان تكـون دعوة تغييرية انقلابية تهدف استبدال القواعد اللاإسلامية التي أقيم عليها الحكم والحياة الاجتماعية للأمة بالقاعـدة الفكريـة للإسـلام ونظامـه الاجتماعي للحياة .

ومما ينبغي الالتفات إليه إن ظروف الإسلام حيث توجب علينـا انتهاج الطريق التغييري الجذري في العمل ، فان ذلك لا يعني إننا نقف من الدعوات والمشاريع الإصلاحية موقف الرفض والعداء، وذلـك لان الإسلام يوجب علينا تطبيق ما أمكن من أحكامه في أي جانب من حياة الأمة ، وان لم يمكن تطبيق أحكامه في الجوانب الأخرى ، مادام العمل الإصلاحي تطبيقاً للإسلام في أي مساحة من حياة المجتمع ، فهو عمل إسلامي صحيح ، كما لا يعني ذلك إننا لا نقوم بالأعمـال الإصـلاحية وذلك لان التغيير الكلي يتوقف على تغييرات جزئية متعددة.

منهجنا في الدعوة إذن هو تأييد وتوجيه المـشاريع والـدعوات الإصلاحية، والقيام بالعديد من الخطوات والمشاريع الإصلاحية التي تقع في طريق التغيير أو تؤثر عليه من قريب أو بعيد.

نعم لا بد لدعوتنا التي تهدف التغيير الكلي في المجتمع ان تقارن بين مجالات العمل وتجنّد الطاقات لما هو أكثر فائدة للإسلام وتأثيراً في عملية التغيير الشاملة.

***

صوت الدعوة

نشرة مركزية لحزب الدعوة الإسلامية , صدر منها منذ التأسيس حتى عام (٢٠٠٤) حوالي خمسين عدداً , إضافة إلى مواضيع أخرى وبيانات غير مدرجة في النشرة , كانت تعالج شتى مشاكل الحياة السياسية والاجتماعية والتغييرية للحزب .

كانت في البداية تكتب بأقلام (الكوبيا) ثم تطبع على الرونيو ثم بالمطابع الحديثة .

ندرج عناوينها على سبيل المثال :

الوعي التغييري .

من الذي يحرك المجتمع؟

الشخصية الإسلامية.

الارتباط بالله والازدواجية.

التخلف السياسي.

الخطة الأمريكية في الشرق الأوسط.

الإستعمار .

الداعية في سيره التكاملي.

جولة استعمارية في القارات الأربع.

حول العلاقات بين التنظيمات الإسلامية.

كيف تكون المصلحة الخاصة خطراً على الحزب ؟

إلى آخر ما هنالك من مواضيع قد تربو على الخمسمائة عدا البيانات والخطابات والتحليلات.... .

***

رسالة المسجد

ومن المناسب أن نتعرض إلى موضوع (رسالة المسجد) وهو موضوع حيوي كتب عام ١٣٩٧هـ ، ونشر في الجزء الثاني من (ثقافة الدعوة الإسلامية) عام ١٤٠١هـ على ثمانية وعشرين صفحة ولسعة الموضوع، فإننا سوف نقتبس منه بعض المقاطع :-

... كما إن الصلاة علامة المسلم ، فان المسجد علامة على إن المحلة محلة مسلمين ، نلاحظ إن الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – أقام المسجد في يثرب في أول وصوله.

فكيف نرضى ان تتوسع المدن الإسلامية وتبنى مناطق سكنية شاسعة ولا يبنى فيها مسجد؟

كيف يرضى المسلمون بذلك؟

الداعية يولي هذا الأمر اهتماماً ، ويعمل لبناء مسجد في المنطقة السكنية التي لا تحتوي مسجداً، والكلام مع المسلمين في هذا الموضوع مقبول لديهم، اللهم إلا المتأثرين بسموم الفكر الغربي الذي يعتبر المدرسة والمستشفى أهم من المسجد.

ان للمدرسة أهميتها الخاصة.

وللمستشفى أهميتها الخاصة.

وللمسجد أهميته الخاصة أيضاً، ولا تعارض بين هذه المؤسسات وغيرها من المؤسسات العامة.

والأفضل ان يكون المسجد وسطاً بين الناس، ولنا في مسجد رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – أسوة حسنة.

ان السعي لبناء مسجد يمكن ان يكون نوعاً من التحريك الاجتماعي أو التحريك السياسي إذا ربط بناء المسجد بحياة الأمة ومشاكلها.

فالمسجد مكان للصلاة ومكان لتدارس أوضاع المسلمين ومكان للتعليم وللدراسات العليا.

وقد أزيح المسجد عن موقعه بالتدريج إلى ان غدت بعض المساجد مهجورة.

والخطوة الأولى لإعادة المسجد إلى عهده ان يكون المسجد عامراً بالمصلين، إنها الخطوة الأولى ، وان ندعو الناس إلى ذلك.

ولتكن مساجدنا وجوامعنا عامرة بالمصلين، ولكي يكون الأمر مؤثراً في هذا المجال ، ندعو إلى الصلاة التي عادة لا يصليها الناس في المساجد، وإذا نجحنا في جذب بضعة أشخاص لصلاة الفجر في المساجد، والتزمنا بذلك فان له أثراً نفسياً على مجموعة المتدينين من

الذين لا يلتزمون بصلاة الفجر في المساجد، وصلاة الفجر في المساجد لها اثر كبير في النفوس.

وقد يكون في الأمر صعوبة، وتقل الصعوبة، كلما كانت البيوت قريبة للمساجد، والأمر يحتاج إلى واقع إيماني يملأ الجوانح.

وكذلك علينا ان نقيم صلاة الجمعة أنّى يتاح لنا ذلك، ونجاحنا في إقامة صلاة الجمعة فتح جديد، يفيد العمل لإعادة الإسلام إلى الحياة أيّما إفادة.

ان صلاة الجمعة وصلاة الجماعة هما من جملة الخطوط العملية الأصيلة التي وضعها الإسلام لجعل المسلمين امة كالبنيان المرصوص، والاهتمام بإحيائها بشكل واسع هو جزء من تجمع الأمة التي فرّقها الاستعمار وشتّتها.

الصلاة عبادة، والالتزام بالصلاة في المسجد عبادة، وتبليغ جماعة المسجد الذين يلتزمون بالصلاة فيه، وأهل المنطقة من خلالهم بأحكام الإسلام وأفكاره بالحكمة والموعظة الحسنة والعمل الصالح عبادة.

((ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين))

***

أما سلوك الداعية في المسجد، فان الداعية المؤثر هو الذي يفعل ما يقول، والذي يتمسك بحدود الشريعة ويدخل في أمور المستحبات بما تسعه نفسه ويكون رزيناً هادئاً نشيطاً محباً للآخرين، ودوداً في تعامله، صادق الوعد، متخذاً رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – أسوةً حسنة له.

يسير في عمله على هدى الإسلام، فيحب لله ويرضى لله، ويغضب لله، ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويتخير الداعية اسلوباً هادئاً للتعرف على المصلين وتوثيق الصلة بهم، والاهتمام بأمورهم اهتمام رعاية.

ان آفاق العمل في المسجد واسعة، تبدأ بالالتزام بصلاة الجماعة وتنتهي بتحريك جمهور المسلمين بفعالية نحو الإسلام.

على الدعاة ان يحثوا المصلين على العبادات ثم العمل الجماعي في سبيل الله بالتصدي للأمور الاجتماعية والاقتصادية والسياسية على مستوى الأمة الإسلامية.

وهكذا يتعرض الموضوع إلى نقاط مهمة:

١- نشاطات المسجد.

٢- رفع الشعارات المناسبة في المسجد.

٣- التدريس في المسجد.

٤- الدعاء.

٥- المكتبة.

٦- نشرة الحائط.

٧- المسجد في رمضان.

٨- السفرات الجماعية.

٩- المرأة في المسجد.

١٠- لجنة المسجد، وعناصرها وتوزيع المسؤوليات.

***

أهداف حزب الدعوة الإسلامية

الهدفية والغاية في العمل السياسي ، هي من أبـرز العناصـر الداخلة في مسار هذا العمل.

فالربانية وتعبيد الإنسان لله سبحانه وتعالى وتحرير الناس مـن عبادة الطواغيت، وبناء الحياة والحضارة الإنسانية على أساس الإسلام وتوعية أبناء الأمة الإسلامية بصورة خاصة والبشرية بصورة عامـة هي من أهم الأهداف والغايات الأساسية للعمل السياسي الإسلامي.

فالحزب الذي لا يحدد أهدافه بوضوح، ولا يشخّص غاياته مـن أول المسير، يبقى حزباً ضائعاً مايعاً يسهل تصيّده وإذابته.

ولقد منَّ الله على الدعاة العاملين في صفوف حزبنـا بالرؤيـة الإسلامية الواضحة وبطهارة الوسيلة وسمو الغاية والهدف.

وهدفنا بصورة عامة هو (تغيير واقع المجتمع البشري إلى واقع إسلامي , بتغيير المفاهيم والسلوك والأعراف والعلاقـات علـى كـل المستويات , على أساس من العقيدة والرابطـة الأخلاقيـة الإسـلامية وإحلال الشريعة الإسلامية محل القوانين الوضـعية تحقيقـاً لإرادة الله سبحانه في عباده وابتغاء مرضاته) .

ويمكن تقسيم أهداف حزب الدعوة الإسلامـيـة إلـى قسمين :

أهداف مرحلية .

وأهداف نهائية .

وفي واقع الأمر فانه يصعب وضع خطوط دقيقة فاصلة بين هذين النوعين من الأهداف.

فالأهداف المرحلية ستؤدي إلى تحقيق الأهداف النهائية نظراً لتشابك وتداخل الأهداف، ولكن يبقى العامل الزمني الذي له الدور الأكبر في وضع الفارق بين هذه الأهداف.

فبعض هذه الأهداف يحتاج تحقيقها إلى مدى زمني قصير، أما الأهداف النهائية فإنها تحتاج إلى وقت أطول.

ومن الممكن القول ان الأهداف المرحلية تتضمن:

١- القيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أجل إزالة مظاهر الفساد بكل أنواعه.

٢- بث الوعي الإسلامي وتعميق الثقافة السياسية بين أفراد المجتمع.

٣- تربية الأمة تربية ايجابية، وزيادة طاقاتها من النواحي الفكرية والروحية.

٤- إزالة ما ترسخ من تقاليد وأفكار غريبة داخل المجتمع واستبدالها بالأفكار والمفاهيم الإسلامية.

٥- تعميق الوعي الحركي التنظيمي بين أفراد المجتمع خصوصاً الملتزمين منهم.

٦- بعث الفكر الإسلامي الأصيل ونشر الوعي في صفوف الأمة.

٧- تصحيح المفاهيم التنظيمية للحركات الإسلامية وتجنب الاعتماد على تجارب الحركات غير الإسلامية، وبناء التنظيم على أساس القرآن والسنة الشريفة.

٨- نشر الثقافة السياسية وتعميق المنهج الإسلامي في التقويم والتحليل السياسي، وخلق الذهنية السياسية الإسلامية.

٩- تطهير المجتمع من التقاليد والأعراف الغريبة، وبعث الروح الإسلامية شكلاً ومضموناً في حياة الناس.

١٠- تربية الأمة التربية الإيمانية الصحيحة التي لا ينفصل فيها المضمون عن الشكل في الممارسات العبادية.

وعلى صعيد الفرد يهدف الحزب إلى تجديد بناء الشخصية الإسلامية والأسرة المسلمة بكل مقوماتها من تربية وثقافة وسلوك.

أما الأهداف النهائية فهي.

١- تحقيق المجتمع الإسلامي وتغيير علاقات الأفراد لتنسجم مع الإسلام.

٢- القيام بواجب دعوة العالم إلى الإسلام من باب الرسالة العالمية التي أخذها الإسلام على عاتقه.

ولابد لكي يستطيع الداعية ان يحقق أهدافه الكبرى، من ان تكون له قوة فاعلة وقدرة على تحليل الواقع الذي يعيشه، ولابد ان يعمل على إيجاد الوعي السياسي والاجتماعي الإسلامي، وتشخيص أمراض المجتمع الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية.

ولا يمكن للعاملين في حقل السياسة والصراع السياسي أن يعملوا دون أن يملكوا النظرية والوضوح والفهم السليم لواقعهم الاجتماعي والسياسي ويعرفوا العوامل والقوى السياسية والاجتماعية الأخرى المؤثرة في بنية المجتمع.

وكم كان دقيقاً ورائعاً قول الإمام الصادق – عليه السلام – :

((العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوّابس))

وكم كان رائعاً ومشخصاً ما جاء في حديث آخر:

((اعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس))

إن معرفة القوى الدولية ونشاط الأحزاب والأجهزة الاستعمارية وطبيعة أنظمة الحكم وكشف عمالته وارتباطها بالأجنبي وتوفير درجة عالية من الوضوح والفهم السياسي لأمر ضروري استشعر أهميته حزب الدعوة الإسلامية من بداية تأسيسه.

لذلك طرح مفاهيمه وثقافته السياسية المبلورة لدعاته لكشف النشاط الاستعماري... ورفع الستار عن الوجوه السياسية المضللة وكشف الأنظمة والحكام والعملاء ليربّي جيلاً من الدعاة يملك الاصالة

والوضوح الفكري لمواجهة التضليل الإعلامي ووسائل الخداع التي يتسترّ بها الحكام والأنظمة والمؤسسات العلمية.

ان عملية كشف النظريات والمبادئ الجاهلية وفضح العملاء والمخططات التي تمارسها القوى المستكبرة في العالم، مقدمة ضرورية لإحداث التغيير والتحسس بالواقع السيئ، لتعرف الأمة أعداءها المتربصين بها، الذين ينهبون خيراتها ويهدمون عقيدتها ويحاربون رسالتها وحضارتها ويحتلون أراضيها ويصادرون كرامتها وإرادتها بحراب عملائهم من الحكام والجواسيس والصنائع.. وبوسائل تضليلهم وإغرائهم... فكان تحليله وتشخيصه للأنظمة وللشخصيات دقيقاً وواقعياً.

إن حزب الدعوة الإسلامية قد شخّص الارتباط بعد تحليله لأنواع العملاء والمرتبطين... فخلص بنتيجة ان كل من يحارب الإسلام فهو عميل مرتبط... ذلك لأنه لابد وان يسبح دائماً في الأجواء الدولية التي يخلقها الاستعمار ويتصرف من خلال السياسة والمصالح التي تخططها قوى الاستكبار وينادي بالأفكار والمفاهيم الحضارية التي جاء بها الاستعمار.

ولقد حرص حزب الدعوة الإسلامية منذ البداية، منذ قسّم مراحل عمله، وكانت البداية هي مرحلة التغيير، حرص على:

١- إشادة وتشخيص القواعد والأسس الفكرية والثقافية والسياسية والعقائدية والتربوية.

٢- إعداد كتلة منظمة وطليعة مدرّبة قادرة على حمل المسؤولية الشرعية في عملية الصراع والمواجهة، وإقامة الإسلام وتطبيق أحكامه وفق رؤية قرآنية أصيلة.

٣- تربية الدعاة وإعدادهم إعداداً إسلامياً يقوم على أسس إيمانية وربانية.

٤- التوعية والتثقيف الإسلامي الجماهيري لإيجاد أرضية شعبية وقوة جماهيرية، وإحداث نقلة نوعية في تفكير الأمة باتجاه الإسلام وقيمه المقدسة وإيجاد التفاعل والتمازج والتجانس بين مختلف قطاعات الأمة وبين الحركة ليسهل عليها خدمة الإسلام وتنفيذ غاياته الهادفة.

٥- إنضاج مفاهيم ونظريات وتصورات مستقبلية لصيغة الحكم والسياسة والبنية القانونية والسياسية والتنظيمية للمجتمع والدولة.

***

ومن خلال ما تقدم يبدو لنا جليّاً ثقل المهام التي تقع على كاهل الدعوة والدعاة الذين نذروا أنفسهم ان يسلكوا طريق ذات الشوكة، الطريق المحفوف بالحفر والمخاطر والاعتقال والتعذيب والقتل ومصادرة الأموال وملاحقة الأهل والأولاد.

ان واجب تحقيق أهداف الحزب يقع على كاهل نخبة مؤمنة بأهداف وأفكار الحزب، وعلى استعداد للتضحية بكل شيء.

من أجل ذلك، ولكي يتحقق بناء هذه النخبة وضع الحزب الخطوط العامة للثقافة الحزبية التي يحتاجها كل عضو.

وروعي في المنهج الثقافي ان يتحاشى أخطاء الحركات الإسلامية الأخرى.

فقد ربط حزب الدعوة الإسلامية العلم بالعمل والقول بالفعل فالذي يحدد الثقافة اللازمة هو عمل الدعوة.

وبناءً على ذلك، فقد حدّدت الدعوة لثقافتها الحزبية حداً أدنى من المستوى ينبغي توفره في كل الأعضاء، ومستوىً عالياً لابد منه في الأعضاء القياديين.

فالحد الأدنى من الثقافة الحزبية للداعية كالآتي:

١- المداومة على قراءة القرآن الكريم وحفظ ما يمكن من سوره.

٢- إطّلاع مجمل على العقائد الإسلامية.

٣- إطّلاع مجمل على سيرة الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم- وكبار الصحابة وتاريخ الإسلام.

٤- معرفة بعض الأحكام الشرعية التي يحتاجها الداعية.

٥- استيعاب مواد الدعوة في الفكر العام والتنظيمي والسياسي والإيماني.

أما المستويات العالية من الثقافة الحزبية التي وضعها الحزب لخلق قيادات حزبية واعية، فإنها تنقسم إلى عدة أقسام:

المستوى الأول: مرحلة التفهم والتلقّي الحسن.

المستوى الثاني: مستوى حسن الاختيار والعطاء.

المستوى الثالث: مستوى الأصالة الفكرية والإبداع.

***

وهناك ما يسمى بالاختصاصات :

وهي ان يكون الداعية متخصصاً في أحد المجالات الفكرية كالتاريخ والعقائد والفقه والسياسة والتربية ، أو الاختصاصات الأخرى غير الثقافية كالاختصاصات الفنية والإدارية والاجتماعية والعلمية.

***

كيف يدار عمل القيادة ؟

كانت قيادة حزب الدعوة الإسلامية ولا تزال شورى ، وكان الشهيد السيد محمد باقر الصدر احدهم، ويتعامل مع زملائه في القيادة باعتباره واحداً منهم.

وعندما تعرض قضية ما ، فإنها تخضع للمناقشة ، لا يفرض احدهم رأيه على الآخرين ، وإنما يجري التصويت ، فلربما يكون رأي السيد الصدر هو الرأي الغالب وربما يكون غيره.

ولم يفرض السيد الصدر رأيه كفقيه ، وكان يسأل غيره ممن يعرفون الموضوع ذاته ، ولا يجد في ذلك غضاضة ، بل كان يسأل غيره في أمور لا تخص العمل الإسلامي ، ولا تأخذه (الأنانية) كما قد تأخذ بعض الأشخاص عندما يجد نفسه انه يتمتع بشيء من العلم والمعرفة و... .

وهذه حالة أكسبت العمل الإسلامي كثيراً ، لان الذين يتحاورون معه في العمل الإسلامي ، لو كانوا يجدون بينهم وبينه حاجزاً ، فإنهم سرعان ما يخضعون له ويتبعون رأيه دون مناقشة.

وكنا أحياناً نناقشه ، فيغيّر رأيه بسرعة حالما يجد الصواب، ويؤيد الطرف الآخر، وكان ربما يشيد بالرأي الآخر ويثني عليه.

ومنذ التأسيس تبنّى حزب الدعوة الإسلامية أسلوب الشورى في القيادة، فالأعضاء فيها سواسية ، لا يمّيز احدهم عن الآخر شيء، فليس فيهم قائد ممتاز، بحيث يستطيع أن يفرض رأيه على الآخرين أو ينفرد في اتخاذ القرار.

والقيادة دائماً بعدد فردي ، ليتمّ فيها تغليب الأكثرية على الأقلية.

والقيادة تأريخياً – في حزب الدعوة الإسلامية – لا تقل عن ثلاثة أشخاص ولا تزيد عن احد عشر عضواً ، فلو اتفق ستة منهم على رأي وكان الآخرون خمسة، كان الرأي المتبع هو رأي الستة.

ولم تتخذ الدعوة أمينا عاماً لها. في حين كان للحزب ناطق رسمي إبتداءً من عام ١٩٨٠

ولكل من الشورى والأمانة العامة سلبيات وايجابيات ، ولكن عمل الدعوة استمر على إتباع الشورى في قيادته.

*****
***
*

ثقافة الدعاة

وضعت الخطوط العريضة ، وأبعاد الثقافة التي تحتاجها الدعوة في عملها في الاجتماعات الأولى لقيادة الدعوة.

وكان واضحاً إن الدعوة بحاجة إلى ثقافة إسلامية تتّضح فيها معالم الفكر الإسلامي، والى ثقافة إسلامية خاصة أطلق عليها فيما بعد اصطلاح الثقافة الإيمانية تتضح بها مكامن الفطرة الإيمانية لدى المسلم لتدفعه إلى السلوك الإيماني وترهف معاني التقوى لديه ليتدرّج في معارج التقرب إلى الله تعالى ويتهيأ لمواصلة طريق ذات الشوكة إلى النفس الأخير من حياته، والى ثقافة تنظيمية تبيّن كيفية العمل الحزبي وكيفية التنظيم والخطوط العريضة في التعامل الداخلي بين الدعاة والتعامل مع الأمة والعلاقات العامة الأخرى، والى ثقافة سياسية تبيّن الأوضاع السياسية التي تحيط بالدعوة في الأقاليم التي تعمل فيها وفي العالم الإسلامي وما يؤثر على الدعوة في الساحة العالمية.

وبدأت الدعوة تعطي الفكر حسب الحاجة وحسب الإمكانيات وسارت ثقافة الدعوة في طريق التكامل.

لقد اهتم الدعاة منذ انتسابهم لدعوتهم اهتماماً بالغاً بتثقيف أنفسهم ثقافة إسلامية خاصة ثم بالثقافة العامة، على أساس أن المثقف هو الذي يأخذ من كل شيء بطرف.

وكان موضوع (الوعي) حداً فاصلاً بينهم وبين غيرهم الذين يعتبرون متخلفين في نظرهم.

كان الدعاة يأخذون على المتخلفين أنهم :-

١- يريدون للوضع الفاسد أن يبقى ويستمر ليكون مبرراً لظهور المصلح (الإمام المنتظر) عليه السلام.

٢- لا يتدخلون في السياسة ولا بشؤون الأمة، واعتزلوا الناس وانطووا على أنفسهم فأصبحوا في وادٍ والأمة في وادٍ آخر.

٣- والحوزويون منهم بالذات، عندما يدرسون ، ربما كانوا يتركون بعض أبواب الفقه كالجهاد والديات والقضاء والحدود وغيرها، وحجتهم في ذلك أنها ليست محل ابتلاء. في حين ان الأحكام الشرعية والروايات مترابطة، من الممكن أن يستفيد الفقيه، من رواية في الحدود عندما يدرس موضوع الصوم والصلاة، وهكذا......

كل ذلك وغيره جعل الدعاة يتميزون عن غيرهم في الوعي وفهم الشريعة الإسلامية التي يرونها سلوكاً يشمل جميع نواحي الحياة.

وكان الدعاة يهتمون اهتماماً فائقاً بتاريخ سيرة الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم- والأئمة عليهم السلام ، في الحرب والسلم والعلاقات مع المشركين واليهود والنصارى وفي بيانهم للأحكام الشرعية والمواقف السياسية ... الخ.

وما دام الدعاة كانوا يريدون ان يعيدوا للمسلمين عزتهم وكرامتهم، فإنهم لابد أن تكون معلوماتهم شاملة لكل ما يتعلق بذلك.

فكان اهتمامهم واسعاً بالتاريخ والحركات السياسية التي نشأت على مرّ العصور.

كيف نشأت تلك الحركة وكيف نجحت؟ أو لماذا خسرت الجولة؟

والخلفاء والملوك الذين تتابعوا على حكم رقاب المسلمين، أيام بني أمية وبني العباس ، هل صحيح إنهم كانوا يمثلون الإسلام في حكمهم؟

***

وصعود المنابر ووعظ الناس وإرشادهم كان يترفع عنه البعض.

ولكن الدعاة بدأوا يغتنمون المناسبات ليتصلوا بالأمة، في كل مكان، في الحواضر والقرى والأرياف ، ويتفاعلوا معها في الحديث عن الإسلام وشرح حوادث التاريخ التي كانت لها علاقة بواقع المسلمين.

كما كانوا يبيّنون للناس دسائس الاستعمار والمبشرين الذين لا يريدون بالإسلام والمسلمين إلا السوء.

والشعر كان مفردةً من المفردات التي يهتم بها الدعاة، إما ان ينظموا الشعر وأما ان يقرأوه.

فالشعر ربما يؤدي ما لا يؤديه النثر، خصوصاً الشعر المعارض.

فكان في الدعاة وأصدقاء الدعوة شعراء مجيدون كالسيد داود العطار، والسيد محمد حسين فضل الله والشيخ احمد الوائلي والشيخ جعفر الهلالي ومحمد صادق القاموسي ومحمد صالح جعفر الظالمي وغيرهم.

والتحق كثير من الدعاة بكلية الفقه وكلية أصول الدين، في محاولة لزيادة وعيهم ومن ثم للتدرج في الدراسة والشهادة العلمية ، فكان فيهم عدد كبير ممّن نال شهادة الدكتوراه.

والحلقات الحزبية نفسها كانت تبعث في المسؤولين الرغبة في الإطلاع على آفاق واسعة من المعلومات السياسية المحلية والدولية، وتلك مسألة طبيعية، لان الأستاذ والمسؤول الحزبي يريد ان يبدو للتلميذ انه يتمتع بخبرة واسعة.

والاحتفالات كانت مجالاً لنشر الفكر الإسلامي وتزويد الأمة بالمعلومات التي يحتاجونها.

ولقد كان المتخلفون يستنكفون من قراءة الصحف والمجلات، أو أنهم يخشون من الناس لئلا يخرجوهم عن دائرة الورع والتقوى.

وفي بداية التأسيس كان لدى الدعاة تلهّف لاقتناء الكتاب الذي يحقق لهم رغبتهم في التزود من مناهل العلم.

فكان يصلهم (تفسير الميزان) للسيد الطباطبائي، ولم يكن كاملاً بعد وإنما يطبع على شكل (ملزمات) ، فكان الدعاة يتناولون ذلك بتلهف وينقلون معلوماتهم إلى الحلقات.

وعندما ألّف شهيدنا الصدر كتابيه (فلسفتنا واقتصادنا) وجد الدعاة في ذلك منبعاً ثراً يرتوون منه، لم يكونوا يعرفونه من قبل.

ثم كان كتاب (المدرسة الإسلامية) وبذلك استطاع الدعاة ان يحققوا لهم ثروة فكرية هائلة ، ودخلوا مع الشيوعيين في مناقشات حادة حول الشيوعية وضحالتها أمام الفكر الإسلامي الذي كان يطرحه الشهيد السيد محمد باقر الصدر في كتبه تلك.

ومن الكتب التي كانوا يدرسونها:

في ظلال القرآن للمرحوم سيد قطب، في التفسير

وكذلك كتب السيد محمد حسين فضل الله:

(أسلوب الدعوة في القران)

و(قضايانا على ضوء الإسلام).

أما الشيخ عبد الهادي الفضلي فكان له:

(مشكلة الفقر)

و(من البيعة إلى الدولة)

و(في انتظار الإمام)

وللشيخ كاظم الحلفي كتاب (الإسلام نظام وعقيدة)

وأما الشيخ محمد مهدي شمس الدين فله:

(نظام الحكم والإدارة في الإسلام)

و(بين الجاهلية والإسلام)

كما كان للشيخ باقر القرشي:

(النظام السياسي في الإسلام) و(حقوق العامل)

أما الشيخ محمد أمين زين الدين فكان له كتاب (الإسلام، ينابيعه، مناهجه، غاياته)

وتسابق الدعاة إلى إصدار نشريات إسلامية , سريعة التداول , خفيفة الحمل تطرح أفكاراً واعية يتلقفها الشباب ويقرأونها , وكأنهم يقرأون شيئاً جديداً , كان منها :

مختارات إسلامية , مفاهيم إسلامية , من هدى الإسلام , من هدى النجف , في مرحلة البناء وهكذا ...

ومن كل ذلك وغيره كان الدعاة طبقة مثقفة، كما كان حزب الدعوة يسمى (حزب النخبة).

***

ولم يكن اهتمام الدعوة بدعاتها ان يكونوا مثقفين فقط، وإنما اعتبرت الداعية الجيد ان يتصف بالصفات التالية:

١- يحمل همّ الأمة ويعيش مسؤوليته تجاهها.

٢- يميّز بين الفكر التنظيمي الصائب والخاطيء.

٣- يميّز بين الأشياء والقضايا والأشخاص، فلا يختلط في ذهنه أمر بأمر.

٤- يفهم خط سير الدعوة والمرحلة.

٥- يكتشف الأخطاء في سير العمل من بـــدايتها ويعرفهـــا علـــى حقيقتها

٦- يتذكر القضايا والأمور السياسية.

٧- ينظر إلى حركة الحزب وحركة الأمة من واقعها المتطور

٨- يعمل باستمرار للتخلص من الجمود والركود والتقوقع.

٩- يعرف القدرات الممتلكة والإنجازات المحققة.

١٠- يعمل على تطوير الأساليب لملاءمتها مع مختلف الأهداف.

١١- يعطي القرار المناسب في الوقت المناسب.

١٢- يقدّر قيمة الوقت والعمر ويحرص على الالتزام بالمواعيد

١٣- يكون قدوة في ممارسة المحاسبة لنفسه وتقبّل المحاســبة مــن غيره.

١٤- لا يمنّ بعطائه وتضحياته وجهاده على احـــد، بـــل يستـــشعر التقصير مهما بذل.

***

اهتمام الدعوة بتربية الدعاة

يعتبر حزب الدعوة نفسه مسؤولاً عن تربية الأمة الإسلامية بصورة عامة ، والدعاة بصورة خاصة.

وبين فترة وأخرى يصدر كراس أو منشور للدعاة فيه أخبار ومعلومات سياسية، وأخبار الأقاليم الإسلامية وعن السياسة الاستعمارية والصهيونية التي تحاول ان تبسط نفوذها على الدول الإسلامية.

وكنموذج لذلك،منشور تؤكد فيه الاهتمام بالوقت وعدم إهداره من خلال أعمال معينة أو من خلال الخمول والاسترخاء، وهو منشور في احد عشر صفحة ، سوف نذكر عناوين المواضيع التي يحذّر منها الدعاة وهي:

الغيبة والنوم الزائد عن الحاجة والتدخين والاعتناء الزائد بأمور الدنيا والاندماج في العلاقات الاجتماعية الواطئة وأعرافها داخل البيت والجلسات المسترخية بين أصحاب العلاقات الخاصة كالأصدقاء والأقارب، وإدمان الجلوس في المقاهي واللعب في وسائل اللهو المختلفة والإدمان على متابعة الفرق الرياضية ونجوم الرياضة والانسياق وراء شهوات الجسد وإخلاف الموعد.

وفي المنشور نفسه ملحق رقم (١)

جدول عمل لداعية متفرغ

في يوم يكون فيه الفجر في الساعة الثالثة والظهر في الساعة الثانية عشرة والمغرب الساعة السادسة والنصف.

الوقت	العمل
الساعة ٢,٣٠ بعد منتصف الليل إلى الفجر	نهوض من الفراش بذكر الله، قيام الليل قراءة القرآن
الساعة ٣ – ٥	صلاة الفجر والنافلة والقيام بدراسة يتطلبها العمل الدعوتي
الساعة ٥ – ٥,٣٠	هجعة بعيد طلوع الشمس
الساعة ٥,٣٠ – ٧	فطور، مطالعة جريدة، سماع أخبار حديث مع العائلة وقضاء بعض الأمور العائلية
الساعة ٧ – ٧,٣٠	تحضير للحلقة
الساعة ٧,٣٠ – ٨	وقت للانتقال إلى مكان الحلقة
الساعة ٨ – ٩,٣٠	حلقة
الساعة ٩,٣٠ – ١٠	تحضير لاجتماع حزبي
الساعة ١٠ – ١١,٣٠	اجتماع حزبي
الساعة ١١,٣٠ – ١٢,٣٠	إلى الجامع وصلاة الظهر جماعة

	والاتصال بالمصلين
الساعة ١٢,٣٠ – ٣	قضاء بعض الأمور البيتية والغداء وجلوس مع العائلة ومطالعة خفيفة وهجعة قصيرة بعد الغداء لمدة ربع ساعة
الساعة ٣ – ٦	حلقة مفتوحة
الساعة ٦ – ٧,٣٠	صلاة المغرب جماعة ودرس قصير
الساعة ٧,٣٠ – ٩	دراسة
الساعة ٩ – ٢,٣٠	مراجعة اليوم ونوم مع ذكر الله

***

المرحلية في عمل الدعوة

من اجل تحقيق الأهداف التي رسمتها الدعوة لنفسها، تبنّت المرحلية في العمل، وقد قسمت مسيرتها إلى أربع مراحل أساسية، لكل واحدة منها خصوصياتها ومستلزماتها وأهدافها.

وهذه المراحل هي:-

١- المرحلة التغييرية، أو المرحلة الفكرية ومرحلة البناء والتكوين.

٢- المرحلة السياسية.

٣- مرحلة استلام السلطة وقيادة الأمة.

٤- مرحلة تطبيق أحكام الإسلام.

ومن الممكن الاستدلال ببعض الآيات القرآنية للتدليل على أهمية العمل المرحلي: ((ولقد خلقنا السماوات والأرض في ستة أيام وما مسّنا من لغوب)) الذاريات / ٣٨

((ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين))

المؤمنون ١٢ – ١٤

كما انه لابد أن يستفاد من سيرة الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – فان رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – سار بدعوته المباركة على ثلاث مراحل هي:-

المرحلة السرية وبناء الكتلة الطليعية.

ثم مرحلة التبليغ العام.

وأخيراً مرحلة تأسيس الدولة الإسلامية والمجتمع الإسلامي ونشر الإسلام. ومن ناحية عقلية فان العمل التغييري الهادف لا يمكن تحقيقه وتطبيقه بين الناس من غير اتباع خطوات في العمل يتلو بعضها بعضاً.

وبناءً على ذلك فان حزب الدعوة الإسلامية يعتبر العمل المرحلي قانوناً وسنة كونية واجتماعية.

وهناك مجموعة عوامل موضوعية أخرى أوجبت تقسيم العمل إلى مراحل وتلك العوامل هي:-

١- الطبيعة الخاصة للعمل التي تعتمد على الإقناع، فإنها تتطلب مرحلة زمنية يستغرقها اقتناع الناس بتبنّي الإسلام وتحمل مسؤوليات الدعوة.

٢- الطبيعة الخاصة للوضع المعاصر، من حيث العقبات التي وضعها المستعمرون وعملاؤهم في صفوف الأمة، ولا يمكن تخطّي هذه العقبات إلا بالعمل الدائب والتخطيط المرحلي.

٣- الاستهداء بتجربة الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – والأئمة في العمل المرحلي والتنظيم ومواجهة الصعوبات والعقبات.

٤- الاستفادة من تجارب الحركات الإسلامية المعاصرة في مجالي النظرية والتطبيق.

***

أما ما يتعلق بخصوصيات كل مرحلة، فإن الطابع العام للمرحلة الأولى من مراحل عمل الدعوة (مرحلة التغيير) هو التغيير الفكري والتركيز على نشر الوعي التغييري في أوساط الأمة وتكوين الكتلة المغيّرة.

والهدف النهائي لهذه المرحلة هو إنشاء كتلة من الدعاة تتمكن من الناحيتين الكمية والكيفية من مباشرة عمل الدعوة بشكل علني وعام وبذلك تتكون في الأمة جماعات توجّه الجماهير نحو تأييد الدعوة ومناصرتها وكسب تعاطفها، وتلهج بالإسلام أو لا تعاديه.

والطابع العام لعمل الدعوة في هذه المرحلة هو الطابع الفكري الاجتماعي الذي يصحبه عمل سياسي تغييري منسجم معه.

علماً بأن عملية التغيير لا تنتهي بالانتقال إلى المرحلة الثانية (السياسية) وإنما تبقى ملازمة للدعاة في جميع المراحل.

وتتميز المرحلة الأولى بالسرية التامة، والمقصود بذلك سرية تنظيم الدعوة والأعضاء والخطط والاجتماعات والتحركات التنظيمية. فلا يجوز للداعية ان يكشف للناس وجود الدعوة وأسماء من يعرف من

الدعاة حتى لو تعرض للأذى والضرر١.

أما الأفكار والأهداف فهي ليست سرية ولا داعي للتكتم عليها.

كما لا يخفى إننا لا ننسى دور السلطات الجائرة والعميلة ومحاولاتها في جر الدعوة إلى المعترك السياسي جرّاً قبل استكمال مقومات الانتقال، فقد يكون الحكم مبدئياً منحرفاً أو شبه منحرف أو عميلاً للاستعمار الذي يرتهب من تفاقم الوضع واشتداد ساعد المجاهدين، ولأهمية الإقليم بالنسبة لمصالح الكفار.

وحينئذٍ فان هذه الأنظمة تدخل مع الدعوة في صراع رهيب منذ تشكيل خيوطها الأولى وتحاول جرّها إلى المعترك السياسي ولم تكتمل مرحلتها الأولى بعد.

ولا يعني ذلك ان الدعاة لا يستطيعون مجابهة السلطات الظالمة باعتبارهم جزءً من الأمة، وعملهم في مثل هذه الحالة يكون من قبيل الأعمال العامة، تقوم بها الأمة دون الإعلان عن اسم الدعوة.

١- وقد التزم الدعاة – بصورة عامة – بالسرية، فكان الداعية لا يحاول ان يتعرف على أسماء الدعاة من غير حلقته.

ولعل بعضهم كان لا يعرف حتى اسم مسؤول حلقته، إلاّ انه (أبو فلان...) ولم يكونوا يخوضون في التعرف على أشخاص القيادة وأسمائهم، فقد أصبحوا واعين جداً على الوضع الذي يعيشونه، الذي يفرض عليهم حالة شديدة من السرية والكتمان.

وقد بلغت السرية لدى كثير من الدعاة، أنهم كانوا يتصورون ان المرجع السيد محسن الحكيم هو قائد الدعوة ورئيسها، أو الشيخ مرتضى آل ياسين أو السيد إسماعيل الصدر.

وأكثر الدعاة كانوا يعلمون ان السيد محمد باقر الصدر هو في قيادة الحزب، وقد يتصور بعضهم انه المؤسس والقائد الوحيد، وهذه الحالة أعطت الدعوة زخماً وأوضحت ان الدعاة منضبطون جداً.

كما لا ينسى الدعاة ، إنّ الدعوة تؤيد استثمار الفرص التي قد تسنح للمسلمين في تطبيق حكم الله في أرضه قبل ان تنتهي المراحل اللازمة، وعليهم ان لا يتخلفوا عن الأمة في ذلك.

فإذا سنحت الفرصة، أو وفق الله غيرها لإقامة الحكم الإسلامي فإنها حينئذٍ تعمل على تقوية هذا الاتجاه الإسلامي ودعمه ، لأنه يحقق الهدف المنشود.

ومجمل ما نريد بيانه: ان الدعاة – بصفتهم جزءً من هذه الأمة وأداءً لواجباتهم الشرعية في الجهاد – لا يجوز ان يكون عملهم على حساب المرحلية ، كما لا يجوز ان تكون حجةً لهم في التقصير عن واجباتهم ومصلحة الأمة الإسلامية العليا ومصلحة العمل والظروف المحيطة.

أما المرحلة الثانية (السياسية):

فانه يبرز فيها الكفاح السياسي على جميع أعمال المرحلة وذلك:

أ- بكشف النظام العميل وتبعيته للمستعمر ، وفضح سياسته الخارجية والداخلية.

ب- بيان الأفكار الإسلامية بصورة مكثفة لإقامة النظام الإسلامي بديلاً من النظام غير الإسلامي.

ج- تحريك الأمة سياسياً – وعلى أوسع نطاق – من اجل تحويل المتعاطفين إلى مشاركين ، والبعيدين إلى متعاطفين.

ويتم الانتقال إلى هذه المرحلة إذا توفرت عدة أمور، منها ما يتعلق بالامكانات الحزبية، ومنها ما يتعلق بمستوى علاقة الدعوة بالأمة، والاستعداد للتضحية بكل شيء في سبيل هذا الصراع، وأخيراً ما يتعلق بالظرف السياسي المؤاتي للانتقال.

فإذا حدثت هذه الأمور مجتمعة ، تتم عملية الانتقال إلى هذه المرحلة من العمل. وهدف هذه المرحلة:

في داخل الحزب: ان يكون أفراد وأجهزة الحزب مدربين ومهيئين لتنفيذ المرحلة التالية، والمساهمة في تسيير أمور الدولة عند إقامتها، والتحضير لوضع أنظمة وقوانين الدولة على أساس الإسلام.

وفي الأمة : تهيئة الأمة وتعبئتها للمشاركة بفعالية في تنفيذ المرحلة التالية بنجاح ، وضمان انصياعها للحكم الإسلامي الذي سيقام بايمان ووعي كافيين.

ومع السلطة : إضعاف الحكم غير الإسلامي في الإقليم وعزله عن الأمة تمهيداً لإسقاطه في المرحلة الثالثة واستلام الحكم.

والطابع العام لعمل الدعوة في هذه المرحلة هو الجهاد السياسي بالدرجة الأولى وبشتى الوسائل والأساليب التي يقرها الشارع المقدس وتفرضها ظروف المرحلة ، ويكون الجهاد الفكري ثانوياً ، وبالقدر الذي تتطلبه عملية التغيير والمعركة السياسية والإعداد للمراحل التالية.

وبطبيعة الحال فان هذه المرحلة ستصحبها مقاومة السلطة للدعوة والضغط عليها وهو ردّ الفعل الناشيء من مكافحة الدعوة، فتعمد السلطة إلى إيذاء أفراد الدعوة اشد ما يكون الإيذاء.

والدعاة واجبهم – في هذه المرحلة – الصبر ((ولنجزيّن الذين صبروا منهم بأحسن ما كانوا يعملون)).

والطريقة العامة لعمل الدعوة في هذه المرحلة هو إعلان العمل باسم الدعوة وتأكيد مركزها التغييري في المجتمع مع استمرار المحافظة على سّرية الأشخاص والتنظيم والاجتماعات ، ونحو ذلك.

المرحلة الثالثة (الثورية)

وسميت بالثورية نسبة للثورة، لظهور وبروز أعمال الثورة والعصيان على أعداء الله، وربما يكون اسم الثورة هو اصدق كلمة لتلك الأعمال.

وفي هذه المرحلة تُهيّأ الأمة لتأخذ السلطات من يد الظالم وأعوانه، وسوف يكون رد الفعل عنيفاً من قبل السلطة الحاكمة، كما سيكون رد الفعل عنيفاً جداً في هذه المرحلة من قبل العملاء الذين تسخّرهم السلطة.

واهم معالم هذه المرحلة ان يعطف الناس على الدعوة ويشاركوها في أعمالها ويطمئنوا إلى أنها تمتلك النصر والقوة بنصر الله تعالى ((أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير)).

وهدف هذه المرحلة: إسقاط الحكم الظالم ومواصلة إكمال التغيير الشامل، وبناء المؤسسات الدستورية والقانونية والسياسية... على أساس الإسلام.

والطابع العام لعمل الدعوة في هذه المرحلة، هو الطابع الثوري إلى ان يتم إسقاط آخر معقل من معاقل الكفر في الإقليم.

وستقوم الدعوة في هذه المرحلة بالتحرك والاتصالات الإسلامية الواسعة والتعاون مع الأحزاب الإسلامية الأخرى، وتأمين أهل الكتاب على حياتهم وممتلكاتهم وتقوية الصلات بين أبناء الأمة، ونشر الفكر الإسلامي على أوسع نطاق.

المرحلة الرابعة (الحكمية) :

فهي مرحلة تطبيق الأحكام الإسلامية، ومعها تتحقق الأهداف النهائية التي حددتها الدعوة لمسيرتها، وهي تطبيق التشريعات الإسلامية ومراقبة عملية تنفيذها.

ودعوة الآخرين إلى تحكيم الإسلام في جميع أمور الحياة، وإيجاد السبل لانطلاق الإنسان المسلم لنشر راية الإسلام في الأرض. وانطلاق المسلمين من القيود التي تعيقهم عن التحرك والجهاد في بناء دولة الإسلام وإعادة المسلمين ودولتهم إلى مركز القيادة على هذه الأرض.

ولابد من رعاية شؤون الناس وتدبير أمور معاشهم ومعادهم، وهو يشمل فعلية الحكم ومراقبته وتوجيهه.

ولكي يكتسب الحكم الصفة الشرعية، تجاهد الدعوة لان يتوفر فيه أمران:

الأول: تنفيذ رعاية شؤون الأمة بالفعل وتطبيق أحكام الرعاية في الإسلام عليها.

الثاني: ان تكون الرعاية نفسها متفقة مع نظام الحكم وشكل الرعاية في الإسلام، فلا يكفي لأن تكتسب الرعاية الصفة الشرعية أن تقوم فعلاً بتطبيق الدستور والقوانين الإسلامية في إدارة شؤون الأمة من جهاد واقتصاد وعلاقات سياسية، بل لابد ان يراعى تطبيق الدستور والقوانين الإسلامية في الرعاية نفسها، لان الرعاية من شؤون الأمة أيضا، فيجب ان تكون بالشكل الذي حدّده لها الإسلام، وفي هذا الأمر يراعى ما يلي:

١- ان يكون شكل الحكم والجهاز الحاكم ضمن الحدود الشرعية الإسلامية، وغير متعارض مع شيء من أحكام الإسلام الثابتة.

٢- ان يكون شكل الحكم والجهاز الحاكم متفقاً مع مصلحة الإسلام التي تعني الوضع الأفضل للإسلام باعتباره دعوة عالمية وقاعدة للدولة.

٣- ان يكون شكل الحكم والجهاز الحاكم متفقاً مع مصلحة المسلمين بوصفهم أمة لها جانبها الرسالي والمادي، وفي هذه المرحلة تعمل الدعوة أيضا على توفر المهام الأربع التالية التي تتطلبها الدولة الإسلامية:

١- بيان الأحكام، وهي القوانين التي جاءت بها الشريعة الإسلامية المقدسة بصيغها المحددة الثابتة.

٢- وضع التعاليم، وهي التفصيلات القانونية التي تطبق فيها أحكام الشريعة في ضوء الظروف، ويتكون من مجموع هذه التعاليم النظام السائد لفترة معينة تطول وتقصر تبعاً للظروف والملابسات.

٣- تطبيق أحكام الشريعة، والتعاليم المستنبطة منها على الأمة.

٤- القضاء في الخصومات الواقعة بين أفراد الرعية، أو بين الراعي والرعية في ضوء الأحكام والتعاليم.

***

ملاحظات حول المرحلية

ليس معنى المرحلية هو فرض أطُر وقوانين عمل إدارية وعوائق حركية أمام الدعوة وإدخالها في قالب يحدد حركتها وقراراتها ويشلّ مبادراتها، ويفرض عليها وضعاً حتمياً جامداً يحول بينها وبين الصراع والمواجهة أو المبادرة السياسية....

إن من يتصور ذلك فانه لا يفهم ما تعنيه الدعوة بمصطلح المرحلية ومفهومها فمن يتصور مثلاً ان الدعوة ترى عدم جواز حمل السلاح ومواجهة أعداء الإسلام في المرحلة الأولى... إنما يقع في اشتباه وسوء فهم...

إنما الدعوة ترى إن قوتها وقدرتها ليست بالمستوى الذي تتمكن فيه من المواجهة وإسقاط النظام الجاهلي واستئصال جذوره وبناء مجتمع دولة إسلامية .... وليس المانع هو أنها في مرحلة فكرية، وإنها لا تتبنى استعمال القوة في هذه المرحلة... فليست لدينا مرحلة لا نتبنّى فيها مواجهة الظلمة بكل قوة متيسرة لدينا....

وكما يقع صنف من الناس في الخطأ في فهم مفهوم المرحلية... فان صنفاً من الدعاة قد يقع في خطر الإغراق في امتداد المرحلية وطغيان معالمها وأوضاعها الفكرية والنفسية على شخصيته وتفكيره،

بحيث يصعب عليه أن يتصور ويفكر بمنطق وأسلوب يختلف عن أسلوب المرحلة التي ألفها.

لذلك فان ظروف وطبيعة وميّزات ومعالم المرحلة الفكرية قد اتخذت طابع التقديس عند البعض...

والخطأ كل الخطأ ان تفرض هذه كإطار للعمل، فتبقى الحركة تراوح في داخل هذا الإطار.... وعندئذٍ ستسبقها الأحداث وتتخلف عن مسؤولياتها....

لذا يتوجب على الدعاة ان يفهموا مبدأ المرحلية ويطبقوه بدقة وحذر، فلكل مرحلة ميزاتها ومعالمها الخاصة.

فقد جاء في (نشرة التخطيط والإعداد للمرحلة الثانية):

ان من القضايا التي يقررها التنظيم ويؤكدها التخطيط – في هذا المجال – ان انتقال الحزب من مرحلة إلى أخرى لا يتمّ بقرار يصدره الحزب، وإنما هو واقع يصل إليه كل من الحزب والأمة – في مجالات النمو والبناء – بعد استكمال مقومات المرحلة السابقة بصورة طبيعية.

فقد يكون الدافع في تخطّي المرحلة هو الاستعجال ورغبة الحزب في تحقيق أهدافه من اقرب طريق، ولو لم يكن هو الطريق الطبيعي.

مع ان المقياس السليم الذي يجب ان يستهديه الحزب في سيره هو ((سلامة البناء وصحة السير)).

ولا يصح تحكيم العامل الزمني في هذا المجال، كما لا يصح إخضاع السير لعامل الاستعجال، وذلك ان المسألة ليست مسالة زمن بمقدار ما هي مسألة بناء كتلة وإعداد أمة.

ويلاحظ على المرحلية التي رسمها حزب الدعوة الإسلامية، أنها تتم ضمن خطوات محدّدة، حيث تبدأ المرحلة الأولى، وتعمل الدعوة على تغيير الأمة حتى يصبح الإسلام حديث الناس ومطلب الناس.

فترى الدعوة – حينذاك – ان الانتقال إلى المرحلة اللاحقة (السياسية) أصبح امراً ضرورياً.

وهذا أمر إنما يتم إذا كانت الدولة تخضع لوضع مستقر، يسوده الأمن والحياة البرلمانية السليمة،أو ما يسمى بالحياة الديمقراطية، حيث يدخل الدعاة أو الأشخاص الذين تثقفوا بثقافة الدعوة، يدخلون المجالس النيابية ويطالبون من هناك بتطبيق الإسلام.

ولعل فكرة المرحلية إنما اتخذت في ظروف التأسيس حيث كانت في العهد الملكي، الذي كان يتبنّى المجالس النيابية (على ما فيها من تزييف).

ولكننا وجدنا ان الانقلابات بدأت تتوالى على العراق:

عبد الكريم قاسم ينقلب على الملكية عام ١٩٥٨

البعثيون ينقلبون على عبد الكريم عام ١٩٦٣

عبد السلام عارف ينقلب على البعثيين عام ١٩٦٣

ويتخبط عبد السلام ويحاول ان يتشبّه بجمال عبد الناصر في اشتراكيته فيتبنّى الاشتراكية عام ١٩٦٤

وأخيراً البعثيون ينقلبون على عبد الرحمن عارف في ١٩٦٨/٧/١٧.

والبعثيون أنفسهم يتنافسون بينهم، فيطردونِ بعض زملائهم في ١٩٦٨/٧/٣٠ وأخيراً صدام حسين ينقلب على احمد حسن البكر ويوقع القتل في جماعته.

***

فالأمور في العراق – بالذات – ليست مستقرة لتكون النظرية جاهزة للتطبيق.

ومع ذلك فإننا لابد ان نتسامح مع الدعوة المباركة التي قسمت ادوار الحركة الإسلامية بصورة عامة إلى أربعة مراحل.

فالمراحل تلك من الممكن ان تطوى بصورة مستقرة رتيبة وربما تتعرض لظروف طارئة ليست باختيارها هي، فتنتقل إلى المرحلة السياسية ثم المرحلة اللاحقة وهكذا....

وسوف نفصّل ذلك في الكتاب الثاني ان شاء الله.

***

من الذي يصنع القرار في الدعوة؟

صناعة القرار في حزب الدعوة الإسلامية تختلف عنها في الأحزاب والحركات والمنظمات الأخرى وان تشابهت الهياكل والأشكال التنظيمية، إذ لا يوجد في الدعوة جهاز خاص بتوليد القرارات وإنتاجها، وإنما تتقاسم الدعوة – قيادة وقواعد – الأدوار في حال صياغتها للقرارات واتخاذها للمواقف وضمن دائرة خط السير ووفق ما تتطلبه المرحلة.

فكما ان القيادة تمتلك حق إصدار القرارات ، فكذلك اللجان المركزية والمحلية تحتفظ بحقها هي الأخرى دون إحداث حالة من الإرباك أو إيجاد نوع من التناقض واللامركزية المبعثرة للجهود.

ويتم ذلك وفق حقول معيّنة تملأ فيها اللجان المذكورة منطقة الفراغ التي ترك لها ملؤها وما يتناسب والواقع المحلّي الذي تعيشه اللجنة وتعرف جزئياته ومفرداته وكل تفاصيل الحياة فيه .

ولا يقتصر الأمر عند هذا الحد بل يتعداه إلى الدعاة أنفسهم حيث يخوّل الداعية بالتصرف وكأنه قائد يمتلك حق إصدار القرار وتبنيّ المواقف المطلوبة التي لا تتعارض وخط السير ولا تتجاوز المرحلة وأطرها، وهذا راجع بالأساس إلى التربية الدعوية في إعداد الدعاة حيث تؤكد لهم ومنذ اليوم الأول الذي يتمتع فيه الداعية بشرف

الانتماء لحلقاتها بأنه – أي الداعية – قائد في الأمة وجندي في الدعوة، وبهذا تودعه الثقة الكاملة بقدرته على التأثير وتقدير المواقف المناسبة والمطلوبة في محلها.

والقيادة هنا ليست بمعنى الولاية التي هي خاصة بالفقهاء، بل بالمعنى الذي جاء في القرآن عن لسان عباد الرحمن: ((واجعلنا للمتقين إماماً)).

والدعوة بتوسيعها لدائرة الصلاحيات للدعاة واللجان تكون قد جمعت فوائد كل من المنهجية المركزية واللامركزية في التعامل الحزبي السائد في الأحزاب والتنظيمات مع اجتناب المؤاخذات التي ترد على هذا المنهج أو ذاك.

فهي ترسم دائرة العمل وتوضح خط السير وتحمل الدعاة على تفهمها وإدراكها ثم تمنحهم حرية التصرف ضمن هذه الدائرة وذلك الخط.

بمثل هذه التربية المنضبطة تكون الدعوة قد وفّرت الفرصة للروح القيادية لدى الدعاة لان تنمو نمواً طبيعياً تؤهلها مستقبلاً لأن تتفتحّ على عالم اكبر ومسؤوليات أوسع من خلال زرع الثقة بالنفس وتسييجها بإطار الالتزام المشروع والسلوك الملتزم، فتفتح القابليات وينمو النبوغ ضمن هذه الأجواء السليمة الباعثة على الإبداع والتفتق والابتكار.

وقد لمست الدعوة ايجابيات هذه التربية خلال فترات المحنة التي تعرضت لها في العراق، حيث كان عمل الدعوة يستمر والقرارات تتخذ حتى في حال انقطاع الداعية في المناطق عن الدعوة، أو عند افتقار الرابط بأسباب الاعتقال والإستشهاد.

وحتى القيادة في الدعوة لم تكن تتصرف بمعزل عن إرادة الواعين من طلائع الدعاة حينما كانت تبادر لاتخاذ قرارٍ ما، وإنما هي تعتمد أساساً على آراء الدعاة من خلال ما يصلها من تقارير ورؤى وتصورات أزاء الأحداث التي تروم اتخاذ قرار بشأنها.

وبهذا فالدعاة يساهمون بصناعة القرار القيادي الصادر في قمة الهرم بالدعوة، ولكي يكون قرار القيادة واقعياً وعملياً فهي لا تستغني عن عملية مسح شاملة لما في أذهان الدعاة من تصورات ورؤى واطروحات، وبهذا يتم التلاقح المنتج بين القيادة والدعاة، وهو منهج أصيل درجت عليه الدعوة الإسلامية المباركة، وظل سمة مميّزة من سمات التلاحم الرائع بين الدعاة ودعوتهم في هذه المسيرة الربانية الرشيدة.

***

شكل الحكم في الإسلام

الحكم في الدولة الإسلامية هو ((رعاية شؤون الأمة في حدود الشريعة الإسلامية)) ولذلك يطلق على الحاكم كثيراً اسم (الراعي).

وعلى المحكومين اسم ((الرعية))

ولابد لكي تكتسب الرعاية صفة الشرعية ان يتوفر لها أمران:-

الأول: تنفيذ رعاية شؤون الأمة بالفعل وتطبيق أحكام الرعاية في الإسلام عليها.

الثاني: ان تكون الرعاية نفسها متفقة مع نظام الحكم وشكل الرعاية في الإسلام ، ولا بد ان يراعى تطبيق الدستور والقوانين الإسلامية في الرعاية نفسها ، لانّ رعاية الأمة من شؤون الأمة أيضاً فيجب ان تكون بالشكل الذي حدده الإسلام.

***

وللحكم في الإسلام شكلان :

الأول : الشكل الإلهي ، وهو يعني حكم الفرد المعصوم الذي يستمد صلاحياته من الله مباشرة ، ويمارس الحكم بتعيين الهي خاص دون دخل لاختيار الناس وآرائهم.

وهذا الحكم ثابت في الإسلام دون شك وبإجماع المسلمين من السنة والشيعة، فمن المتفق عليه لدى المسلمين كافة، ان حاكمية رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – كانت من هذا الشكل، يدل عليه قوله تعالى:

((النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم))

((وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم))

((ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً ان يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبينا)) .

***

ولم تكن البيعة التي يأخذها الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – من المسلمين تعني ان الرسول يستمد صلاحياته للحكم منها، وإنما كانت تأكيداً لطاعته بصفته الحاكم المنصوب من قبل الله تعالى ، كما أنّ قوله تعالى ((وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله)) لا يعني ان حاكميته مقيدة برأي الأمة ومستمدة منها. لان الله تعالى لم يوجب عليه الأخذ بما يشار عليه، وإنما علّق الأمر على عزمه الخاص.

الثاني: هو الحكم الانتخابي ، وهو الذي يتدخل فيه انتخاب الأمة لتعيين ولي الأمر على خلاف في مدى سعة دائرة هذا الانتخاب وضيقها.

فهناك رأيان رئيسان :

الرأي الأول: لا يشترط فيمن ينتخب كـ(ولي للأمر) ان يكون فقيهاً في فهم الأحكام الإسلامية، ولئن اشترطنا فيه العدالة والكفاءة، فانه لا يشترط فيه الفقاهة ، ويكفي – ضماناً لعدم انحرافه – ان يلتزم بعدم الخروج عن دائرة آراء الفقهاء.

وما يمنحه حق ولاية الأمر هو انتخاب الأمة له بعد التصويت وقبول الأكثرية به.

الرأي الثاني: هو الرأي القائل باشتراط الفقاهة في ولي الأمر إضافة إلى العدالة والكفاءة.

وهذا الرأي يناقش بان ((الشورى)) عبارة عن تبادل الآراء والاستضاءة بالأفكار ووجهات النظر لا مجرد تعداد الآراء تعداداً بسيطاً.

وكذلك بان الآية الكريمة حثت على المشورة، والاستفادة من أفكار الآخرين وخبراتهم ، ولم تدل على أكثر من ذلك وهو إعطاء الولاية وحق الفصل لقول الأكثرية حتى على الأقلية التي لم تؤمن به، علماً بان الأخذ بالشورى إنما يكون فيما لم يقض الله ورسوله فيه أمراً بالنص، فليس لمؤمن ولا مؤمنة الخيرة من أمرهم.

***

الطريقة التي تتبناها الدعوة في تنفيذ الحكم

إنّ الطريقة التي تتبناها الدعوة كما يلي:

أولاً: مجلس يشكل لوضع دستور الدولة الإسلامية في أوائل تسلم زمام الحكم يضم نخبة من الفقهاء وغير الفقهاء.

ثانياً: الجهاز التنفيذي، هو منفصل عن جهاز التقنين، ويتكون من الحاكم والوزراء وحكام المناطق.

ثالثاً: منصب القضاء ثابت لكل فقيه جامع للشرائط ، ومن حق الفقيه ان يسمح لغير الفقيه بالقضاء في حدود ما يحسن فيه القضاء.

رابعاً: الأحكام الفردية ، التي لا يلزم فيها توحيد الرأي، تترك للأفراد يعملون فيها وفق آرائهم إن كانوا فقهاء ، أو وفق رأي من يقلدونه إن لم يكونوا فقهاء.

خامساً: نقترح تعيين الحاكم وأعضاء مجلس الدستور والقانون بالانتخاب بين أفراد الأمة مع إذن الفقيه أو الفقهاء الذين انقادت الأمة لقيادتهم ، وبهذا نوفق عملاً بين الرأيين السابقين .

***

حزب الدعوة الإسلامية ليس حزباً طائفياً

انطلاقاً من قوله تعالى ((والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر...)) لابد ان ينظر كل حزب إسلامي إلى الأحزاب الإسلامية الأخرى ، نظرة إخاء ووحدة عمل حيث يجب أن يكون بين الأحزاب الإسلامية (تولي ونصرة ومودة) ففي التولي لابد أن يتولى الأفراد المؤمنون بعضهم بعضاً.

وفي النصرة، نصرة بعضهم لبعض، ونصرتهم لدين الله.

وفي المودة لابد ان يكونوا أذلة على المؤمنين رحماء بينهم أشداء على الكفار.

ذلك لكي يستحقوا النصر والتأييد الإلهي ولتتحقق لهم الغلبة والتمكين.

والأحزاب الإسلامية هي الأحزاب التي انتظم أفرادها واجتمعوا لنصرة الإسلام.

ينتج مما تقدم ان علاقة الأحزاب الإسلامية فيما بينها لابد ان تكون بمختلف أشكال تحركهم ومستوى وعيهم وتنظيمهم ، سواء أكانوا بشكل جمعيات أو منظمات أو أحزاب أو هيئات أو أفراد تتحرك خارج تنظيم الدعوة ، هي نفس العلاقة التي تربط بعضنا ببعض داخل الدعوة

من حيث النصيحة والنصرة والتأييد والعون المادي والمعنوي المستطاع، وهم في عرفنا جزء من الحركة الإسلامية.

إن مهمة الحزب الإسلامي هي تنمية روح الجهاد وتعميق مفاهيم التولي والنصرة بين العاملين، وإرساء قواعد العمل والتخطيط على أسس متينة لتنسيق وتنظيم قوى المجاهدين والموالين في داخل الحركة وخارجها لتحقيق الأهداف الجهادية التي يستهدف المجاهدون تحقيقها وهي استئصال الجاهلية وإقامة الدين في أرجاء المعمورة.

ويترتب على ذلك وجوب بناء المواقف والعلاقات النفسية والتنظيمية داخل الحركة والنظر إلى العاملين الإسلاميين في صفوف الدعوة وخارجها على أسس شرعية تقوم على أساس من الاخوّة والولاية بين المؤمنين.

فكل عنصر مخلص في داخل الحركة هو ولي وناصر ومجاهد... وعلاقته بالحركة وبالعاملين علاقة تعبدية وليست علاقة انتماء تنظيمي فحسب ((والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض..))

وانطلاقاً من فكرة الرؤى للعاملين الإسلاميين , وإزالة المعوقات التي تعترض الطريق عليهم , فإن حزب الدعوة الإسلامية دعا في عام ١٩٥٩ إلى إجتماع يضم الكادر المتقدم من الحزب نفسه (قياديين وغيرهم) ومن حزب التحرير والأخوان المسلمين في العراق .

وعقد الاجتماع في غرفة السيد طالب الرفاعي في (مدرسة قوام) وهي إحدى المدارس لطلبة الحوزة في النجف .

كان اختيار هذه الغرفة لان غرف مدرسة قوام تتميز عن غيرها من المدارس , كون كل غرفة ينحدر منها سرداب [1] .

وتمّ في ذلك الاجتماع دراسة الوضع العام في العراق , وكان السيد الصدر بالذات حريصاً على أن يطلع على نظام الحركات السياسية الأخرى [2]

وهناك نقاط التقاء بين الأحزاب الإسلامية:

١- الأهداف العليا للأحزاب الإسلامية هي أهداف مشتركة، فالكل ينادي بالسعي إلى رضوان الله والى تطبيق الشريعة الإسلامية، واتخاذ الإسلام ديناً، أي طريقاً للحياة.

٢- وترى الأحزاب الإسلامية ضرورة التزام أفرادها بأحكام الشريعة الإسلامية.

٣- تؤمن الأحزاب الإسلامية بالرابطة العقائدية الفكرية، ولا تتخذ الروابط الإقليمية والعرقية والمصلحية روابط يرتبط بها أفرادها.

١- السرداب , قبو تحت الأرض , كان منتشراً في النجف توخياً للجّو البارد في الصيف .

٢-وحدثت مفاجأة في هذا الاجتماع , حيث أن الشيوعيين علموا به وحاولوا الهجوم على المجتمعين بدعوى أنهم يتآمرون على نظام عبد الكريم قاسم , ولكن الله دفع شرّهم بمعونة بعض المخلصين من أبناء النجف .

٤- تؤمن الأحزاب الإسلامية بالعمل الجماعي موصلاً إلى التأثير والنجاح.

٥- يعتبر المسلمون العاملون أنفسهم امتداداً للحركة الإسلامية الأولى التي أسسها الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم- في مكة.

٦- ينظر أعداء العمل الإسلامي إلى الأحزاب الإسلامية نظرة مشتركة، وكذلك عاديّو الناس فإنهم لا يفرّقون بين حزب إسلامي وآخر في كثير من الأحيان.

***

وتعتبر المسألة المذهبية على الساحة العراقية بالخصوص، أو ساحة العمل الإسلامية على وجه العموم أمراً في غاية الأهمية، حيث ان تبنّي الحزب لمذهب معين قد يجعله حكراً على أفراد هذا المذهب دون سواهم ، وربما إثارة هذا المذهب على ذلك.

وانطلاقاً من واقع المسألة المذهبية في العالم الإسلامي، حيث يتوزع المسلمون بين عدة مذاهب، وبما ان نشأة حزب الدعوة الإسلامية في جوّ شيعي ارتباطاً بخصوصية نشأته في مدينة النجف الأشرف، أو كون قياداته جميعها شيعية، فان هذه المسالة كان لابد من طرحها للنقاش في أدبيات الحزب ، دفعاً لأي إشكال أو تساؤل يمكن ان يثار من هنا أو هناك.

فقد حرص الحزب على التأكيد دائماً على تجاوزه لمسألة التعصب المذهبي، ودعا إلى إزالة الحواجز النفسية بين المسلمين وان يطلع الجميع على أفكار الآخر وان يتحدوا في مواجهة أعدائهم، كما تمّ طرح عدد من الخطوات العملية في هذا الخصوص.

منها :

١- تشجيع الأبحاث الفكرية والاجتماعية والسياسية من اجل التوحيد بين المسلمين.

٢- التزاور بين أهل المذاهب الإسلامية

٣- التعاون ضمن نقاط الالتقاء المشتركة.

٤- القيام بأعمال سياسية واجتماعية مشتركة بين التجمعات السياسية ذات الانتماءات المذهبية المختلفة.

وتجاوزاً لسياسات التمييز الطائفي داخل المجتمع العراقي، أقرّ برنامج عمل حزب الدعوة إلغاء هذه السياسات في الحياة السياسية كما ضمن للفرد حريته في اعتناق أية فكرة أو معتقد، والحق في ممارسات الشعائر الدينية والطقوس العبادية.

وحزب الدعوة الإسلامية ، وان كان نشأ في النجف من مجموعة من العلماء والرساليين الذين يتبعون مذهب أهل البيت عليهم السلام. إلا أنهم لم يكن يدور في خلدهم أنهم يؤسسون حزباً للشيعة، وإنما هو

حزب إسلامي، من الممكن ان تنضوي فيه كل الطوائف الإسلامية الذين يعانون من تسلط الاستعمار وعملائه.

والاستعمار عندما دخل البلاد الإسلامية لم يكن يفرق بين سني وشيعي، وإنما هو يستعمر البلاد بنفطها وأنهارها ومضائقها وخيراتها.

نعم، لاشك ان الاستعمار يسعى دوماً إلى ان يدقّ إسفيناً بين الطوائف لكي يلعب على الخلاف وإثارته دوماً، بل ان الاستعمار – من اجل ان يلقي بذرة الخلاف بين الشعوب – يخلق في تلك البلاد بؤراً للتوتر كلما اقتضت المصلحة، وليس بعيداً عنا قضية كشمير وقبرص ولواء الاسكندرونة ومناطق أخرى تثار حولها مشاكل الحدود بين فترة وفترة.

وحزب الدعوة الإسلامية كان قد تنبّه إلى هذه النقطة الحساسة منذ البداية وكان يضع في حسابه ان هناك أحكاماً قد تتعلق بالشيعة وحدهم كالخمس، فكان يعتبر ذلك حكماً خاصاً بالشيعة دون غيرهم، حتى لو حكم فلا يجبر غيرهم عليها.

ولا ننكر ان الحواجز المذهبية وقفت عقبة أمام انتشار الدعوة وأمام بعض أعمالها.

فهناك جماعة من المتدينين يعارضون العمل الإسلامي بمشاعر مذهبية جماعية ويرون في الحديث الإسلامي بأبعاده الفكرية والسياسية والاجتماعية خروجاً عن المذهب ويتطيّرون من العمل الإسلامي الذي ينظر إلى المسلمين بجميع مذاهبهم نظرة حب وتعاون.

وبسبب هذه العقبة لم تنمُ الدعوة كما ينبغي إلا في الأوساط الشيعية ولم تنتشر كما ينبغي في الأوساط السنية.

ونعتز بمن يعمل بين صفوفنا من إخواننا الدعاة السنيين الذين دخلوا الدعوة رغم الحاجز النفسي المذهبي الذي يفصل بين المسلمين.

وسوف يكتشف الجميع ان دعوتنا هي الطريق الذي يستوعب المسلمين ليسيروا في سبيل إعادة الإسلام.

ان المسلم المتدين لابد ان يلتزم بأحكام الإسلام بالاجتهاد أو التقليد وفق مذهب معين، وان الموضوع المطروح في العمل الإسلامي ليس هو الالتزام بمذهب، إذ أن هذا الأمر مفروغ منه والنقاش فيه هو تضييع للوقت وإنما المطروح هو العمل لتطبيق أحكام الإسلام الثابتة بالأدلة الصحيحة من مصادر الإسلام القطعية.

والمطروح هو التعارف والتعاون والتآخي والتحابب بين جميع العاملين من المذاهب والعمل في سبيل مصلحة الإسلام العليا، وهذا لا ينافي ان يحتفظ كل منهم بشخصيته الفكرية المذهبية التي يتدين بها بالإسلام.

ان الإسلام يحاربه ويعاديه قوى عالمية ضخمة والمسلمون واقعون تحت نفوذ من يعادي ويحارب إسلامهم، فإذا تباينوا فيما بينهم وتفرقوا فإنهم بذلك يقدمون لأعدائهم أعظم هدية ويطعنون أنفسهم بأيديهم.

ان المسلمين اليوم يعيشون بفرقة وتباعد ، يتألم من جرّائها الواعون منهم اشدّ التألم ،ولن نتمادى في وصف المأساة التي يعيشها المسلمون

اليوم من هذه الناحية.

وأدبيات الدعوة لا يجد فيها الداعية المسلم أي موضوع يثير الجدل والنقاش المذهبي، بل ان الشهيد الصدر في بياناته التي وجهها إلى الأمة العراقية أيام احتجازه أواخر عام ١٩٧٩ وأوائل عام ١٩٨٠، كان يخاطب فيها الشيعي والسني على السواء ، لان الطائفتين مسحوقتان بنظام البعث، وان كان الشيعة لهم الحصة الأوفر في التعذيب والملاحقة والاضطهاد والتهجير ، بحجج لئيمة.

ولسنا نستبعد ان تكون هجمة النظام العراقي ضد حزب الدعوة الإسلامية كان ملحوظاً فيها سعة أفق الحزب واستيعابه – ولو نظرياً – لأفراد ليسوا من الطائفة الشيعية،علماً بان الحزب كان يضم فعلاً منتسبين من الطائفة السنية يوم كنا في العراق قبل خروجنا منه عام ١٩٨٠.

وهناك ملاحظة أخرى مهمة للغاية، ان حزب الدعوة ليس حزباً إقليمياً وإنما هو حزب إسلامي أممي، وإن كان عراقياً في التأسيس وهذه ميزة أخرى جعلت الاستعمار العالمي يحسب لحزب الدعوة حساباً خاصاً لأن فيه القابلية أن يدخل جميع الأقطار حيث يوجد الإنسان المسلم[٣].

١– وبالمناسبة فان أفراد الأمن العراقي كانوا يعرفون حقيقة حزب الدعوة بأنه حزب قد يضم في صفوفه من غير الشيعة، خصوصاً وانهم ينطقون الحزب هكذا (حزب الدعوة) بدون إضافة كلمة الإسلامية، بل كانوا يرون ان الوضع القائم في

وبالفعل فان للحزب أنصاراً ومنتسبين في عدد مـــن الأقطـــار الإسلامية.

وحيث ان الإسلام يـــؤمن بـــمبدأ (إن أكرمكم عند الله اتقـــاكم) و(لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى) فإن قيادة حزب الدعوة من الممكن ان تضم أشخاصاً مختلفين في الجنسيات والأعراق، ولا نجد في ذلك أية غضاضة ما دمنا مسلمين نؤمن بالمبادئ الإسلامية.

العراق هو بين السلطة القائمة والمعارضة التي تتمثل في (حـــزب الـــدعوة) فكـــل معارض يعتبرونه من (الدعوة) .

ويوم انعقد مؤتمر نصرة الشعب العراقي في طهران كان الأســـقف (زيّـــا بوبو) ممثل الكنيسة الشرقية الآشورية في شمال العراق مشاركاً، فقال انه اعتقـــل في العراق بحجة انه من (حزب الدعوة) .

عبد الكريم قاسم وثورة ١٤ تموز ١٩٥٨

بعد اقل من سنة على تأسيس حزب الدعوة الإسلامية ، حدث انقلاب عسكري في العراق ضد الحكم الملكي ، وذلك في ١٤تموز١٩٥٨، وكان قائد الانقلاب عبد الكريم قاسم , الذي تولى رئاسة الوزراء وظل يحتفظ بالسلطة بشكل فردي، وحاول بسياسته منذ اليوم الأول ان يتظاهر بأنه شيعي حريص على هذه الطائفة.

وتفاعل الشيعة المظلومون منذ العهد العثماني وطوال العهد الملكي، تفاعلوا خيراً بالوضع الجديد وبالرئيس الجديد، وانطلت لعبة عبد الكريم قاسم على الحوزة العلمية أيضا ، فأسرع بعض العلماء إلى إرسال برقيات التأييد له.

وأهدى له الشيخ علي كاشف الغطاء خاتماً ثميناً مع رسالة بواسطة (متصرف لواء كربلاء) وقال له: ((إنني اهدي هذا الخاتم إلى الزعيم عبد الكريم قاسم، وان هذا الخاتم له خاصية الحفظ من الأعداء لمن يلبسه)) ولكن الخاتم لم يحفظ الزعيم، وإنما الذي سلم هو هذا الخاتم، حيث يقبع مع الرسالة في احد متاحف بغداد.

وبدأ بعض المعممين بزيارته في مقره بوزارة الدفاع ، وقد كان عبد الكريم قاسم يحسن التحدث إليهم ويجذبهم بحديثه، وكان عندما يقرأون أمامه القصائد الطنّانة في مديحه، يشترك معهم في حديث أدبي.

ولم تكن طلبات أولئك المعممين تتعدّى مصالحهم الشخصية والمطالبة بإعادة أراضيهم التي كانت تسمى (المحرّمات)، حيث استولت عليها الدولة ضمن ما استولت عليه من أراض في عملية الإصلاح الزراعي، كما كانوا يطلبون منه ان يعيّنهم معلمين في المدارس الابتدائية الرسمية.

والواقع ان عبد الكريم قاسم لم ينجز من طلبات هؤلاء إلا مطلب التعليم بعد امتحان جرى لهم في كربلاء ، لأنه كان يريد ان يتخلص منهم ويضعف حوزة النجف، ولتكون عليهم دالّة يكسب من ورائها الكثير.

وبالفعل ، فانه عندما وافق على هذا المطلب ، كانت البرقيات والقصائد تتغنّى بمديحه وحسن صنيعه.

أما المطالب الأخرى فلم يستجب لها مطلقاً ، بل أن عبد الكريم قاسم بدأ يعارض القرآن ويعارض العلماء ويستهين بهم.

فقد طلب السيد (مير محمد القزويني) احد علماء البصرة من عبد الكريم أن يأمر بتوقف القطارات أثناء أوقات الصلاة ، فكان عبد الكريم قاسم في ضمن خطاباته يسخر من هذا الطلب : ويقول أنّ الشرع يسمح بالصلاة والشخص راكب على الدابة ، وأصبحت هذه القضية مثاراً للتندر لدى الشيوعيين.

وكان عبد الكريم كالثعلب يتملق للعلماء ويتظاهر بالاهتمام بالأئمة ومراقدهم ، ولكنه يؤيد الشيوعيين ويفسح لهم اكبر المجالات

وكان أعوانه ومريدوه يشيعون في البلد انه في حقيقته شيعي مؤيد للدين ويخدم العلماء ، ولكنه مضطر إلى ان يفتح الباب على مصراعيه للشيوعيين لسببين:

١- لأنه لم يجد غيرهم يعاونه في البلاد.

٢- انه يمهّد لهم ليتمادوا في غيّهم، ليسهل ضربهم والقضاء عليهم.

وكانوا يشيعون عنه انه متى ما وجد الشيعة وعلماءهم يؤيدونه ويساندونه فانه سوف يسارع في القضاء على الشيوعيين، بل انه سوف يقضي على أحلام السنة في العودة إلى حكم البلاد.

ولذلك فقد كانت هناك مناداة من عدة جوانب في تأييد عبد الكريم قاسم، الذي استطاع أن يكتسح الرأي العام الشيعي ، ونسبت له الخوارق والمغيّبات واليد الإلهية، حتى ان البرقيات التي كانت قد أرسلت له في بداية الانقلاب كانت تتصدرها هذه الآية ((وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى)) فكأن الله سبحانه وتعالى هو الذي نصره وخذل الأعداء على يديه، تماماً كما نصر الله رسوله محمداً – صلى الله عليه وآله وسلم- ببدر وحنين.

* * *

وكلما صعّد الشيوعيون من تأييدهم لعبد الكريم ، تمادى هذا في غيّه وعنجهيته وعرف المقربون إليه والشعراء ووعاظ السلاطين نقطة

الضعف فيه ، فأطلقوا عليه الألقاب الكبيرة ، وسماه مهدي الجـواهري (الرجل الرجل) لان عطاءه إليه كان سخياً وسمّاه الشيوعيون الـزعيم الأوحد، فاستحسن هو هذا اللقب ، وقد كان برتبة زعيم في الجيش فـي بداية الانقلاب ، فكان يسمى (الزعيم عبد الكريم قاسم). وعندما ترقـّى إلى رتبة لواء، بقي يعشق لقب الزعيم، فاستعمله ليس كرتبة عسكرية، وإنما هو زعيم أوحد للبلاد، إن لم يكن زعيماً للأمة العربية.

***

الشيوعيون يؤيدون عبد الكريم قاسم

وتمادى الشيوعيون في تأييد عبد الكريم قاسم، وتمادى هو وزمرته في غيهم وجبروتهم وطغيانهم وعنتهم للشعب.

وقد كان للشيوعيين في النجف تاريخ اسود مليء بالجنايات والاستهتار والاعتداء على الأعراض والأعراف والمقدسات ، وعلى كل من لم يلتحق بركبهم ويصفق معهم.

فكانوا يمسكون بالطوامير في رأس السوق الكبير ويطلبون من الناس ، كل الناس ، أن يوقّعوها تأييداً لهم في أمرٍ من الأمور، ومن يمتنع فهو خائن جبان ، رجعي، عميل، جاسوس.

وفي المواكب التي كانت تخرج سنوياً في كربلاء بمناسبة أربعينية الحسين – عليه السلام – وكذلك في النجف بمناسبة وفاة الرسول – صلى الله عليه وآله – فان الشيوعيين كانوا قد سيطروا على الكثير منها ، حتى التي كانت تأتي من المدن الأخرى.

فان (الردّات) الشعر الذي كان يلقيه أولئك لم يكن فيه أي ذكر للرسول أو الحسين أو الإسلام ، وإنما هو ترديد لشعارات كان الشيوعيون يثبتونها (كالصداقة السوفيتية ، والاتحاد الفيدرالي) حيث كان الشيوعيون ينادون بالاتحاد الفيدرالي بين الدول العربية في مقابلة النداءات الأخرى التي تنادي بالوحدة العربية بزعامة جمال عبد الناصر

علماً بان عبد الكريم قاسم وجمال عبد الناصر في تلـك الأيـام كانـا يتنافسان على زعامة الدول العربية ، وكانا وأنصارهما يقذف كل طرف الطرف الآخر بالعمالة والخيانة.

وأدرك الشيوعـيون ــ في تلـك الأيام ــ ان الحركة الإسلامية (المرجعية وجيل الشباب الجديد الذي يعمل مع المرجعية)[1] هم العقبة الأقوى التي تقف أمام طموحاتهم .

فحاولوا أن يوجهوا ضربات متتالية للرموز الشاخصة في النجف بالدعاة وعلى رأسهم المرجع السيد محسن الحكيم .

فكانوا يعترضون طريقه وهو عائد علـى داره مـن الـصلاة بالسباب , وإن لم يكن موجهاً إليه مباشرة , ولكنهم كانوا يطلقون كلمات غير مؤدبة وكأنهم يوجهونها للخونة والجواسيس والرجعيين , وكـانوا ربما يضربون باب داره بالحجارة .

وانتشرت أخبار ذلك في مدن العراق , فشكل دعاة كربلاء وفداً من الدعاة أنفسهم ومن وجهـاء مـدينتهم , وزاروا المرجـع الحكـيم وعرضوا عليه أن يقيم في كربلاء , لان هجمة الشيوعيين القوية كانت على مدينة النجف وليس كربلاء .

والتقى دعاة كربلاء بدعاة النجف وتدارسوا الفكـرة , ووجـدوا أنها ليست ناجعة , فإن الشيوعيين سوف يحوّلون هجومهم إلـى هنـاك بالإضافة إلى أن انتقال الإمام الحكيم إلى كربلاء سوف يشعرهم بضعف

١- وهم منتسبو ومؤيدو حزب الدعوة الإسلامية الذين كانوا يعملون سراً دون أن يذكروا انتسابهم .

المرجعية , علماً بأن مدينة النجف الأشرف تعتبر عاصمة المرجعية الإسلامية , وانتقال العاصمة من مدينة إلى أخرى يثير في الأمة لغطاً قد لا تكون عاقبته جيدة .

وأرتؤي أن يكون هناك تحشيد جماهيري للمرجعية , فيقوم السيد الحكيم بسفرة إلى بعض المدن ليلتقي بالأمة التي بلغها إساءة الشيوعيين للنجف ومقام المرجعية , وعندما يلتقي مرجعهم معهم سوف يقوى الارتباط بهم إضافة إلى أن الشيوعيين سوف يخشون من التأييد الكبير للمرجعية .

وجرى الحديث مع جهاز المرجعية في ذلك ولقي إستحساناً وقبولاً , فسافر الإمام الحكيم إلى كربلاء , ولكنه لم يسلك الطريق الاعتيادي الأقصر الذي يصل النجف بكربلاء مباشرة , وإنما ذهب إلى الحلة ثم إلى المسيب ثم إلى كربلاء .

وكان له توقف في هذه المدن وإستقبال وتوديع حافل , وفي كربلاء كان الدعاة قد أستنفروا جهودهم في دعوة الناس إلى الإستقبال .

فذهبت مئات السيارات إلى المسيب للإستقبال , في حين ذهبت الجماهير لإستقباله مشياً على الأقدام مسافة عشرة كيلومترات .

ووصل الموكب إلى الصحن الحسيني الشريف , وبدأ المستقبلون ينفضّون , فحدثت ثغرة في هذا التجمع , وكان السيد الحكيم في محاولة لأن يترجّل .

فهجم الشيوعيون نحو سيارة المرجع يهتفون (ماكوا زعيم إلا كريم)[1] إلاّ أن الدعاة كانوا أقوى وأسرع منهم فأدخلوا السيد في السيارة وأنطلقت به .

وعلم فيما بعد أن الشيوعيين كانوا يحاولون القضاء على المرجع هذه القضية وغيرها , نبّهت الأمة إلى الخطر الكبير الذي يتعرض له الإسلام , مما زاد في الالتفاف حول المرجعية صيانة للإسلام من عبث العابثين .

وبدأت الجماهير في زيارة الإمام الحكيم على شكل مواكب وهيئات وتجمعات كبيرة , وتلقي كلماتها وقصائدها تأييداً وإسناداً .

وكان الشيوعيون – في تلك الأيام – يتعمدون ان يتحدّوا مشاعر الأمة ، فيدخلوا النساء السافرات الوافدات إلى النجف بتلك الصورة إلى الصحن الشريف ، والناس يرون ذلك ولا يستطيعون ان ينكروا المنكر لأن حبال الشيوعيين تنتظرهم .

وكانت تلك الأيام خير محكّ للناس ، وتماماً كما قال الحسين ــ عليه السلام ــ إذا محّصوا بالبلاء قلّ الدّيانون.

في تلك الفترة طلب المرجع الحكيم من السيد الصدر ان يكتب كتاباً لبيان خط الإسلام وتفاهة الشيوعية.

يقول المرحوم السيد مهدي الحكيم في مذكراته:

١- أي ليس هناك زعيم إلا عبد الكريم قاسم

((وموضوع كتاب (فلسفتنا) كان بإيعاز من المرحوم (السيد الحكيم) قال لي: أنا أرى الكثير من الناس أصبحوا شيوعيين ، وهؤلاء الشيوعيون ضللوا الناس بحجة ان الإسلام يدعو إلى المساواة بين الفقير والغني ، والشيوعية تعمل كذلك ، وبناءً على ذلك فان كثيراً من الناس صاروا شيوعيين ، وخصوصاً الشيعة ، لأن علي بن أبي طالب مدرسة للفقراء والمستضعفين والمحرومين[١].

وهؤلاء الشيوعيون يدّعون إنهم يدافعون عنهم.

إننا بحاجة إلى كتاب يطرح الشيوعية والإسلام ، ويقارن بينهما من اجل إيضاح الحقيقة للناس ، وإذا كان من الممكن تقول للسيد محمد باقر (الصدر) يكتب هذا الكتاب.

١- (منقولة من مذكرات الحكيم ص٥١)

إنّ الشيوعية في العراق استطاعت ان تسيطر على أوسع الجماهير، وليس نتيجة إيمان الجماهير بالأطروحة الشيوعية كنظرية وفلسفة للحياة، وإنما نتيجة للشعارات العامة المبهمة الغامضة من جهة، أو نتيجة عدم الوعي السياسي عند البعض من جهة أخرى.... فطرحت الشعارات حول الدفاع عن المظلومين والمحرومين.

والناس أكثرهم محرومون ومظلومون، بل أكثر من ذلك صارت عملية تشويه حقيقية حتى على المستوى الديني بحيث حاولوا ان يضللوا كثيراً من الناس بان الشيوعية لا تعني إلا إقامة سيرة علي بن أبي طالب، بل أكثر من هذا إنهم مضوا في تضليلهم ان كلمة الشيوعية تعني الشيعة... وهي كلمة جديدة في قاموس الشيعة وهي كلمة جديدة في المصطلح السياسي وهي كلمة عصرية ... وهذه الطريقة تنطلي على كثير من الناس، بحيث عندما يسأل الفرد هل أنت شيوعي؟ يقول: الحمد لله أنا وأبي وجدي وعشيرتي شيوعيون.

نعم ان هذا كان موجوداً وليس للتندر وان كان في حدود .

وأنا ذهبت إلى السيد محمد باقر وذكرت ذلك لـــه عـــن لـــسان المرحوم السيد (الحكيم) فوافق وكتب (فلسفتنا) .

وحاول السيد الصدر طباعة الكتاب ولكن الرقابة منعتـــه، ثـــم وافقت على طبعه)) .

***

الشيوعية كفر وإلحاد

في الأيام العصيبة تلك , أيام عنفوان الشيوعيين وتماديهم أصدر المرجع الإمام السيد محسن الحكيم بتاريخ ٢٠ شباط ١٩٦٠ فتواه المشهورة :

بسم الله الرحمن الرحيم

لا يجوز الانتماء إلى الحزب الشيوعي فإن ذلك كفر وإلحاد أو ترويج للكفر والإلحاد , أعاذكم الله وجميع المسلمين عن ذلك وزادكم إيماناً وتسليماً , والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته)

لقد كان لتلك الفتوى أثر كبير , خصوصاً في أولئك الذين كانوا يجهلون الفكر الشيوعي أو الذين كانوا مغرورين به .

ثم أصدر المراجع الآخرون فتاوى بنفس المضمون .

وللعلم فإن الشيوعيين بعد فشل ثورة عبد الوهاب الشواف في الموصل , كانوا يعلقون المناوئين لهم على أعمدة الكهرباء , ويقطعون رؤوس البعض منهم وأثار ذلك عبد الكريم قاسم عندما رأى مجموعة من الرؤوس جلبت له في (كَونية).

وخطب عبد الكريم قاسم بتاريخ ١٩٥٩/٧/١٩ في افتتاحه كنيسة ماريوسف ببغداد وشجب أعمال الشيوعيين ووصفهم بأنهم فوضويون

وإن ما فعلوه هو أشد همجية مما فعله الصهاينة في حرب ١٩٤٨ في جنين ودير ياسين[١] .

وانتكس الشيوعيون بعد ذلك الخطاب , وسرت موجة عارمة في البلاد للتحدث عن جرائمهم , مما حدا بالشيوعيين أنفسهم أن يتنصّلوا من جرائم القتل ويدينوا الذين اشتركوا في تلك المذابح[٢] .

حيث عقدت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي جلسة في أواسط آب ١٩٥٩ بحثت فيه أحداث الموصل وكركوك وأدانت فيها ما أرتكب من أعمال إجرامية[٣] .

١- صحيفة البلاد وصحيفة إتحاد الشعب في ١٩٥٩/٧/٢١ ومجموعة خطب عبد الكريم قاسم الجزء ٢ ص٤٨ و ٤٩ .
٢- كان الشيوعيون يقولون في بيانهم أنهم لم يفعلوا ذلك , وإنما الذي فعله هم أعداؤهم , ونسبوه لهم .

٣- جريدة اتحاد الشعب بتاريخ ١٩٥٩/٨/٢٨ .

جماعة العلماء

إن الأيام تلك كانت صراعاً قوياً بين الكفر والإسلام، وكما قلنا في حديث سابق .

إن الحزب اهتم بالأمة اهتماماً كبيراً، على أساس ان الجمهور يشكل في النظرية الإسلامية السياسية القوة والقاعدة الفاعلة المؤثرة في مسيرة التاريخ، وعلى الحركة الإسلامية ان تكون حذرة من الانعزال عن الجمهور.

وبعد دراسة من الحزب ، وبتوجيه من الشهيد الصدر، جاءت فكرة تأسيس (جماعة العلماء) في مدينة النجف الأشرف، ولا شك أن تكون تلك الأحداث قد ألهبت شعور بعض العلماء الأبرار، فقد أدركوا ان خطراً فادحاً يزحف على الإسلام والمسلمين وعلى كل الأعراف والمقدسات.

فتنادوا فيما بينهم ، والتقوا وتناجوا ، واتفقوا على تشكيل (جماعة العلماء في العراق) لتقوم بدورها في الدفاع عن الإسلام المنتهك.

***

وجماعة العلماء التي تشكلت في النجف الأشرف , كانت بالنسبة لحزب الدعوة الإسلامية تعتبر وكأنها الحزب نفسه في كثير من النقاط :

١- كان عدد من أعضاء الجماعة لصيقين بحزب الدعوة كالسيد إسماعيل الصدر والشيخ محمد رضا المظفر والشيخ مرتضى آل ياسين وهذا الأخير كان يتصوره الكثيرون انه هو الذي يرأس الحزب وذلك للعلاقة القوية بينهما,علماً بأنه خال الشهيد الصدر.

٢- السيد محمد باقر الصدر(احد ابرز مؤسسي الحزب) الذي لم يكن من ضمن الجماعة لصغر سنه آنذاك , إلا انه كان هو اللولب الحقيقي المحرّك لهم , إذ وجد ضالته في هذه الجماعة التي استطاعت أن تكسر العرف الذي درجت عليه الحوزة في عدم التدخل بالشؤون السياسية.

٣- باقي أعضاء الجماعة لهم صداقات وعلاقات متينة مع عدد من كبار أعضاء حزب الدعوة في الحوزة.

٤- اغلب كتّاب (مجلة الأضواء) التابعة للجماعة ,انما هم من الدعاة

و بصورة عامة فان حزب الدعوة الإسلامية اعتبر(جماعة العلماء) أفضل مجال للتحرك الإسلامي المنشود , فكان الدعاة هم الذين يوزعون نشرات الجماعة .

وقد استفادت الجماعة كثيراً من انتشار الدعاة في العراق وأساليبهم السريعة في إيصال تلك المنشورات , كما وقفوا مواقف ثابتة للدفاع عن تلك الأفكار يوم كان الشيوعيون يسيطرون على الإعلام العام,بل على جميع مرافق الحياة.

ولقد كان الدعاة يحملون هموم جماعة العلماء ويبشرون بفكرتهم ويدافعون عنها,في وقت كان الشيوعيون قد استطاعوا أن يكمّوا جميع الأفواه (بمعونة عبد الكريم قاسم) وكان سرعان ما يوصم من يخرج عن الأفكار الشيوعية بأنه رجعي خائن , ويلوّحون له بالاعتقال والسحل بالحبال .

والدعاة ــ وقد عملوا في صفوف(حزب الدعوة الإسلامية) كان عليهم ان يلتزموا بالسرية , وما عليهم الآن إلاّ أن يقوموا بعملية تغيير الأمة بالتدريج وبهدوء لا يثير الأعداء.

أما وقد وجدوا جماعة العلماء قد نهضت بعمل ينسجم مع عملية التغيير التي ينشدونها,فهم في فسحة من التحرك من أجل إيصال أفكار الجماعة.

وكانت أيامهم تلك أيام أعياد:

أ-حيث استطاعوا ان يتحركوا باسم جماعة العلماء ويتخذوها ستاراً لهم.

ب-ولأنهم وجدوا ان هناك مجموعة من العلماء الكبار يتحسّسون الواقع ويعملون للإسلام الذي كان ممنوعاً من الظهور.

من هم جماعة العلماء؟

يقول الشيخ حسن الجواهري – رحمه الله –[1] انه والسيد باقر الشخص كانا يلتقيان العلماء الآخرين واستطاعا ان يجدا لهما أصحاباً ويقول انه حرص على ان يكون عددهم أربعة عشر شخصاً تيمّناً بالمعصومين الأربعة عشر.

فيقول – رحمه الله – انه كان يريد للجماعة هذه ان تكون خالصة لله في أعمالها وليست للزعامات وبناء المرجعيات .

وحرص الشيخ الجواهري على أن لا تكون (الجماعة) منحازة لأي مرجعية ، ويقول انه كان يريد ان يكون الشيخ مرتضى آل ياسين رئيساً لهذه الجماعة، حيث تتوفر فيه عدة شروط :-

١- كبر السن، فهو اكبر الأعضاء سناً.

٢- علمه واجتهاده وورعه وتقواه ومقبوليته لدى الجميع.

٣- كونه ليس محسوباً على مرجعية معينة .

ولكن الشيخ محمد طاهر الشيخ راضي كان يريد الرئاسة للسيد علي

١- في حديث لي معه بتاريخ ١٩٨٦/١١/٧ جرى في قم، يوم كنا في المهجر,وهو احد أعضاء جماعة العلماء، من المندفعين للإسلام، كان مثالاً في الورع والتقوى والتواضع ونكران الذات، ومن الرجال القليلين الذين يريدون ان تكون كل أعمالهم لله سبحانه وتعالى ولا يشوبها حب الذات والظهور.

بحر العلوم ، وهذا السيد ، وان لم يكن من الأعضاء , إلا انه كان من حاشية المرجع السيد محسن الحكيم. وأخيراً تحققت رغبة الجواهري وأصبح آل ياسين رئيساً.

وقد كانت الجماعة مؤلفة من الطبقة الثانية من علماء الإسلام ، أي أنهم ليسوا من المراجع، وان كانوا من المجتهدين ، وهم:

١- الشيخ مرتضى آل ياسين.
٢- الشيخ محمد رضا المظفر.
٣- الشيخ حسن الجواهري.
٤- السيد باقر الشخص.
٥- السيد إسماعيل الصدر.
٦- السد محمد تقي بحر العلوم.
٧- السيد موسى بحر العلوم.
٨- الشيخ محمد جواد آل راضي.
٩- الشيخ محمد تقي الايرواني.
١٠- الشيخ محمد طاهر آل راضي.
١١- الشيخ حسين الهمداني.
١٢- الشيخ خضر الدجيلي.
١٣- السيد مرتضى الخلخالي.
١٤- الشيخ عباس الرميثي.

***

وقد كانت (جماعة العلماء) أول مجموعة من العلماء بعد ثـورة العشرين تقوم بعمل سياسي.

يقول الشيخ حسن الجواهري: إننا أردنا من (الجماعة) ان تعمل لله، ولكن رأيت ان هناك من الأعضاء من يريد ان ينحاز إلـى الفكـر القومي ، حيث قال احدهم – والجواهري رفض ان يذكر اسمه – إننـا لابدّ أن نستند على حزب قومي لكي يؤيدنا في مواجهتنا للشيوعية ونحن ضعفاء لا نقوى على محاربة الشيوعية دون الاستناد على القوميين.

أصرّ الشيخ الجواهري على رأيه بان تكون الجماعـة نزيهـة ومتمسكة بحبل الله ، وإننا مادمنا مع الله فهو ناصرنا، ومن هـو عبـد الناصر لنستند إليه؟ وما هو مبدأ عبد الناصر؟ وإذا أصررتم على رأيكم فاعتبروني مستقيلاً وان هذا آخر لقاء معكم.

وكانت (الجماعة) اذ ذاك تريد ان تقيم حفلاً كبيراً بمناسبة ولادة الإمام علي – عليه السلام – فقال لهم الجواهري: إنّ هذا الاحتفال لا بد أن يكون خالصاً لله في الله ، وإذا شئتم أن تـدخلوا فيـه أمثـال تلـك الأحزاب القومية فلن احضر معكم.

وانتصر الجواهري أيضاً.

فيقول – رحمه الله – وفي اليوم الثاني جاءني السيد حسين بحر العلوم وقال لي :ـ إنّ سبعمائة بطاقة دعوة قد تمزقت ، حيـث كانـت مهيأة ان توجه إلى سبعمائة قومي ليجعلوا الصفة العامة للاحتفال قومياً ناصرياً.

فكان احتفال النجف عام ١٩٥٩ باكورة أعمال جماعة العلماء الذي افتتح بكلمة من المرجع الحكيم ثم كلمة من رئيس مجلس السيادة نجيب الربيعي قرأها السيد صالح الخرسان ثم كلمة عبد الكريم قاسم قرأها الشيخ مسلم الجابري ثم كلمة الشيخ محمد رضا المظفر فقصيدة للسيد جمال الهاشمي وأخرى لمحمد صادق القاموسي .

***

وكان تأسيس (جماعة العلماء) في العراق ضربة قوية للشيوعيين، حيث كانوا هم الوحيدين الذين يسيطرون على الشارع، أما إذا تشكلت (جماعة العلماء) فإنهم يعلمون ان هؤلاء سوف تكون لهم مقبولية لدى الأمة، فلا بد من مواجهتهم بعمل مناوئ لهم من المعممين أنفسهم.

***

المراجع يؤيدون جماعة العلماء

وعندما تشكلت جماعة العلماء استنفر الشيوعيون جهودهم خصوصاً أولئك الذين في النجف , فقد وجدوا في جماعة العلماء حركة جديدة ظهرت إلى الوجود , سوف تنافسهم على الشعب .

والشعب العراقي وإن كان مسلماً في فطرته , ولكن الشيوعيين كانوا قد مرّروا خزعبلاتهم عليه , بعد ما خلت الساحة من كل صوت سياسي إسلامي (علماً بأن حزب الدعوة الإسلامية في عام ١٩٥٩ كان لا يزال يعمل في الخفاء) .

والشيوعيون يعلمون أن العلماء سوف يكون لهم رصيد قوي في الأمة , فأشاعوا بأن هؤلاء (الجماعة) غير معترف بهم من قبل المراجع الكبار ـ وهم وإن كانوا لا يعترفون بالمراجع ولا بالدين ولكنهم كانوا يخشون أن تتأثر الأمة بجماعة العلماء ـ .

فلجأوا إلى تشكيل (علماء الدين الأحرار) , ولعلهم استوحوا ذلك من مفهوم (الضباط الأحرار) الذين ثاروا على العهد الملكي وكان منهم عبد الكريم قاسم , فكان لكلمة الأحرار ـ في تلك الأيام ـ بريق يستهوي الناس .

نعم أسسوا (علماء الدين الأحرار) وأدّعوا أن الشيخ عبد الكريم الماشطة في الحلة هو رئيس هذه الجماعة , وأعطوه لقب (آية الله) .

وكان من أعضائها الشيخ عبد الحليم كاشف الغطاء والسيد محمد حسن الطالقاني والسيد محمد أمين جمال الدين والسيد عبد الحسين الدخيلي والشيخ مجيد زاير دهام .

ولكنهم ـ بصورة عامة ـ كانوا منبوذين من قبل الحوزة وعلمائها وطلابها , لا يسلمون عليهم ولا يتكلمون معهم , واذا دخل أحدهم إلى مجلس فلا يفسح له في الجلوس .

وكان الشيوعيون يضعون صورهم في واجهات صحيفة (إتحاد الشعب) الجريدة الرسمية للحزب الشيوعي العراقي مع اقتباس بعض كلماتهم .

***

وبدأ ما يسمى بـ (العلماء الأحرار) سواء في إتحاد الشعب أو في منشورات خاصة , ينشرون الضلال والتشكيك بنوايا جماعة العلماء وبشخوصهم الكريمة , ويحاولون التأثير على أذهان العامة .

عند ذلك قام الشيخ مرتضى آل ياسين رئيس جماعة العلماء بأخذ تواقيع تأييد (الجماعة) .

وبالفعل فقد أخذ تأييد كل من :

١- السيد محسن الحكيم.

٢- السيد أبو القاسم الخوئي.

٣- الميرزا عبد الهادي الشيرازي.

٤- السيد عبد الله الشيرازي.

٥- السيد محمود الشاهرودي.

٦- الميرزا آغا الاصطهباناتي.

٧- الشيخ عبد الكريم الجزائري.

٨- الميرزا مهدي الشيرازي في كربلاء.

أما السيد محسن الحكيم فقد كتب في تأييد الجماعة ما يلي:-

((ان جميع ما أصدره فريق من أعلام أهل العلم أيدهم الله تعالى باسم جماعة العلماء في النجف الأشرف ، وما يصدر منهم من نشرات وغيرها ، مما يتضمن الدعوة إلى الدين والإسلام لهو من أهم الوظائف الشرعية التي يجب القيام بها في سبيل إعلاء كلمة الدين وترويج مبادئه الشريفة وتعاليمه المقدسة ، فعلى عامة المسلمين العمل على مؤازرتهم والوقوف إلى جنبهم في تحمل أعباء هذه الدعوة الدينية المباركة))[1]

وقد أراد جماعة العلماء ان يطبعوا تلك التأييدات ، في النجف، ولكن رقابة المطبوعات في النجف لم توافق، ثم طبعت في كراس خاص من

١- احمد الحسني – الإمام الحكيم السيد محسن الطباطبائي ص ٧٠.

منشورات ((مدرسة العلوم الدينية في الناصرية))[1] من قبل الشيخ (عباس الخويبراوي الناصري) الذي كان يعمل - رحمه الله - مع جماعة العلماء.

***

بدأت جماعة العلماء بإصدار منشورات إلى عموم الأمة، تدعوها إلى الالتزام بالأحكام الإسلامية والدفاع عن الإسلام ، كما كانت تحذّر الناس من الشيوعية والاستعمار.

والملاحظ ان المنشورات الثلاثة الأولى كانت تتصدر بمديح عبد الكريم قاسم، وكان مع اسمه انه (نصير الإسلام) في حين كان يسميه الشيوعيون (نصير السلام) على أساس ان عبد الكريم شخص محبوب جماهيرياً، فإذا قالوا عنه انه نصير الإسلام ، فالجماهير تميل إلى الإسلام!! مما أثار جماعة من حزب التحرير.

وكانت المنشورات يقرؤها السيد هادي الحكيم من الإذاعة في بغداد، وابتداءً من المنشور الرابع حذف منها ذكر عبد الكريم.

وقد صدر من هذه المنشورات سبعة فقط، ثم توقف إصدارها بعد ان تبنّت جماعة العلماء إصدار مجلة (الأضواء).

***

١- حيث ان المدرسة الدينية في الناصرية كانت مجازة، فكان من اليسير ان تطبع أمثال هذه المنشورات.

تأثير جماعة العلماء في الحوزة

واستطاعت جماعة العلماء ان تغيّر من الواقع الذي كان يعيشه العلماء في العراق بصورة عامة وفي النجف بصورة خاصة , فالعلماء الذين كانوا لا يرون التدخل في الأمور السياسية من شؤونهم ، بدأوا يطرقون باب السياسة ، وبعدما كانوا بعيدين عن الأمة، فقد ارتبطوا بالأمة من جديد.

ولذلك استغرب الناس أيّما استغراب عندما وقعت في أيديهم منشورات جماعة العلماء ، وكان ذلك حدثاً مهما في أوساط الجماهير لأنهم ما اعتادوا على مثيل له من قبل وقد ملأ قلوبهم الفرح الذي أعاد لهم الأمل في رحاب الإسلام .

ونستطيع أن نعدد الأسباب التي حرّكت العلماء لتشكيل جماعتهم حسب تصورنا بما يلي :-

١- التطور الفكري الذي حصل للعلماء طوال تلك الفترة.

٢- ان ولادة حزب الدعوة الإسلامية من قبل ثلة من العلماء والرساليين مشهود لهم بالتقوى، حرّكت العلماء الآخرين لان يقوموا بدورهم في الدفاع عن الإسلام.

٣- الهيجان لدى الجماهير العراقية بصورة عامة إثر ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ والتي أحدثت هزة في شعورهم جميعاً.

٤- إنها كانت ردة فعل لما قام به شيوعيو العراق من أعمال وتحدٍّ سافر لمشاعر المسلمين والعداء للدين والعلماء ، حيث حفزت هذه الظاهرة الصفوة من العلماء الأبرار لأن يقوموا بدورهم في الدفاع عن الإسلام.

٥- ونستطيع ان نضيف سبباً آخر ، وهو أن بعضاً من (المعممين) بدأوا يزورون عبد الكريم قاسم - كما أسلفنا - في وزارة الدفاع لتقديم آيات التبريك والاحترام ومن ثم لمحاولة إعادة (محرّماتهم) وهي الأراضي التي استولت عليها الدولة ضمن الأراضي المستولى عليها في عملية الإصلاح الزراعي.

ان حضور بعض العلماء في مجالس حاكم البلاد آنذاك وبطريقة مزرية، حفّز العلماء الشرفاء لأن يبرزوا كقوة إسلامية لها أصالتها.

***

مجلة الأضواء

فقد صدر العدد الأول منها في ١٥ ذي الحجة ١٣٧٩هـ المصادف ٩ حزيران ١٩٦٠ (الأضواء نشرة إسلامية عامة تشرف عليها اللجنة التوجيهية لجماعة العلماء) .

وإنما سميت نشرة وليست مجلة ، لأنهم لم يقدموا على استحصال إجازة بصدورها لتصبح مجلة رسمية ، أو أنهم قدموا ولم يحصلوا على الإجازة.

وكانت تصدر في كل أسبوعين مرة ، وصدرت لمدة أربع سنوات.

ويلاحظ ان المنشورات التي كانت قد صدرت للجماعة، انقطعت بعد إصدار مجلة الأضواء ، وكانت المنشورات السابقة تمدح عبد الكريم قاسم في أعدادها الأولى ، أما المجلة فليس فيها ذكر له ولا لغيره من المسؤولين ، لا مدحاً ولا قدحاً ، وإنما هي إسلامية بكل معنى الكلمة وعلى مستوىً عالٍ من الوعي الإسلامي والفهم السياسي.

وكان لابد أن يكون في كل عدد من المجلة افتتاحية تحت عنوان (رسالتنا) يكتبها الشهيد السيد محمد باقر الصدر باستمرار ، ولم يكن – رحمه الله – من أعضاء جماعة العلماء ، لا لأنه ليس من العلماء وإنما لأنه كان صغير السن ، فقد كان عمره في تلك الأيام (١٩٥٩)

٢٤ سنة فقط ، إذ انه من مواليد ١٩٣٥، ولكنه في الواقع كان لولب العمل في جماعة العلماء ، لما يمتاز به من علم كبير ونبوغ وسعة إطلاع وقدرة على التحليل وتفهم الواقع السياسي وأساليب الاستعمار والعملاء.

ونستطيع القول انه كان من (الجماعة) وان لم يكن عضواً رسمياً معهم، فقد كان يحمل همومهم ويحركهم ويكتب بعض المواضيع الأخرى في المجلة (غير الافتتاحية) ، ولعله كان يحضر اجتماعاتهم أيضاً.

وإذا رأى ان بعضهم بدأ يضعف أمام الصعاب والمتاعب التي تواجه (الجماعة) فهو الذي يشدّهم ويبعث فيهم العزم والقوة والصمود.

قلنا أن إفتتاحية المجلة (رسالتنا) كانت تكتب بقلم الشهيد الصدر , كما كانت هناك كلمة أخرى هي الإفتتاحية في المجلة , تحت عنوان (كلمتنا) يكتبها السيد محمد حسين فضل الله ابتداءً من العدد الثاني والتي كانت بعنوان (ذكرياتنا وموقفنا منها) .

حيث كان يعالج الأفكار التي انحرفت عن الخط السليم في ذكريات الإسلام الخالدة والتي أخذت خطاً عاطفياً قد لا ينسجم مع خط الإسلام الصحيح .

***

ومجلة (الأضواء) كان فيها عدة أبواب ، هي صوت الطلبة المسلمين ، وصوت المرأة المسلمة ، وصوت المعلمين المسلمين وأسئلة وأجوبة.

أما ركن المرأة المسلمة ، فقد كانت الشهيدة بنت الهدى هي التي تتولى ذلك في كل عدد.

لقد كانت مجلة (الأضواء) موسوعة من الوعي الإسلامي , كان ينهله الشباب وهم يقراون مفاهيم جديدة .

ومما يزيد في بهجتهم انها تصدر من العلماء الذين لم يتطرقوا لها من قبل .

وصدر من مجلة الأضواء عدة كتب تعالج قضايا إسلامية كان منها :

الإسلام ... ينابيعه مناهجه غاياته للشيخ محمد أمين زين الدين

مشكلة الفقر دراسة تشريعية على ضوء الاقتصاد الإسلامي للشيخ عبد الهادي الفضلي .

وأما الذين كانوا يحرّرون فيها ، فهم نخبة من العلماء الواعين أمثال (السيد إسماعيل الصدر وأخيه الشهيد الصدر والسيد مرتضى العسكري والسيد محمد جمال الهاشمي والسيد محمد حسين فضل الله والشيخ محمد مهدي شمس الدين والشيخ عبد الهادي الفضلي والشيخ محمد أمين زين الدين والشيخ باقر القرشي واحمد أمين والسيد داود العطار).

ومن الجدير بالذكر ان فكر حزب الدعوة الإسلامية كان يطغى على ذوق هذه المجلة ، ونستطيع أن نقول أن (الأضواء) كانت لساناً ناطقاً للحزب ، وذلك ناشئ من ان أكثر العلماء الذين يحررون فيها كانوا من الدعوة المباركة التي أصبح فكرها يطغى ويشعّ على من يريد ان يتبنّى الإسلام عقيدة ونظاماً.

هذا بالإضافة إلى ان الشهيد الصدر ، وهو احد مؤسسي حزب الدعوة الإسلامية والمتحمسين له – وكما قلنا سابقاً – كان لولباً لهذه الجماعة، وكان هو الذي يكتب افتتاحية المجلة.

ونثبت هنا الافتتاحية التي نشرت في العدد الأول من الأضواء الصادر في ١٥ ذي الحجة ١٣٧٩هـ الموافق ٩ حزيران ١٩٦٠:

رسالتنا

بسم الله الرحمن الرحيم*

((الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين * إيّاك نعبد وإيّاك نستعين * اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين*))

في الشرط الأساسي لنهضة الأمة – أيّ امة كانت – ان يتوفر لديها المبدأ الصالح الذي يحدّد لها أهدافها وغاياتها ويضع لها مثلها العليا ويرسم اتجاهها في الحياة فتسير في ضوئه ، واثقة في رسالتها مطمئنة إلى طريقها، متطلعة إلى ما تستهدفه من مثل وغايات مستوحية من المبدأ وجودها الفكري وكيانها الروحي.

ونحن نعني بتوفر المبدأ الصالح في الأمة ، وجود المبدأ الصحيح أولاً ، وفهم الأمة له ثانياً ، وإيمانه به ثالثاً.

فإذا استجمعت الأمة هذه العناصر الثلاثة، فكان لديها مبدأ صحيح تفهمه وتؤمن به أصبح بإمكانها ان تحقّق لنفسها نهضة حقيقية وان توجد التغيير الشامل الكامل في حياتها على أساس ذلك المبدأ، فما كان الله ليغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، كما دلّ على ذلك التنزيل الحكيم.

وأمتنا الإسلامية الكريمة لا تفقد – في الحقيقة – من عناصر الشرط الأساس لنهضتها البناءة إلا واحداً منها.

فالمبدأ موجود لديها متمثل في دينها الإسلامي العظيم الذي لا يزال وسيبقى ابد الدهر أقوى ما يكون على تحمل أعباء القيادة المبدأية، وتوجيه الأمة وجهتها المثلى ، والارتفاع بها من نكستها إلى مركزها الوسطي من أمم الأرض جميعاً كما شاء الله لها.

والأمة الإسلامية كلها مجمعة على الإيمان بهذا المبدأ وتقديسه ديناً وعقيدة ، غير أن هذا الإيمان ضعيف في الغالب ومحدود لدى كثير من الأشخاص.

واكبر سبب في ذلك عدم امتلاك الأمة بصورة عامة، وغالبية العنصر الثالث وهو فهم المبدأ ، فالأمة تؤمن بالمبدأ الإسلامي إيماناً إجماعياً، ولكنها لا تفهمه منها إجماعياً، وهذا هو التناقض الذي قد يبدو غريباً لأول وهلة ، فكيف تؤمن الأمة بالمبدأ وتدين له بالولاء وهي لا

تفهمه حق الفهم ولا تعرف من مفاهيمه وأحكامه وحقائقه إلا نزراً يسيراً.

ولكن هذا الواقع الذي تعيشه الأمة منذ منيت بالمؤامرات الدنيئة المستهترة تارة والساخرة أخرى من أبناء الصليبيين المستعمرين أعداء الإسلام التأريخيين ، تلك المؤامرات الهائلة التي شنّوها على الأمة وكيانها حتى انتهت بالغزو الاستعماري المسلح ، فلم يكن للغزاة من همٍّ بعد القضاء على كيان الإسلام الدولي إلاّ ان يباعدوا بين الأمة ومبدئها وقامت عملية الفصل هذه بين الأمة والمبدأ على قدم وساق ، وهي تعني سلب الأمة إيمانها بالمبدأ وفهمها له.

ولكن لمّا كان إيمان الأمة بالإسلام أقوى من تلك المؤامرات والمخططات الاستعمارية جميعاً استطاع ان يثبت وينتصر في المعركة فظلّت الأمة محتفظة بإيمانها بإسلامها العظيم.

وأما فهم الأمة للمبدأ ومفاهيمه وحقائقه ، فقد كان هو نقطة الضعف التي نجحت فيها عملية الفصل بين الأمة والمبدأ ، فقد استعمل الغزاة الآثمون كل الطرق والأساليب للقضاء على وعي الإسلام من ذهنية الأمة وحجب أضوائه وأنواره عنها بما نثروه هنا وهناك من مفاهيمهم وأفكارهم وتشويهاتهم للإسلام المشرق العظيم.

وهكذا أصبحت الأمة بعد ان نفذ أعداؤها فيها مخططهم الفظيع وهي لا تعرف من الإسلام شيئاً واضحاً محدداً ، أو تعرف ما زوّده المستعمرون من أفكاره وحقيقته.

وبهذه الطريقة وجد التناقض العجيب في كيانها فأضحت لا تفهم الإسلام فهماً صحيحاً كاملاً ، بالرغم من أنها ظلت باقية على إيمانها به وبطبيعة الحال ان انخفاض الوعي وحجب الصور الحقيقية الزاهية للإسلام عن الأنظار كان سبباً في انخفاض الدرجة المعنوية للإيمان نفسه وفقدانه لكثير من طاقاته الحرارية الجبارة.

فمسألة الأمة اليوم – وهي تملك المبدأ الصحيح وتؤمن به – ان تقبل على تفهم إسلامها ووعي حقائقه واستجلاء كنوزه الخالدة ليملأ الإسلام كيان الأمة وأفكارها ، ويكون محركاً حقيقياً لها وقائداً اميناً إلى نهضة حقيقية شاملة ، فالفهم العام للمبدأ الإسلامي إذن هو ضرورة الأمة بالفعل التي تستكمل الأمة به الشرط الأساسي لنهضتها.

وليست هذه (الأضواء) إلاّ اشعاعة من نور الإسلام الوهّاج حاولنا أن تنير الأمة وتكشف عن شيء من كنوز الإسلام وتعكس أنواره على ما يتماوج به واقع الأمة من أفكار وأحداث ، وهي جزء من حركة فكرية شاملة ندعو المصلحين والقادة الإسلاميين إلى إيجادها والتوفر على تنميتها وتغذيتها لتعرف الأمة طريقها السوي وتفهم كيف نفتح الدنيا بالمفتاح الإلهي الذي أهملته طوال هذه السنين.

وسوف تعنى الأضواء:

أولاً: بنشر مفاهيم الإسلام وأحكامه والتأكيد على روعتها وتفوقها على سائر المبادئ الأخرى التي ارتجلتها عقول إنسانية ناقصة محددة ، فجاءت وهي تختلف عن الإسلام في عمقه وشموله

وكماله، كما يختلف الإنسان الناقص المحدود عن الخالق العليم الحكيم.

وتهتم الأضواء في الغالب بأن تكون الثقافة الإسلامية التي تقدمها على صفحاتها واضحة في أفكارها ، سهلة في عبارتها ، خالية من التعقيد والغموض لتكون في متناول الأكثرية الكاثرة من أفراد الأمة الكريمة لأن هذه الأكثرية هي القوى الجبارة التي يعتمد عليها الإسلام ويجب تجنيدها له في معركته مع الكفر.

ثانياً: بتسليط الإسلام على بعض جوانب الواقع وأحداثه ليتضح بكل جلاء مدى المناقضة بين الإسلام في أمانته ودقة معالجته وصدق وعده وبين الواقع السيّئ الذي يعيشه المسلمون.

ثالثاً: بفسح المجال لتقبّل الأسئلة التي تدور حول الإسلام، والجواب عليها بما يبرز كلمة الإسلام عالية واضحة، تزول عندها كل الشكوك والشبهات وتنحل كل مشكلة وكل تعقيد.

ونسأل الله تعالى ان يوفق الأضواء إلى تحقيق رسالتها والسير في طريقها اللاحب المستقيم وهو ولي التوفيق

جماعة العلماء في النجف الأشرف

يلاحظ هنا الوعي العميق لدى الشهيد الصدر – كاتب هذه الافتتاحية , فهو – رحمه الله – يفكر بالأمة الإسلامية جمعاء، ولم يخصّ العراق بالذكر ولا العرب، وإنما هم المسلمون في كل مكان,الذين استحوذ عليهم الكفر وطرقتهم الصليبية وكواهم الاستعمار الذي (لم يكن للغزاة منهم بعد القضاء على كيان الإسلام الدولي إلا ان يباعدوا بين الأمة ومبدأها) .

كان يفكر – رحمه الله – منذ ذلك التاريخ وقبل ذلك التاريخ منذ يوم فكّر بتأسيس حزب إسلامي كحزب الدعوة، كان يفكر بالأمة وشؤونها ودولة الإسلام الكبرى.

والافتتاحية التي قرأناها هي تماماً كما نفكر الان في عام ٢٠٠٤ لا تحتاج إلى تغيير وتحوير وحذف وإضافة.

لقد كان الشهيد الصدر قمة في الوعي الإسلامي ونابغة من نوابغ المرجعية , استطاع أن يعيد الأمل للأمة التي تنتظر ما تقوله الحوزة والمرجعية , بعدما حصل انسحاب عن السياسة وفسح المجال للأفكار الضالة والإلحاد وأضحت الحالة وكأن الإسلام لا رأي له فيما يجري في الساحة من تخريب .

ومجلة الأضواء لم تكن تهتم بشؤون العراق فقط وإنما مساحتها المسلمون في كل مكان .

إيران تعترف بإسرائيل
وجماعة العلماء تنتقد

وفي السنة الأولى من المجلة ، يجد القارئ مواضيع وبرقيات تهتم سياسياً بكل ما يمتّ إلى الإسلام بصلة، فعندما اعترفت إيران بإسرائيل، نشرت المجلة هذا الموضوع القيّم الذي يدلّ على إدراك واسع ووعي عميق لما يحاك ضد المسلمين من قبل الاستعمار.

والموضوع منشور في الصفحتين ١٣٩ – ١٤٠ من العدد الخامس الصادر بتاريخ ١٥ صفر ١٣٨٠ الموافق ٩ آب ١٩٦٠:

((إنّ اعتراف حكومة إيران التي تحكم شعباً يدين بالإسلام بما يسمى دولة إسرائيل التي تقوم على أساس ديني هو اليهودية ، والتي تحكم جماعات يهودية لا يربط بينها شيء غير رباط الدين ، يضعنا أمام حقيقة رهيبة هي ان الحكومة الإيرانية بعملها هذا قد حاربت الإسلام ذاته، ومن هنا أبدى آية الله العظمى الإمام الحكيم استنكاره الشديد لما حدث ، وأعرب عن أمله في ان يحافظ المسؤولون الإيرانيون على واجبهم الإسلامي.

وان علينا – إذا أردنا أن نكّون فكرة صحيحة عن مغزى الاعتراف الإيراني بإسرائيل – ان نأخذ بنظر الاعتبار جملة حقائق لا ريب فيها:

١- ان الإسلام قد حرّم على المسلمين ان يحارب بعضهم بعضاً وان يعتدي بعضهم على بعض بأي شكل من إشكال الحرب والعدوان، كما حرم عليهم ان يوادّوا أعداء الإسلام وان يساعدوهم بأي شكل من أشكال الموادة والمساعدة.

٢- وان فلسطين بلد إسلامي يسكنه قسم من المسلمين، فكل عمل من شأنه ان يغير هذه الصفة بصورة مباشرة أو غير مباشرة يجب ان يكافح من قبل المسلمين جميعاً لأنه عمل يعرّض الوجود الإسلامي في هذه البقعة من العالم للمحو والفناء.

٣- وان الاستعمار العالمي والصليبية الحاقدة ، في سبيل تنفيذ مؤامراتها الكبرى على الإسلام والمسلمين لم يزالا ولا يزالان يحاولان تمزيق البلاد الإسلامية.

وبذر بذور التفرقة بين المسلمين بشتى الوسائل ، ليحولا بين المسلمين ، وبين أن يلتقوا تحت ظل الإسلام قوة واحدة موحّدة في غاياتها وأهدافها ، ولقد كان تكوين إسرائيل حلقة من هذه السلسلة.

فإسرائيل ربيبة الصليبية الحاقدة وربيبة الاستعمار العالمي - الرأسمالي والشيوعي - وقد تلقت إسرائيل التأييد والمعونة المعنوية والمادية من مختلف الهيئات الدينية المسيحية التي تعمل جاهدة لمحو الإسلام وتحطيم المسلمين كما تلقت المعونة المادية والمعنوية من كلا المعسكرين اللذين يعمل كل منهما في ان ينفّذ بواسطتها مؤامراته ضد هذه البقعة من العالم الإسلامي.

٤- وقد نشأ من اغتصاب فلسطين من أهلها المسلمين ، وتسليمها إلى شذاذ الآفاق من اليهود، تشريد مليون مسلم عربي من سكان البلاد الأصليين وأصحابها الشرعيين ، ولا يزالون منذ اثني عشر عاماً[1] يعانون أقسى ظروف العيش.

٥- وإذن ، فكل عمل من شأنه أن يكسب وجود إسرائيل صفة شرعية على الصعيد القانوني، وكل عمل من شأنه أن يمدّ إسرائيل بأسباب الحياة والبقاء في المجال الاقتصادي يعتبر تجاوباً مع الصليبية الحاقدة والاستعمار العالمي - الشرقي والغربي - في هدفهما الأكبر وهو محو الإسلام وتحطيم المسلمين ، ومن ثم فهو عمل موجّه ضد الإسلام نفسه.

وهنا يتضح لنا مغزى الاعتراف الإيراني بإسرائيل ، فان حكومة إيران بعملها هذا قد ساهمت على الصعيد القانوني في إكساب الوجود اليهودي في فلسطين صفة مشروعة واعتبرت فلسطين بلداً يهودياً ، وقد مهّدت بعملها هذا للمساهمة في مدّ إسرائيل عدوة الإسلام والمسلمين بأسباب البقاء عن طريق التبادل التجاري ، وقد جرّدت مليون مسلم من حقوقهم المشروعة في فلسطين ونفت ان تكون فلسطين بلداً إسلامياً.

وبذلك تكون حكومة إيران قد وضعت في صف أعداء الإسلام ضد الإسلام وساهمت في مؤامرة الاستعمار العالمي والصليبية الحاقدة على الإسلام والمسلمين ، وحاربت فريقاً مضطهداً من المسلمين.

١- إشارة إلى قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨، والموضوع نشر عام ١٩٦٠.

ولن ينفع الحكام الإيرانيين ومن ينطق بلسانهم ان يقولوا: إن تركيا – وهي بلد إسلامي – قد اعترفت بإسرائيل ، فان الحكام الأتراك، منذ أتاتورك حتى الآن يحاربون الإسلام جهرة في جميع الحقول والميادين.

أما المسؤولون في إيران فان ما هو معروف من تمسك كثير منهم بالدين وما يظهرونه من غيرة على الإسلام والمسلمين في كثير من المناسبات يحملنا على ان نأمل منهم ألاّ يجعلوا من موقف الحكام الأتراك في هذه القضية مبرراً لموقفهم منها ، والى أن يعلنوا عداءهم للإسلام جهرة يكوّن لهم اعتباراً آخر ويكوّن لنا معهم كلاماً آخر.

ولن ينفع الحكام الإيرانيين ان يدّعوا أنهم تصرفوا وفقاً لمصلحة إيران حين اعترفوا بإسرائيل ، فإنهم مخطئون ، لان مصلحة الأمة الإيرانية المسلمة ليست في محاربة الإسلام والمسلمين وليست في معاضدة أعداء الإسلام والمسلمين ضد فريق مضطهد مشرّد من المسلمين.

حقاً لقد عولجت مسألة فلسطين في جميع أدوارها على صعيد قومي، واعتبرها الرأي العام العالمي قضية العرب وحدهم ، ولئن كان العرب قد اخطأوا فاعتبروها قضيتهم الخاصة فان الأمم الإسلامية الأخرى تقع في نفس الخطأ حين تجاري هذا الوهم ولا تبرئ نفسها من المسؤولية تجاه هذه القضية.

لقد أعرب آية الله العظمى الإمام الحكيم عن أمله في ان يحافظ المسؤولون الإيرانيون على واجبهم الإسلامي ، وان الواجب الذي يلقيه

الإسلام على عاتق الحكام الإيرانيين وسائر المسلمين تجاه المسألة الفلسطينية هو ان يقطعوا كل شكل من أشكال الاتصال لهم مع إسرائيل، وان يساندوا في المحافل الدولية حق شعب فلسطين المسلم في العود إلى بلاده، وان يمدوا يد العون الأدبي والمادي لإخوانهم المسلمين.

وبهذا وحده يكونون قد حققوا مصلحة الإسلام ومصلحة إيران، وقاموا بواجبهم الإسلامي واثبتوا أنهم – في هذه المسألة – ليسوا حرباً على الإسلام والمسلمين.

وإن الأمة الإسلامية في جميع أوطانها، ومنها إيران ذاتها تنتظر من المسؤولين الإيرانيين ان يقولوا كلمتهم النهائية في هذه المسألة لتقول كلمتها النهائية فيهم

وبعد.. فان اعتراف حكام إيران المسلمة بإسرائيل يحتّم على الذين يعتبرون مسألة فلسطين قضيتهم الخاصة ان يظهروا الوجه الحقيقي لهذه الحقيقة.

ان مسألة فلسطين ليست مسألة العرب وحدهم وإنما هي مسألة المسلمين بأسرهم، ولذلك فيجب أن تعالج على الصعيد الإسلامي، ويجب ان يتعاون جميع المسلمين على إرجاع الحق إلى نصابه في فلسطين)).

الأضواء

***

المقال قيّم جداً ويدل على مستوى الوعي ، وتتضح قيمة المقال في بعض النقاط التي وردت فيه.

١- في البداية يعبّر المقال عن (حكومة إيران التي تحكم شعباً يدين بالإسلام) ولم يعبّر عنها بأنها حكومة إسلامية ، والتعبير دقيق وواضح ما المقصود منه.

٢- (ان فلسطين بلد إسلامي) وليس كما يدّعيه الآخرون بأنه بلد عربي، حيث حصروا القضية بالعرب فقط، ثم خان الحكام العرب وأضاعوا فلسطين ، بل إن عروبة مصر اعترفت بإسرائيل.

٣- الذي مزّق المسلمين هو (الاستعمار العالمي والصليبية الحاقدة).

٤- إسرائيل ربيبة الاستعمار العالمي الرأسمالي والشيوعي ، علماً بان أول دولة اعترفت بإسرائيل هي أمريكا ، وان الاتحاد السوفيتي هو الدولة الثانية.

٥- ان في اعتراف حكومة إيران بإسرائيل تكون (قد ساهمت على الصعيد القانوني في اكتساب الوجود اليهودي في فلسطين صفة مشروعة).

٦- ولن ينفع الحكام الإيرانيين ان يبرّروا عملهم بما فعله الأتراك من قبل في الاعتراف بإسرائيل (فان الحكام الأتراك منذ أتاتورك حتى الان يحاربون الإسلام جهرة) أما المسؤولون في

إيران ، فإنهم يدّعون الالتزام بالإسلام والغيرة عليه، وفرق بين من يدعي ويعترف.

٧- ولن ينفعهم ان يدّعوا (إنهم تصرفوا وفقاً لمصلحة إيران لان مصلحة الأمة الإيرانية المسلمة ليست في محاربة الإسلام والمسلمين).

***

وكانت قد أرسلت برقيات بهذا الشأن ، كما يلي:

طهران

آية الله البهبهاني دامت بركاته

إن نبأ اعتراف إيران بإسرائيل أحدث ضجة عظيمة في المسلمين، واستنكاراً شديداً في أوساطهم ، فالمأمول نصح المسؤولين بالمحافظة على واجبهم الإسلامي ورعاية شعور المسلمين ، والله سبحانه الموفق والمعين.

محسن الطباطبائي الحكيم

سماحة آية الله العظمى السيد البروجردي – قم

إن جماعة العلماء في النجف الاشرف تستنكر اعتراف إيران بإسرائيل اشد الاستنكار لان في ذلك انكاراً لحق الإسلام والمسلمين في ارض فلسطين المغتصبة ، راجين سماحتكم تدارك الأمر بحكمتكم الرشيدة وتوصياتكم السديدة .

لازلت للمسلمين ملاذاً ومعاذاً **جماعة العلماء**

ومن الجدير بالذكر – بخصوص البرقيات أعلاه – فان هناك برقيتين سبقتا ذلك ، متبادلتين بين الشيخ (محمود شلتوت) شيخ الجامع الأزهر، والسيد الحكيم ، بهذا الشأن.

إضافة إلى ذلك فان سماحة العلامة السيد مرتضى العسكري كان قد قام بزيارة للسيد الحكيم – في تلك الأيام –[1] وطلب منه ان يرسل برقية إلى شاه إيران يستنكر فيها اعترافه بإسرائيل[2].

فتكلم مع السيد الحكيم وكان نجله محمد رضا حاضراً فقال الأخير :

هذه سياسة والعلماء لا يتدخلون بالسياسة.

فقال المرجع الحكيم: نحن تدخلنا بالسياسة أنا والشيخ محمد رضا آل ياسين عندما أبرقنا للأمم المتحدة نستنكر اعترافها بإسرائيل[3].

***

١- لا نعلم ايهما كان اسبق، رسالة الشيخ شلتوت إلى السيد الحكيم، ام زيارة السيد العسكري له

٢- حديث السيد العسكري في ١٩٨٩/١٢/١٥

٣- حديث للسيد العسكري في ١٩٨٩/١٢/١

نص البرقيتين المتبادلتين بين الإمام الحكيم وشيخ الجامع الأزهر الشيخ محمود شلتوت حول اعتراف إيران بإسرائيل

برقية الشيخ شلتوت :

أخي في الله صاحب السماحة والأستاذ العلامة السيد محسن الحكيم - النجف العراق

سلام الله عليكم ورحمته وعلى جميع إخواننا وإخوانكم علماء العراق الشقيق ، وكل من ينهض مدافعاً عن الحق ومحافظاً على الوحدة والألفة بين المسلمين.

أما بعد: فإن سماحتكم وجميع إخوانكم الأجلاء تعلمون نبأ الحادث المحزن الذي حدث في هذه الأيام ، وذلك هو اعتراف جلالة شاه إيران بعصابة إسرائيل التي اعتدت على فلسطين وشتتت أهلها واغتصبت حقوقهم.

هذا الاعتراف أقلقنا جميعاً كما أقلق كل مسلم في مشارق الأرض ومغاربها ، إذ كيف يقدم ملك مسلم لشعب مسلم على تأييد أعداء المسلمين وموالاتهم.

ولقد أبرقنا لجلالة الشاه مرتين وأبرقنا لسماحة السيد البروجردي (قم) منبهين إلى خطورة هذا الأمر وما قد يؤدي إليه من فتنة جامحة

ولا سيما وقد صدر من شخص الشاه الذي هو شـيعي مـن إخواننـا الإمامية ، مما قد ييسّر للذين يحبون ان يتصيدوا فـي الميـاه العكـرة وهمسة التشويش ، ومحاولة فصم الروابط التي عملنا على تقويتها ، هذا فضلاً عن منافاة ذلك للدين ، منافاة صراحة لا تحتمل التأويل.

ولا شك إنكم أسفتم لذلك كما أسفنا ، وإنكم انتم وسائر إخواننـا وإخوانكم علماء العراق الكرام ستبذلون ما في وسـعكم مـن الـسعي لاستنكار هذا القرار بقوة ، والعمل على ان يرجع الشاه عنه كما رجعت حكومة الدكتور (مصدّق) في إيران عن مثله عام ١٩٥١م.

ان صدور هذا المسعى منكم له تأثيره البعيد في علماء إيـران وشعب إيران نفسه ، كما سيكون له تأثير حميد عندنا ، إذ نبيّن للنـاس جميعاً أننا وإياكم زملاء في الجهاد والعمل على رفـع رايـة الإسـلام وتثبيت الوحدة بين أهله.

وإنا لما تبعثون به إلينا من بيان سعيكم الموفق وعملكم الصالح لمنتظرون.

والله المسؤول ان يكلأكم برعايته وان ينفع المسلمين ببركـاتكم وصالح سعيكم.

والسلام عليكم ورحمة الله.

أخوكم محمود شلتوت

شيخ جامع الأزهر

جواب المرجع السيد محسن الحكيم إلى فضيلة الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر[1]

بسم الله وله الحمد

فضيلة العلامة الجليل الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر – القاهرة.

تلقينا برقيتكم الكريمة التي تستنكرون فيها اعتراف إيران بإسرائيل فشكرنا لكم اهتمامكم بأمور المسلمين ، وحرصكم على تقوية الرابطة الإسلامية بينهم.

وإننا منذ بلغنا نبأ هذا الاعتراف بادرنا إلى إبلاغ استنكارنا الشديد إلى المسؤولين في إيران بواسطة بعض إخواننا العلماء في طهران، وأوضحنا لهم خطورة الموقف واستياء الأمة الإسلامية ونصحناهم بالاحتفاظ بواجبهم الإسلامي ورعاية شعور المسلمين.

وتلقينا الجواب موضحاً عدم صدور أي اعتراف من إيران بإسرائيل، وانه ليس في نية الحكومة ذلك ، لا في الوقت الحاضر ولا في المستقبل، ومظهراً للعطف على قضايا المسلمين في كل مكان، وإننا إذ نستنكر كل خطوة تتخذ لتعزيز كيان إسرائيل من أي جهة كانت نلفت أنظار المسلمين كافة إلى الظرف العصيب الذي يحيط بهم

١- عن مجلة الأضواء ١٩٦٠/٨/٦

وندعوهم جميعاً إلى رصّ صفوفهم وتوحيد كلمتهم ليقفوا جبهة موحدة أمام التيارات الآتية من قوى الظلم والكفر والطغيان، والتي جعلت همها الأول محاربة الإسلام ، وإبعاده عن واقع المسلمين، وما إقامة إسرائيل في فلسطين إلا مثل من الأمثلة الكثيرة على محاولة ضرب الإسلام والوقوف في طريقه.

ومن هنا كان لزاماً على المسلمين عامة والحكومات القائمة في بلاد المسلمين خاصة، ان يرجعوا إلى حضيرة الإسلام ويلتقوا حول لوائه الظافر، الذي هو عنوان نصرهم وعزتهم ، ويستمدوا تشريعاتهم من ينبوعه الثرّ ومنهله الصافي ليستعيدوا مجدهم وكرامتهم ، ويحللوا ما حلل الإسلام ويحرموا ما حرّمه.

وما هذه المآسي التي ضجّت بها حياة المسلمين إلا أثر من آثار تهاونهم في الإسلام وإبعاده عن إدارة شؤون الأمة ، الأمر الذي ينذرهم بالخطر ويهددهم بالخذلان.

وختاماً نبتهل إلى العلي القدير أن يجمع كلمة المسلمين على التقوى والهدى، ويأخذ بأيديهم إلى ما فيه صلاحهم ونجاحهم ، إنه سميع مجيب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محسن الطباطبائي الحكيم

ردود الفعل التي جابهت جماعة العلماء

ولكن لابد في كل زمان إزاء أية فكرة من موافق ومعارض، منذ الخليقة ، وكلما كان الحدث قوياً ، كان رد الفعل بنفس المستوى.

لقد كان لظهور جماعة العلماء ردة فعل قوية لدى صنفين من الناس:

١- لدى الشيوعيين الذين كانوا يمتلكون قطاعاً واسعاً من الجماهير يسيّرونهم كيفما يشاؤون ، ويصفقون معهم في مسيرات تستمر أكثر من عشر ساعات.

فـ(عبد الكريم قاسم) أطلق لهم العنان ، وأشاع الشيوعيون انه شخص شيوعي، وان اسمه الحركي (مطر) ولكنه لا يتظاهر بالشيوعية لأنه يراعي ظروفاً داخلية وخارجية.

وسيطر الشيوعيون على الشارع والدائرة وقسم كبير من الجيش وكل الأمور تهيأت إلى ان يصبح الحكم بين ليلة وضحاها حكماً شيوعياً مائة بالمائة ، فهم – وان لم يحكموا – إلا أنهم كانوا يقتلون الناس ويسجنونهم في سجون خاصة بهم ، و (عبد الكريم قاسم) وان استهجن عملهم في كركوك والموصل ، ووصفهم بأنهم فوضويون , إلاّ أنهم لم يفقدوا رصيدهم البتة.

وانتهكت الأعراض في أيامهم، وانقلبت الأعراف، وتغيرت أخلاق الناس، وارتبط بهم كثير من ضعاف الناس.

فكانت ولادة (جماعة العلماء) بهذه الولادة العلنية ، ثم صدور المنشورات، ومجلة الأضواء التي تنشر مفاهيم إسلامية ، وتتكلم عن الاستعمار الشرقي والغربي ومساوئ الماركسية وتناقشها.

ان هذا الوليد الجديد أغاضهم كثيراً ، فهم لا يريدون ان ينطق في الساحة غيرهم، ثم هم – بالتالي – يخشون ان يكون لجماعة العلماء تأثير في الناس، فبدأوا بمحاربة هذه (الجماعة) ونعتوهم بشتى النعوت فهم رجعيون عملاء ، وهم جهال ، جواسيس ، يقبضون الرواتب من الإنكليز ، وهكذا.....

ولكن الجماعة كانت تسير ، ولا تعرقل مسيرتها هذه التشويهات.

وبدأ الناس يبحثون عن (الأضواء) ويتبنونها ويوزعونها ، ويبحثون عن مواقف لجماعة العلماء في الأحداث الطارئة ، وكلما ازداد نشاط (الجماعة) ازداد حقد الشيوعيين، وهم يعلمون ان الناس في فطرتهم مسلمون ، متى ما رفعوا عنهم الخوف والمغريات ، عادوا إلى فطرتهم السليمة ، مسلمين يتقبلون المفاهيم الإسلامية ويحترمون شعائر الدين.

وقد كانت مجلة الأضواء ماضية في سبيلها ، تنشر المفاهيم الإسلامية بكل صراحة وقوة ، وتدافع عن الإسلام وتفنّد ما عداه.

وكان شعر (أبي علي) وهو السيد محمد حسين فضل الله، الذي ينشر

في أعداد المجلة، طافحاً بالقوة والعزم على المضي في الطريق رغم مقالة الحاقدين.

ولعل ما كان يثيره الشيوعيون من لغط وضجيج، يبعث في نفوس العاملين الثبات والعزم على مواصلة السير.

٢- والصنف الثاني وهم أولئك المعممون المزيفون الذين يحاربون كل شيء جديد ، وكل شيء يطرأ على رتابتهم التي ألفوها، فقد كان أولئك يحاربون جماعة العلماء حرباً لا هوادة فيها، وينعتونهم بشتّى النعوت التي تقلل من شأنهم ومنزلتهم.

ولعل صفة (الحزبية) كانت أهم المعاول التي كانوا يتمسكون بها وتلك التهمة كانت في ذلك الزمان تجد لها أصداءً قوية.

ولم تكن اللجنة المشرفة على المجلة تعرض ما يكتب على الجماعة فرداً فرداً ، خشية إبداء بعض الملاحظات ، لأنهم كانوا لا يزالون غير مستوعبين للفكر السياسي الواعي الذي يتبناه حزب الدعوة الإسلامية.

فكان أولئك المعاندون يستغلون هذه الثغرة لإثارة الخلاف بين أعضاء الجماعة ، بان المجلة تمثل فكر السيد الصدر وليس الجماعة.

ولننظر إلى مقدار الألم الذي كان يكتوي السيد الشهيد الصدر في تلك الأيام ، إذ يقول في رسالة إلى احد تلامذته:

(.... حتى كان جملة ممّن يسميهم المجتمع الاخوندي[1] مقدسين أو وجهاء لا يتورعون عن إلصاق التهم بالأضواء وكل من يكتب فيها...)[2] .

***

وسألت السيد محمد حسين فضل الله عام ١٩٨٧ عن شعره في مجلة الأضواء تحت عنوان (الأساليب القديمة، وكذلك، علامَ الضجيج) من الذين يقصدهم؟ أهم الشيوعيون؟ أم وعّاظ السلاطين؟ قال: كلاهما.

فلنستمع إلى شعر (أبي علي) المنشور في العدد الخامس من السنة الأولى، الصادر في ١٥ صفر ١٣٨٠هـ الموافق ٩ آب ١٩٦٠ ص ١٣٧.

١- تعبير يقصد منه طالب الحوزة .
٢- مباحث الألفاظ للسيد كاظم الحائري ص٧٦

الأساليب القديمة

كالأساليب القديمة
كحكايات أبي جهل اللئيمة
عندما لوّنت الدعوة أجفان الحياة
بالشعاع الوادع السمح بألطاف الإله.
عندما مرّت خطى الإيمان في أول درب
وحنت تحتضن الإنسان في أطيب قلب
و (رسول الله) يدعو القوم في رفق وحب
إنها دعوة مجنون.... وساحر
وتخطّت دعوة الإسلام أسوار الضلال
في انطلاق يتحدى بالسنا زهو الليالي
وتوارى في ظلام التّيه أبطال الجريمة
ثم عدنا وابتدأنا
دربنا.... عبر الرسالات العظيمة
وخطونا نحوها أول خطوة
وأثرنا الوعي في عزم وقوة
بحكايات (أبي جهل) اللئيمة
بتعابير جديدة

وضلالات عنيدة

إنها دعوة (رجعي) مكابر

انه (الأفيون) قد جاء لتخدير الضمائر

* * *

غير أنّا سوف ندعو للأساليب الكريمة

وستندكُّ – مع الفجر – الأساليب القديمة.

* * *

وفي العدد السادس الصادر في ١ ربيع الأول ١٣٨٠ الموافق ٢٤ آب ١٩٦٠ في الصفحة ١٦٣، نجد للسيد أبي علي قصيدة أخرى:

علامَ الضجيج؟

(مهداة إلى الذين يثيرون الغبار في طريق الدعاة إلى الحق)

علامَ الضجيج
وماذا فعلنا
وانتم تثيرون.... أنّى اتجهنا
غبار الطريق .... علينا.... لأنّا
جرينا إلى الله قدماً ، وقلنا
لهذي الجماهير
عودي إلى الحقيقة.... في طهرها
وانطلقنا....

***

وماذا فعلنا
نثرنا الحنان على كل كلمة
وضعنا النشيد .... بأعذب نغمة
وعشنا.... ودعوتنا في الطريق
تشق الحياة.... لأرفع قمة
وتزرع في كل درب هنا....
وفي كل منعطف.... غرس نجمة

وماذا جنينا

لتروى الحكايات.... كالإثم، عنّا

ترانا.... لانّا

دعونا إلى الله فيما دعونا

وإنّا أردنا هنا

ان يظل الطريق ، بوحي الهدى يتغنى

ويعلو صوت السماء الحنون

وإن عربد البغي يوماً وجنّا

علامَ الضجيج

وماذا فعلنا

لأنّا انطلقنا

إلى الدين نحضن آياته

بأرواحنا، كالسنا ، وابتدأنا...

طريق الكفاح ، وكنا علمنا

بان قوى الليل في دربنا

سينهشنا حقدها أين سرنا

ولكننا لم يرُعنا الظلام

ولا الحقد، مهما قسا او تجنّى

فان بايماننا شعلة

تضيء لنا الدرب ، أنى اتجهنا

ومهما فعلتم ، فلسنا هنا

لنحقد، لكن لنصفح حسنا

فنحن نرى أنكم تجهلون

انطلاق الحقيقة ، فيما دعونا

وان الطريق الذي تقصدون

- ضلالاً - سينهار ركناً فرُكنا

وسوف ترون بأن الضجيج

سيخفت .... إن أشرق الحق منا

جماعة العلماء

تتبنى إقامة الاحتفالات

ولم يقتصر نشاط جماعة العلماء على الإصدارات الإعلامية، بل إنها مارست نشاطاً ميدانياً مؤثراً.

فقد تبنت احتفالاً ضخماً في النجف الأشرف ، كما رعت احتفالاً كبيراً ايضاً في كربلاء كان يقيمه المتدينون هناك.

كان أول احتفال أقيم في النجف من قبل جماعة العلماء بمناسبة ولادة الإمام علي ــ عليه السلام ــ في ١٣ رجب من عام ١٩٥٩ في مسجد الهندي .

أما احتفال كربلاء أيضاً ، فكان بمناسبة ميلاد الإمام أمير المؤمنين – عليه السلام – في ١٣ رجب من كل عام، ويقام في الحسينية الطهرانية الكبيرة.

ثم جرت العادة على أن يقام احتفال النجف بمناسبة ميلاد الحسين عليه السلام واحتفال كربلاء بمناسبة ميلاد الإمام علي عليه السلام .

وكانت هذه الاحتفالات من الضخامة بحيث لم يسبق لها مثيل في النجف وكربلاء، فقد كانت تضم حضوراً جماهيراً كبيراً ، إضافة إلى عدد كبير من العلماء والشخصيات الإسلامية والجماهير الغفيرة بمختلف

طبقاتهم ، تميزهم جميعاً صفة واحدة هي أنهم ضد التيار الشيوعي الذي عمّ البلاد.

والاحتفالات هذه سواء كانت في النجف او التي في كربلاء، تقام تحت رعاية السيد الحكيم – رحمه الله – ولا بد ان تكون هناك كلمة في البداية يكتبها الشهيد الصدر باسم الإمام الحكيم ويقرأها احد أنجال السيد الحكيم.

وكان عبد الكريم قاسم يبعث من يمثله في تلك الاحتفالات، كما كان عدد من علماء السنة في بغداد يحضر هذه الاحتفالات أيضاً.

وكان حضور مندوب عبد الكريم قاسم ، يبعث في نفوس المتدينين الانتعاش ، ويخيّل لهم ان (الزعيم) لابد ان يكون يؤيدهم من صميم قلبه، وان كان الشيوعيون يستحوذون عليه.

***

وعندما أعلن عن موعد الاحتفال الأول في النجف، واجه الشيوعيون هذه الخطوة بردّة فعل سريعة، فلقد خشوا ان يكون الاحتفال باكورة أعمال متواصلة لعلماء الدين ، لذلك أقاموا احتفالاً جماهيرياً لنفس المناسبة في نفس اليوم والوقت في قاعة متوسطة الخورنق في النجف ، وحشدوا له الكثير من مؤيديهم في النجف، وكان بينهم من يرتدي الزي الديني.

وعندما أقامت جماعة العلماء احتفالها ، عاد الأمل إلى أبناء الأمة ، حيث وجدوا علماءهم يعودون إلى الساحة السياسية والاجتماعية

بعد غياب طويل مما جعلهم يفقدون الثقة بقدرتهم على التحرك ومواكبة الأحداث والمتغيرات السياسية المتسارعة التي تمر على العراق ، والتي أثرت في الأمة وأوقعتها ضحية الأفكار المنحرفة والتيارات السياسية المعادية للإسلام.

وكان أغلب ما يلقى في الاحتفالات ، وخصوصاً كلمة السيد الحكيم، تطالب الدولة بتطبيق حكم الإسلام والقضاء على المفاسد في البلاد.

واستمرت تلك الاحتفالات ، سواء التي في النجف أو التي في كربلاء تقام تحت رعاية السيد محسن الحكيم – رحمه الله – إلى ان توفى عام ١٩٧٠.

***

وفي الحقيقة فان حزب الدعوة الإسلامية كان له تأثير كبير في إقامة هذه الاحتفالات ، فكانت أفكار الحزب ومفاهيم الإسلام مجالاً مفتوحاً بين الأمة والحزب ، حيث تتلقى الأمة فكراً إسلامياً أصيلاً يقدمه لها الدعاة ضمن برامج الاحتفال.

وفي عام ١٩٦٧ جاء السيد مهدي نجل السيد الحكيم إلى دعاة كربلاء وابلغهم بان أباه لا يوافق ان يكون احتفال هذا العام تحت رعايته.

فذهب وفد من دعاتنا الميامين إلى السيد الحكيم في النجف، وكان من ضمنهم الحاج (صالح الأديب) ، وأوضحوا للسيد انه إذا تخلىّ

عنه ، فسوف تتبناه السلطة الحكومية، وأخيـــرا اقتنــــع الـــسيد، وأقـــيم الاحتفال باسمه كالعادة.

ولكن بعد وفاة السيد الحكيم أصبحت الاحتفالات حكومية ، هـــي التي تقيمها وتشرف عليها.

***

حزب الدعوة الإسلامية
يساند جماعة العلماء بقوة

إنّ عمل جماعة العلماء كان يتقـوّم بجهـود حـزب الـدعوة الإسلامية، حيث نشط الدعاة في القيام بنشاطات الجماعة ، سواء فـي مجلة الأضواء والاحتفالات الجماهيرية أو توزيع المنشورات ، وما إلى ذلك.

إن الدعاة وجدوا في (الجماعة) مجالاً خصباً للتحرك، ما كـان من الممكن ان يتحركوا باسم الحزب.

وبالفعل، فقد كان التفاعل بين الحزب والجماعة على أشدّه ، كان كل منهما يكمل عمل الآخر.

ومن الطبيعي ان يكون الدعاة اليد الـضاربة (للجماعـة) تلـك النخبة من العلماء الكبار الذين لم يكن بإمكانهم أن يقوموا بما يقوم بـه الدعاة.

ولولا تفاعل حزب الدعوة الإسلامية مع جماعة العلمـاء، لمـا أمكنها ان تشق طريقها في تلك الأجواء القاسية ، ولما أمكنها ان تحقق الإنجازات الكبيرة التي حققتها في سنوات عملها.

ان تجربة جماعة العلماء تمثل نموذجاً متقدماً للعمل الإسـلامي الحركي، فلقد انطلقت وسط أجواء تقليدية خاملـة ، وقطعـت أشـواط

مسيرتها وهي تحارب الشيوعية في العراق ، الأمر الذي جعلها تواجه معارضة التقليديين والشيوعيين على السواء ، ولكنها مضت في طريقها رغم ذلك وتجاوزت العراقيل الكثيرة.



الاختلافات
تدب في جماعة العلماء

وكان طبيعياً ان يحدث الاختلاف في الجماعة ، لعدة أسباب :

١- اختلاف الأذواق فيما بينهم، فقد كان بعضهم يؤثر فيهم أبناؤهم وأقاربهم الذين يميلون للفكر القومي في مقابل الفكر الشيوعي وقد أشرنا إلى هذا في مطاوي حديثنا سابقاً.

٢- وكذلك في مدى تحمّل كل واحد منهم أمام الهجمات التي كان يشنها عليهم التقليديون والشيوعيون.

٣- واخيراً أولئك الذين تأثروا بالكلام الذي يقول ان القوة الفاعلة في الجماعة هم (الحزبيون) ويقصدون بذلك حزب الدعوة الإسلامية.

لهذا وغيره فان عمر (الجماعة) لم يستمر طويلاً، فقد انحلّت في عام ١٩٦٢، ولكن بقيت مجلة الأضواء تصدر رغم انحلال الجماعة، لأن القائمين عليها غير أعضاء الجماعة.

ولم يكن الهيكل التنظيمي للجماعة من القوة بحيث يحافظ على تماسكها، فبمجرد ما انسحب الشيخ حسن الجواهري نتيجة تقديره (بأن النيّات) قد اختلفت – على حدّ قوله – انسحب الآخرون بعده وانحلّت بذلك الجماعة.

وفي ١٩٨٦/١١/٧ التقيت الشيخ (حسن الجواهري) في قم لاستمع إليه فيما يتعلق بجماعة العلماء، فكان له حديث طويل، نقتبس منه مايلي:

قال ((إننا كنا نعمل من اجل الله ومن اجل الإسلام، على ان تكون نياتنا خالصة لله، لا نبتغي امراً دنيوياً وسمعة وأنانية وحباً للذات أما حينما اختلفت النيات، فقررتُ الانسحاب , ثم انسحب الآخرون وانحلت الجماعة)) .

وسألته عن السبب الذي جعل (الأضواء) تصدر باسم نشرة الأضواء وليست مجلة، قال: إننا لم نقدم طلباً للحصول على إجازة.

كما سألته: هل كان للجماعة دور في معارضة (قانون الأحوال الشخصية) الذي سنّه عبد الكريم قاسم؟

قال : لم يكن غرضنا إلا محاربة الشيوعية التي غزت البلاد، فأردنا ان نقف أمامها، وأي شيء آخر لم يكن من شؤوننا.

وعلى كل حال فان (جماعة العلماء) على رغم قصر عمرها فإنها قدّمت للأمة الإسلامية في العراق خدمات عظيمة، وساهمت إلى جانب حزب الدعوة الإسلامية في مواجهة المدّ الشيوعي، ومقاومة الأفكار الضالة والمنحرفة عن الإسلام.

***

وأسلوب الاحتفالات الذي تبنّته جماعة العلماء كان أسلوباً ذكياً، فهو في الواقع مظاهرات كبيرة كانت تشمل كبرى مدن العراق.

ولم يكن بالإمكان – في تلك الأيام – التعبير عن سخط الملأ المتدين على الممارسات غير الشرعية التي تقوم بها الحكومات المتعاقبة، بأسلوب آخر غير الاحتفالات.

وهو على نمط الأسلوب الذي كانت تتبعه الطائفتان الشيعية والسنية إبّان الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠،حيث كان الشيعة يقيمون مجالس عزاء الحسين – عليه السلام – كما كان السنة يقيمون مجالس (المواليد) والمقصود بها مولد الرسول – صلى الله عليه وآله –.

وكانت تلك المجالس تنعقد في جامع (الحيدرخانة) في بغداد ويجري فيها تذكير للأمة بمجدها الإسلامي وما آل إليه الوضع عندما تسلط على المسلمين غيرهم ، كانت خطابات حماسية تثير في الحاضرين الهمم والإقدام على التصدي للظالمين ، وهي في الواقع أقوى بكثير من المظاهرات التي تجوب الشوارع ، التي كانت ممنوعة أساساً، وكانت الحكومة البريطانية من خلال عملائها تتصدى لها وربما كانت تطلق الرصاص على المتظاهرين.

ولكن الجماهير التي كانت تتخذ من المساجد تجمعاً لها ، كانت تلك الاماكن المقدسة تضفي عليها نوعاً من القدسية.

***

ومجالس الاحتفالات التي أقامتها (جماعة العلماء) بدفع وتبنّ وإسناد من (حزب الدعوة الإسلامية) كانت تتوخى نفس الهدف:

١- إثارة الأمة لكي تتحسس واقعها وإسلامها المهدور.

٢- إيجاد نوع من الحماية لهذا التجمع الذي كان يتم في المساجد وتحت رعاية أعلى مرجع إسلامي آنذاك وهو السيد محسن الحكيم.

والاحتفالات التي كانت تفتتح – عادة – بكلمة من نجل الإمام الحكيم – رحمه الله – وهو (السيد مهدي) وكلمته كانت في الواقع كلمة (حزب الدعوة الإسلامية) الذي كان يجد في تلك المناسبة مجالاً سعيداً لبثّ أفكاره، ولذلك فان كلمة الافتتاح تحمل أفكار الحزب ومتبنّياته.

ففي كلمته في الاحتفال الذي أقيم في النجف في شعبان ١٣٨٣هـ كانون الثاني ١٩٦٤م بمناسبة ميلاد الإمام الحسين عليه السلام، كان يقول:

.... واليوم – أيها المسلمون – وبعد ان أضعنا عقيدتنا من أيدينا تحوّل مجتمعنا إلى مجتمع تدهورت فيه القيم ، وضاعت فيه الحقائق وانقلبت فيه المقاييس ، وأصبح الناس بين باكيين ، باكٍ لدينه وباك لدنياه، وسرّ ذلك كله هو عزوفنا عن أحكام الإسلام ، واستبدالنا إياها بأحكام وقوانين شرّعها الإنسان لنفسه ، لتعود عليه بالدمار الماحق والبوار الساحق ، ولتكون برهاناً واضحاً على نقص الإنسان وقصوره عن وضع التشريع الصالح لحياته ومجتمعه.

والآن وقد عرفنا هذه الحقيقة، فهل آن لنا ان نعود إلى أحكام الله؟ وهل آن للمسؤولين ان يستجيبوا لدعوة الحق ونصح الناصحين، فيحققوا

للأمة المسلمة في استئناف الحياة الإسلامية الكريمة في ظل راية القرآن، ويعيدوا بذلك مجدها وعزّتها وكرامتها؟

(اللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة تعز بها الإسلام وأهله وتذل بها النفاق وأهله وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك والقادة إلى سبيلك وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة)

انك ولي الإجابة سميع الدعاء

***

ولم تكن كلمة الافتتاح هي الوحيدة التي تحمل أفكار (حزب الدعوة الإسلامية) ومبادئه ، وإنما أغلب الكلمات – ان لم يكن كلها – وكذلك القصائد، كانت تتبنى نفس المبادئ....

فكلمة (الهيئة العلمية في النجف الأشرف) كانت تتضمن :

(إنّ قضية الإسلام – أيها الإخوة الأعزاء – لم تعد قضية عقيدة وإيمان غيبي فحسب ، بل أصبحت خلال تلك التجارب التي عشناها في هذه السنين قضية حسّ ووجدان، فقد مارس البلد[1] تجارب عديدة جسّدت أنماطاً مختلفة من التفكير اللاإسلامي في الحكم والسياسة والاجتماع فكانت كل واحدة من تلك التجارب برهاناً على فشل الكفر في بلاد الإسلام ، وحتمية القلق الهائل في وضع لا إسلامي نتيجة للتناقض بين عقيدة الناس كمسلمين وبين الأساس اللاإسلامي الذي تقوم عليه التجربة.

١- المقصود ان العراق مرّ بتجربة الشيوعيين الفوضويين أيام عبد الكريم، ثم مرّ بحكم البعثيين الذين حكموا العراق بعد عبد الكريم قاسم.

بل استطاع الإسلام ان يقدم الدليل المحسوس، لا على فشل غيره من المبادئ في بناء المجتمع المستقر السعيد فحسب ، بل على فشلها أيضا في تكوين الشخصية الصالحة للفرد نتيجة لفساد المبدأ ذاته، وليس ما قاساه ملايين المسلمين في العراق من فرق المقاومة الشيوعية والحرس البعثي من آلام إلاّ دليلاً على هذه الحقيقة.

والهيئة العلمية في النجف الأشرف تهيب بكم أيها الأخوة الأعزاء أن تضمّوا أصواتكم إلى صوتها وتقولوها صريحة واضحة، لا نريد إلا الإسلام، ولا نؤمن إلاّ به.

وطالبوا في سبيل تحقيق هدفكم الإسلامي بمقاومة الأوضاع التي خلقها الأعداء خلال عشرات السنين ، لتكون عقبة في سبيله من الوعي المغرور الذي زُرّق إلى كيان الأمة عن طريق الأحزاب التي لا تؤمن بالإسلام وتناقض الأمة في عقيدتها...

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)

***

أما المرحوم الشيخ محمد مهدي شمس الدين، فقد قال:

(.... ولقد بدأنا نجني الثمر المر لهذا الوباء الثقافي الغريب في صورة انحلال مروّع يجتاح شبابنا وشاباتنا يمهّد له ويُدعى إليه باسم المدنية والتقدم ونفض أغلال الماضي ، وبدأنا نشهده في الدعوات الكافرة التي احتلت عقول شبابنا وشاباتنا، الدعوات التي تنشر الشكوك حول أصالة الإسلام .... الدعوات التي جعلت من الجاهلية مثلاً أعلى ، ومن عتاتها

أبطالاً مقدسين ، وجعلت من المنحرفين عن منهاج الإسلام قادة ، ومن التوافه في تاريخ العقيدة رجالاً خالدين.

فماذا، فعلتم في صدّ هذا الطوفان الذي دهمكم والذي يوشـك أن يجرّد أبناءكم من عقيدتهم ويعزلهم عن تأريخهم ، ويقطع الصلة فيما بينهم وبين المثل العليا التي نشأتم عليها وأردتم ان ينشأوا عليها.

إنكم لم تنجحوا في تكوين جيلٍ مؤمن من أبنائكم يحمل الشعلة وهو كفؤ لحملها إلا إذا أتحتم لهؤلاء الأبناء الثقافة التي تجعل منهم مسلمين واعين لواقع الإسلام كما انزله الله ، عاملين على الاحتفاظ به كما انزله الله، ولن تبلغوا هذه الغاية إلاّ إذا أتحتم لهؤلاء الأبناء تعليماً يحققها ويؤدي إليها، تعليماً يتلقى فيه الناشئون ثقافة إسلامية، ينشأون بها مسلمين عارفين بدينهم....)

وقد كان الشيخ عبد الهادي الفضلي أكثر وضوحاً من غيره في كلمته، التي جاء فيها... (... وانطلاقاً من ثورة الإمام الحسين (ع) في أهدافها وعواملها .... وعلى ضوء وسائلها وأساليبها ، ستواصل مسيرة الوعي الإسلامي خطواتها الوثابة المباركة ، فتقطع أشـواطها البعيـدة الخيّرة في تطبيق الإسلام العظيم ، عقيدةً ونظاماً ومنهجاً، في الفرد والأسرة والمجتمع والدولة... في الحياة كافة...

وستعرف الحياة – إذ ذاك – قولة الحق : لا حكم إلا للإسلام.

وستعرف الحياة وعد الحق : لا سعادة إلاّ في الإسلام.

وستعرف الحياة بشرى الحق : لا أمن ولا حرية ولا سلام إلا في الإسلام.

اما السيد محمد حسين فضل الله، فكان له خطاب ثوري، نقتطف منه:

..... وأخيراً أيها المسلمون قولوها صريحة لهؤلاء الذين يشرّعون لنا الدساتير والقوانين ويوجهون مناهج التربية والتعليم ويسيطرون على الثقافة في مجتمعنا، قولوها كلمة صريحة: إننا كأمة مسلمة لا نقبل بغير الإسلام قانوناً وشريعة لحياتنا (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون) قولوها: إننا لا نقبل بغير منهج الإسلام وأسلوبه من التربية والثقافة أسلوباً ومنهجاً لثقافتنا ومعارفنا، قولوها صريحة، لا تقفوا بل تابعوا قولكم بالعمل ولا تتراجعوا ، لأنكم بقضية تتعلق بعقيدة الأمة وشريعتها ، وأخيراً تذكروا وعد الله لكم بالنصر في قوله تعالى (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)

***

والشعر كان له دور كبير في تلك الاحتفالات ، يثير في المستمعين الهمم ، ويلهب فيهم مشاعرهم ويذكرّهم بأمجاد الإسلام التي أصبحت مهدورة ، بعدما نأى المسلمون عن عقيدتهم وسمحوا للكافرين وأعوانهم ان يستولوا على مقدراتهم، ويسيطروا على أفكارهم، فغدت الأمة بعيدة عن أصالتها، وكأنها لا تنتمي إلى الإسلام.

ولن تسعد الأمة إلا بالرجوع إلى الإسلام وتطبيقها لأحكامه، تلك الأحكام التي تنظم كافة نواحي الحياة، نظام كامل ليس فيه نقص، ينعم الإنسان فيه بالسعادة والأمان.

يقول السيد محمد جمال الهاشمي :

والدين نظّم دنيانا بشرعته ... ووحّد السير والأعمال والإربا
دين أتى بنظام كامل شملت ... أحكامه ما بدا من وضعنا وخبا
لئن رأى النقص في أوضاعنا فطنٌ ... يستعرض الوضع منا ناقداً اربا
فالنقص منا بنا لا من شريعتنا ... إنا انتمينا إلى دستورها كذبا
فالدين في طرف والناس في طرف ... هذا بموقفه عن ذلك اجتنبا
لولا اتساع حمى الإسلام لانفرطت ... هذي العقود وطارت في الهواء هبا
الدين كالشمس تحتاج الحياة له ... تفنى الحياة إذا ما نوره احتجبا

أما **الشيخ عبد المنعم الفرطوسي** فكان في شعره ينعى على أولئك الذين يثيرون الطائفية في البلاد ، إذ يقول :

لا طائفية والإسلام يربطنا ... من الإخاء بقربى تفضل النسبا
فما لكم لا وقيتم من عثاركم ... تسقون بالسمّ من يسقيكم الضرَبا
فالطائفية نار من يؤججها ... لابدأن يغتدي يوماً لها حطباً
وقوة بيد المستعمرين بها ... تغزو البلاد وتستولي بها غلبا
وحربة في صميم الشعب يغرسها ... مفرّق ينشد التضليل والحربا
لا طائفية والتوحيد جامعة ... أضحت بها الوحدة الكبرى لنا سببا

وبعد احتفالات النجف وكربلاء ، بدأ حزب الدعوة الإسلامية يقيم احتفالات جماهيرية في عدد من المدن الأخرى ، كالبصرة والعمارة والنعمانية ، وكركوك ، بالإضافة إلى بغداد والكاظمية ، فكانت هذه الاحتفالات من الضخامة لحد كبير.

والاحتفالات ، وان كانت قد انطلقت – في البداية – بمناسبة ولادة الإمامين علي ونجله الحسين عليهما السلام ، ولكنها بعد النجاح الذي تحقق فيها ، بدأ الحزب باستثمار مناسبات أخرى في ولادات الأئمة الأخرى عليهم السلام.

وفي كركوك ، ارتأى الحزب ان يقيم احتفالاً في مناسبة يشترك فيها الشيعة والسنة باعتبار أن مدينة كركوك تجمع الطائفتين ، ولذلك فان الاحتفال كان بمناسبة ميلاد الرسول– صلى الله عليه وآله وسلم – فكان احتفالاً ضخماً أقيم عام ١٩٦٧م في محلة تسعين، وكان ضمن المشتركين الشيخ (مجيد قطب) رئيس العلماء السنة في كركوك، كما كان ضمن المتكلمين الشيخ (عارف البصري) والسيد (مهدي الحكيم) الذي كان حتى ذلك الحين لا يزال يتكلم بما تريده الدعوة (دعوة إلى الإسلام وتطبيقه) .

***

البيان الأخير (السابع)
لجماعة العلماء في النجف – ١٩٥٩

بسم الله الرحمن الرحيم

(قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني)

إلى شباب الأمة الإسلامية الذين يرتكز عليهم الإسلام في قوته وجهاده.

إلى أجيال محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – الطالعة المدعوة إلى رفع رايته والتبشير برسالته.

إلى الغيارى على الكيان الحبيب ، المؤمنين بان الإسلام هو الحارس الوحيد لذلك الكيان والمحامي عنه:

ان احتفاء الأمة العظيمة بهذه البيانات، وإقبالها على ما فيها من المفاهيم الإسلامية الوضاءة بالخير والعدل والمساواة، كشف عن مدى استعداد الذهنية الإسلامية المخلصة للتجاوب من جديد مع رسالة نبيها الحبيب – صلى الله عليه وآله وسلم – وعن تهيؤ الروحية الإسلامية المباركة للانصهار بالإسلام ديناً يملأ القلب إيماناً واطمئناناً ومبدأ يملأ الحياة سعادة واستقراراً.

ومن مظاهر هذا الإقبال: ان أكثر الأوساط أخذت تطالب بزيادة إيضاح المفاهيم الإسلامية التي تعطيها في البيانات ، وصوغها في

أساليب بسيطة ولغة ميسّرة الفهم للعموم ، لتعم الاستفادة منها ، ولتشيع هذه المفاهيم المباركة في شتى الأوساط العامة ، وتضيء السبيل الفكري الصحيح لمختلف الأفراد ، ونزولاً على إرادة العموم.

قررنا ان نلاحظ في هذا المنشور وما يتلوه من منشورات[1] جانب التوضيح ونتخذ منهجاً بسيطاً وميسراً في التعبير، لنستطيع ان ننفذ بمفاهيم الإسلام إلى أعماق قلوب العموم من المسلمين، ونقتلع من صميمها جميع المفاهيم الخاطئة من مخلفات العهد الاستعماري....

إن ذلك العهد الفظيع كان يغذي الأمة بما يحلو له من سموم، وبما يتصل وكيانه من مفاهيم ، فضرورة الإسلام تدعو إلى بعث الفكر الإسلامي بعثاً جديداً يطهره من تلك السموم ، وينقيه من تلك المفاهيم الاستعمارية الداخلية.

ومن اخطر تلك المفاهيم على كيان المسلمين ، ما نشأ في ظل العهد الاستعماري من مفهوم خاص للسياسة في ذهن عامة الناس من الأمة وشجع الاستعمار على تركيزه وتقويته ، فان السياسة الاستعمارية لما كانت حاشدة بالمكر والخديعة وزاخرة بالحيل والأكاذيب اتخذت لها إطاراً مشوّهاً ، فصار كثير من المسلمين لا يفهمون من السياسة إلا الالتواء واغتصاب الحقوق وانتهاك حرمات الأمة وكرامتها.

ولما تركز هذا المفهوم في أذهانهم انبعثت عنه فكرة التباين بين السياسة والإسلام ، وصاروا ينظرون إلى السياسة كأنها ابعد الأشياء

١- إلا أن جماعة العلماء أصدرت بعد هذا المنشور مجلة (الأضواء) وانقطع صدور المنشورات

عن واقع الإسلام وجوهره ، لان الإسلام دين طاهر من تلك الأدناس التي شاعت في الجو السياسي الموبوء على يد الاستعمار.

ومن الطبيعي ان يكون مفهوم السياسة من أبعد المفاهيم عن الإسلام إذا كان معنى السياسة هو التلاعب والاحتيال.

وقد ارتاح المستعمرون كل الارتياح لهذه المباينة التي قامت في فكر العامة من الأمة بين حقيقة الإسلام وواقع السياسة ، وحاولوا أن يزيدوا في هذه الشقة بينهما في الأذهان لئلا يحاول الإسلام – بعد ذلك – ان ينهض بالمسلمين على يد قادته المخلصين لمحاربة الاستعمار ومقاومة طغيانه السياسي والوقوف في وجهه ، فركزوا تلك المباينة وطوروها وغذوها على شكل يحقق لهم مصالحهم ويحول دون نهضة الإسلام وانتفاضته أو يقف في الطريق على اقل تقدير.

ومفهوم المباينة هذا الذي تبناه الاستعمار ، وفصل الإسلام عن السياسة في الأذهان ، هو الذي كان يعترض طريق عملاء الاستعمار والطغيان ، بعد أن كانوا يخوضون الميدان قبل ان يخلق الاستعمار هذا المفهوم في الذهن العام ويقودون الثورات التحريرية على كل غزو استعماري أو سياسة استعمارية.

إن السياسة بمعناها الصحيح – لا بمعناها الذي شاهدناه من المستعمرين – هو رعاية شؤون الأمة وعلاقاتها الداخلية والخارجية فهي التي تحقق للأمة مصالحها وتحفظ لها كيانها الاجتماعي في شتى شعب الحياة ونواحيها، وهي التي تحدد لها علاقاتها وصلاتها ، وترسم

عملياً حياتها ومنهاجها في الحياة.

هذه هي السياسة بمعناها الاصطلاحي الصحيح، فإذا تبنّيناها في واقعها المصفى وجوهرها البناء ، وضح لنا كل الوضوح مدى الغلط والاشتباه في تلك العقيدة السائدة التي تجعل السياسة نقطة مقابلة للإسلام.

فإن السياسة إذا كانت في مفهومها الكامل تعني رعاية شؤون الأمة وحماية مصالحها فهي من صميم الإسلام ، وهل اهتم الإسلام بشيء كما اهتم برعاية شؤون الأمة وتنظيم علاقاتها ، وإجراء الأنظمة الاقتصادية والاجتماعية العامة عليها.

فالإسلام يباين السياسة ، ولكن لا تلك السياسة الصحيحة النزيهة التي يعبّر عنها المفهوم الاصطلاحي للفظ ، بل إنما يباين سياسة الاستهتار بالكرامات الإنسانية واستلاب حقوقها والتآمر على سلامتها.

والإسلام يتبنى القضية السياسية ولكن لا بالمعنى الاستعماري للسياسة، بل بالمعنى الذي كان يقوم به رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – فقد كان النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – الممثل للإسلام في كل مظاهر حياته المقدسة ونشاطه المبارك، يتولى باسم الإسلام رعاية شؤون الأمة وقيادتها الاجتماعية ، وسياسة أمورها وتنظيم حياتها على ضوء شريعته الإلهية العادلة.

وليست القضية السياسية للإسلام تعني أشخاصاً ، وإنما تعني مبدأ خاصاً ، وهو مبدأ الإسلام الذي يفوق جميع المبادئ والاتجاهات.

فعلى كل مسلم كامل أن يكون ذا وعي سياسي صحيح بمعناه الذي يريده الإسلام ، وان يركز هذا الوعي على القاعدة الإسلامية ، فهو بطبيعة إسلامية لابد ان يجعل قضية الأمة وشؤونها هي قضيته الأولى في حياته التي لا بد ان يساهم فيها بكل ما يملك من حول وطول، لقوله صلى الله عليه وآله (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) ولا بد ان ينظر إلى تلك القضية بالمنظار الإسلامي الخالص ، ومن زاوية الإسلام التي تشع – بطبيعتها – على العالم بالنور، وتحاول ان تدفع به إلى شاطئ السلام الحقيقي.

فهذا هو الفهم السياسي الذي كان يحمله كل مسلم في الصدر الأول من الإسلام. وهذه هي الرسالة التي كان يرفع لواءها العظيم كل مسلم في الصدر الأول من الإسلام أيضاً.

ويتلخص ذلك الفهم في ان السياسة التي يريدها الإسلام: هي سياسة رعاية وعناية بالأمة ومصالحها وشؤونها ، وإنه يريد هذا الوعي من كل مسلم لأنه قال – صلى الله عليه وآله وسلم – (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) كما سبق .

وتتلخص الرسالة التي يركز عليها ذلك الوعي: في ان نظام الإسلام هو النظام المتكفل بمصالح الأمة ورعاية شؤونها ، ما تعلق منها بالدنيا وما تعلق منها بالآخرة.

ولا أدل على ذلك من قول نبينا – صلى الله عليه وآله وســلم – حين وقف خطيباً بين عشيرته الأقربين فقال : (إني لا اعرف رجلاً جاء قومه بأفضل مما جئتكم به ، جئتكم بخير الدنيا وخير الآخرة)

والى الملتقى القريب ان شاء الله تعالى.

جماعة العلماء

في النجف الاشرف

لماذا استقال الإمام محمد باقر الصدر من قيادة حزب الدعوة الإسلامية؟

في عام ١٩٦٢ كان قد توسع حزب الدعوة الإسلامية وانتشر في أوساط الحوزة العلمية في النجف ، ثم في الجامعات العراقية ، ومن ثم في أرجاء العراق.

وكان حزب البعث في العراق يخطط لانقلاب عسكري على عبد الكريم قاسم.

ولم يكن حزب الدعوة الإسلامية – آنذاك – مؤهلاً لاستلام السلطة ، ولكنه لاشك كان عقبة كأداء أمام حزب البعث ، ولقطع السبل أمام الحركة الإسلامية ومنعها من أن تقف ضد مخططهم المنشود، بعد ان تأكدت السلطات والدوائر الاستعمارية ان هذا الكيان الرسالي قد ولد ونمى في أحضان الحوزة العلمية ، وانه يحظى بتأييد ورعاية المرجعية الدينية، بذلت جهدها وركزت نشاطها لعزل الحركة وقطع الأواصر بينها وبين المرجعية الدينية.

فأوفدت (حسين الصافي) البعثي النجفي الذي يتزيّا بزي رجال الدين، للقيام بمهمة خبيثة ، حيث ذهب إلى المرجع الديني الراحل الإمام السيد محسن الحكيم – رحمه الله – وراح يبدي اهتمامه بالحوزة وخوفه عليها من وجود حزب سياسي يقوده السيد محمد باقر الصدر والسيد

مهدي نجل السيد الحكيم نفسه ، وراح يؤكد من خلال كلامه ان الحوزة العلمية في خطر ، وان حرصه واهتمامه ، هو الذي دفعه إلى عرض هذه القضية على المرجعية الدينية.

أما المرجع الراحل السيد الحكيم ، فقد كان يمتاز بخبرة اجتماعية ومعرفة جيدة لأمثال هذه العناصر ودجلها.

وعندما أنهى حسين الصافي كلامه ، سأله الحكيم: هل بقي عندك شيء تقوله؟ وبنبرة تُشعر بالانفعال وعدم الرضا.

ولم يكن حسين الصافي يتوقع مثل هذا الرد ، فأجاب:

(العفو سيدنا... ليس لدي شيء آخر ، وان حرصي هو الذي دفعني إلى ان انقل لكم هذا الخبر)

أجابه السيد الحكيم رحمه الله ، وأنت تتصور انك أحرص من السيد محمد باقر الصدر على الحوزة العلمية؟

فخرج الصافي يجر أذياله.

لقد شعرت المرجعية ان خطة خبيثة تخطط للإجهاز على السيد الصدر وعلى حزب الدعوة الإسلامية ، فأرسل الإمام الحكيم رسولاً هو نجله (السيد مهدي) إلى السيد الشهيد الصدر يخبره بالحادثة ويؤكد له ان يكون أباً راعياً للحركة من خارجها ، فهو أفضل من ان يكون في داخلها.

وفي هذا المقطع يقول المرحوم السيد مهدي الحكيم نجل السيد محسن الحكيم في مذكراته (.... فالسيد ((الحكيم)) كان يفترض أننا

وأولاده ننتمي إلىٰ حزب الدعوة الإسلامية ، وهو مرجع كان يجب ان يحافظ على صفته العمومية ، وليس مثل الناس الآخرين.

فإذا كان في حاشيته جماعة حزبيون أو أولاده أو جماعته المقربون ، فالناس من خلال علاقتهم به وثقتهم به كمرجع سوف يفقدونها أو تقل هذه الثقة ، وهذا لأجل الحفاظ على الصفة العمومية للمرجعية ، ولم يقل السيد (الحكيم) ان الحزب غير جيد....

وإنّا فهمنا الأمر في وقتها بهذا الشكل، وعلى أي حال نحن بقينا نتعاون مع الحزب.

والسيد (الحكيم) يعلم ان السيد مرتضى العسكري في الحزب، والسيد مرتضى كان من خيرة وكلاء السيد، وكان يعتمد عليه، ونقله من مكان إلى آخر، إلى منطقة حساسة وهي الكرادة... وكان يمدّه بكل ما يحتاج من امكانات... وهو يعلم ان الشيخ عارف يعمل بنفس الاتجاه....)[1] .

وحين أبلغ السيد الشهيد بهذا النبأ أصبح في وضع حرج... كان يبدو عليه التألم الشديد والانفعال من الموقف المعادي الذي وقفه حسين الصافي ، ووجد نفسه أمام محاولة واستهداف من دوائر الاستعمار فالتقى احد عناصر القيادة ، هو المرحوم الحاج (صالح الأديب)، وسلّمه رسالة من صفحتين يشرح فيها الوضع ويُعلّمه بأنه ينوي الانسحاب من التشكيل الهرمي للحزب ، وبمعنى أوضح ينسحب من قيادة الحزب

١- منقولاً من مذكراته المسجلة بشيء قليل من التصرف في التعبير.

وليس من الانتماء الفكري للحزب ، على ان يبقى يواصل توجيهه ورعايته وأبوته للحركة وان لم يكن في قيادتها.

***

وقد حاول بعض المناوئين للحزب ان يذيعوا بين الناس ان السيد الصدر انسحب من الحزب أصلاً، لشبهة عرضت له.

والشبهة التي يوردها أولئك يقولون فيها (ان السيد محمد باقر الصدر كان يعتقد ان تشكيل الحكومة الإسلامية يتم بناءً على قاعدة ولاية الفقيه، ثم غيّر رأيه ، فأصبح يرى ان تشكيلها لا بد ان يكون على قاعدة آية الشورى.

ثم بدا له مرّة أخرى ان آية الشورى لا تنهض دليلاً على تشكيل الحكومة، هذا مجمل الإشكال ، وان هذا الإشكال هو الذي دعاه إلى ان يترك الدعوة)

إن آية الشورى إنما تأتي في شكل الحكم، هل هو بناء على آية الشورى (وأمرهم شورى بينهم) أو بناء على ولاية الفقيه أو شيء آخر وليس في اصل تأسيس الحزب الذي هو أمر بالمعروف ونهي عن المنكر بمفهومه الكبير.

حتى إذا كان الحزب يهدف إلى تشكيل حكومة ، فان مقدمة ذلك لابد ان تتم عن طريق تغيير الأمة بمفهومنا الإسلامي ، تطبيقاً لقوله تعالى (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) .

فالأمة التي تسيطر عليها الأوهام والجاهلية والأفكار المنحرفة لا يمكن لها ان تتطلع إلى الحكم الإسلامي.

وبناء على ذلك فان الشهيد الصدر بقي إلى آخر أيامه يرعى العمل الإسلامي الحركي (حزب الدعوة الإسلامية) مادياً ومعنوياً,وامتنع أن يفتي بحرمة الانتساب إلى حزب الدعوة الإسلامية عندما طلبت منه سلطات صدام حسين لترفع عنه الحجز عام ١٩٨٠ ، في قضيتين ندرجهما كما يلي :-

الأولى –

حين أرسل صدام حسين (الشيخ عيسى الخاقاني) الذي كان من المتعاونين معه إلى السيد الصدر ، وأملى عليه شروط صدام ليعود الإمام الصدر إلى حياته الطبيعية:

١- رفع الفتوى بحرمة الانتماء إلى حزب البعث ، والإفتاء بجواز ذلك.

٢- عدم دعم الثورة الإسلامية في إيران.

٣- البراءة من حزب الدعوة الإسلامية والإفتاء بتحريمه.

رفض السيد الصدر هذه الشروط جملة وتفصيلاً.

ثم أرسل صدام (السيد علي بدر الدين اللبناني البعثي) وكان معمماً أيضاً ، أرسله إلى الشهيد الصدر وطلب منه تحقيق الأمرين التاليين ليرفع عنه الحجز، ثم ليزوره هو نفسه في بيته ، ومن ثم تنفتح له الدنيا.

والأمران هما:

١- أن يصدر فتوى بتحريم الانتساب إلى حزب الدعوة الإسلامية.

٢- أن يصدر فتوى بجواز الانتساب إلى حزب البعث.

فانتفض السيد الشهيد – رحمه الله – ورفض ذلك بإصرار.

فذهب (بدر الدين) إلى بغداد ، وعاد إليه ثانياً وفي جعبته أمر آخر يتصور انه أسهل من السابق وان السيد سوف لا يرفضه حتماً.

قال له – ان صدام يطلب منك تحقيق احد الأمرين السابقين ، إما تحريم الانتساب إلى حزب الدعوة الإسلامية ، وإما جواز الانتساب إلى حزب البعث.

ولكن الشهيد – رحمه الله – رفض ذلك أيضاً ، وصرخ في وجه بدر الدين معلناً غضبه لهذا السلوك الأهوج. وأمره بالخروج وعدم العودة إلى داره ابداً.

وبالفعل خرج بدر الدين وذهب إلى صدام بخفّي حنين، ثم أدركته يقظة الضمير فترك العراق وعاد إلى لبنان تائباً عمّا اقترف ، ولكن مجرمي العراق لاحقوه إلى هناك وقتلوه خوفاً من الافتضاح.

***

إنّ ولاية الفقيه أو آية الشورى ، إنما يأتي الحديث عنهما في شكل الدولة وليس في اصل الدولة ، أو في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فالدولة الإسلامية لا بد للمسلم من السعي إليها لتحقيق أمر الله سبحانه وتعالى ، وتطبيق شريعته.

ولا يوجد أي مسلم عاقل يعتبر ان الدولة الإسلامية وتطبيق الأحكام من الأمور التي لا يريدها الله.

ان الشهيد الصدر خرج من قيادة حزب الدعوة الإسلامية عام ١٩٦٢ نتيجة للملابسات التي تحدثنا عنها حين طلب منه المرجع (الحكيم) ذلك ، ولا نستطيع ان نتصور ان الشهيد الصدر يتخلى عن حزب الدعوة الإسلامية ، وهو الذي يقول (أوصيكم بالدعوة خيراً فإنها أمل الأمة).

فالدعوة هي الأمل الذي يجد فيه السيد الصدر انه سوف يحقق تطبيق الأحكام الإسلامية التي عبث بها العابثون ، وعمل الاستعمار على إبعادها عن الأمة ، أو إبعاد الأمة عنها، بحيث لم يعد قادراً على إرجاع الأمة إلى حضيرة الأحكام الشرعية غير الدعوة الإسلامية.

ولذلك نجد الشهيد الصدر يوصي بها ويدعو إلى رعايتها، وليس إلى محاربتها والتشكيك في أصالتها.

رحم الله الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر ونوّر الله ضريحه ، ولينَمْ قرير العين فإننا على العهد باقون ان شاء الله تعالى.

***

ومن الجدير بالذكر أن الكادر المتقدم من حزب الدعوة الإسلامية كانوا يلحوّن على السيد الصدر أن يتفرغ للحوزة , لكي يهيء نفسه للمرجعية .

فكل المؤهلات كانت متوفرة فيه وكنا نطلب منه أن يطبع رسالته العملية ليتمكن مقلدوه من الرجوع إليه , إذ انه من الصعوبة على السائل ــ إذا كان بعيداً عن النجف ــ أن يأتي إليه ويستطلع رأيه في الأحكام الشرعية .

ولكنه ــ رحمه الله ــ كان يخضع لأعراف خاصة في الحوزة فإنه من غير المناسب أن يتصدى أحد العلماء للمرجعية مع وجود أستاذه .

علماً بأن الشهيد الصدر كان تلميذاً للسيد الخوئي , ومن هذا المنطلق كان بعض الحوزويين ينتقدون السيد الصدر على تصديه للمرجعية المبكرة .

وعلى كل حال فإن انسحاب الشهيد الصدر من قيادة الحزب حقق مكسباً كبيراً للإسلام إذ تفرغ للمرجعية ومتطلباتها , في حين أن الحزب لم تصبه انتكاسة في انسحابه .

وبالمناسبة فان الإمام الصدر والسيد مهدي الحكيم عندما انسحبا من القيادة، كانت هناك رغبة لدى بعض علماء الدعوة في النجف ان يدخلوا – هم – في القيادة لسدّ النقص الحاصل في (المقاعد العلمائية) ولم تكن القيادة قد شغرت تماماً من العلماء ، ويبدو أنّ الخلاف الذي

حصل كان بين مجموعة من البصرة ، فقد دخل احد علماء البصرة في القيادة فعلاً وحاول آخرون ان يكونوا هم.

واشتد الخلاف عندما شكل ثلاثة من أولئك تجمعاً وادّعوا إنهم هم قيادة الدعوة ، ولم تلبث الخلافات طويلاً ، فقد تدخّل الإمام الصدر نفسه ، وكذلك السيد مرتضى العسكري في تسوية الأمر ، وبقيت القيادة كما هي.

***

قانون الأحوال الشخصية والمعارضة

في سنة ١٩٤٥ قدمت الحكومة العراقية مشروع قانون تشكيل المحاكم، وقد تضمن هذا المشروع مادة تنص على ان تؤسس محكمة شرعية في كل مكان توجد فيه محكمة حقوقية ، ويكون حاكم المحكمة الحقوقية المسلم قاضياً للمحكمة الشرعية ، إن لم يكن لها قاض خاص.

لقد جاءت هذه المادة تقنيناً لعرف جرى العمل بموجبه مدة طويلة، وهي انه في الأماكن التي لا توجد فيها محاكم شرعية لأي سبب من الأسباب ، فإن الحكومة كانت تلجأ إلى تخويل الحكام الحقوقيين – بإرادة ملكية – سلطة قاضي شرع.

وبالنظر إلى ان استصدار الإرادة الملكية كان يستغرق وقتاً طويلاً، الأمر الذي يعطل المحاكم الشرعية عن أعمالها مدة من الزمان مما يتسبب في تأخير إنجاز القضايا المعروضة عليها ويؤدي إلى تذمّر الناس والمراجعين واستيائهم ، لذلك رأت الحكومة ان يكون تخويل الحكام المدنيين سلطة القضاء الشرعي تلقائياً.

فحيث توجد محكمة حقوقية ولا توجد محكمة شرعية يكون الحاكم الحقوقي المسلم تلقائياً قاضياً للمحكمة الشرعية بدون استصدار إرادة ملكية ولا أية مراسيم ولا تأخير ، كما كان يجري سابقاً.

ولكن هذا الإجراء أثار جدلاً طويلاً في مجلس النواب، ثم تطور

الأمر إلى تأليف لجنة لإعداد مشرع قانون (لائحة) موحّد للأحوال الشخصية، للطائفتين الشيعة والسنة.

وقد تأخر إنجاز هذا المشروع ، وتعاقبت على اللائحة المذكورة عدة حكومات، وعدة مجالس نيابية.

***

وعندما حدثت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ كانت اللائحة لا تزال في اللجنة الحقوقية لمجلس النواب.

وأخيراً شرعت اللائحة في عهد عبد الكريم قاسم ، وأصبحت (قانون الأحوال الشخصية رقم ١٨٨ لسنة ١٩٥٩).

وأورد المتشرعون له – حينذاك – أسباباً موجبة لتشريع هذا القانون ، ومنها انه (قد وجد ان في تعدد مصادر القضاء واختلاف الأحكام ما يجعل حياة العائلة غير مستقرة وحقوق الأفراد غير مضمونة، فكان هذا دافعاً للتفكير بوضع قانون يجمع فيه أهم الأحكام الشرعية المتفق عليها)

ولكن أجريت على هذه اللائحة عدة تغييرات رئيسية، أهمها:–

أولاً:

منع الزواج بأكثر من زوجة واحدة إلا بإذن القاضي ، ويشترط لإعطاء الإذن تحقق الشرطين التاليين.

أ– ان تكون للزوج كفاية مالية لإعالة أكثر من زوجة واحدة.

ب– ان تكون هناك مصلحة مشروعة.

وإذا خيف عدم العدل بين الزوجات ، فلا يجوز التعدد ، ويتــرك تقدير ذلك للقاضي. وكل من أجرى عقداً بالزواج بأكثر مــن واحــدة، خلافاً للأحكام المذكورة ، يعاقب بالحبس مدة لا تزيــد عــن ســنة. أو الغرامة بما لا يزيد على مائة دينار، أو بهما (المادة الثالثة من القانون).

ثانياً:-

ان القانون استبدل بموجب المادة ٧٤ ، الإرث الشرعي بأحكــام قانون انتقال الأموال في القانون المدني (المواد ٩٨٧ – ١١٩٩) وبهذا أصبحت حصة الذكر مساوية لحصة الأنثى فــي الميــراث ، وأصــبح الحفيد يرث عن الجد وان توفي والده في حياة جده ، وأصبحت حــصة الزوجة الربع من المال الموروث وان كان لها أولاد ، إلى غير ذلك.

***

وثار المخلصون من العلماء – وقتذاك – مستنكرين إصدار مثل هذا القانون لمخالفة كثير من مواده للشريعة الإســلامية، وبعــده عــن الموازين الدينية، فضلاً عن كونه لا يشمل من الأحكام المتفق عليها إلا القليل، وهي مخالفة صريحة للأسباب الموجبة للتشريع في تجافيه لمــا ينص عليه القانون الأساسي للجمهورية العراقية من ان دين الدولة هــو الإسلام، والخروج على الإسلام بتشريعه خرق لنص الدستور.

في حين ان كثيراً من النساء، وكذلك أولئك الذين كانوا يــدعون إلى التحرر، وكان منهم الشيوعيون ، كانوا يعتبرون هذا القانون تطوراً

نحو (الديمقراطية) في البلاد حيث لم يجعل القانون فرقاً بين الرجل والمرأة، وهم الذين كانوا يتشدّقون بالمساواة.

وكانوا يُخرجون النساء في مظاهرات ويهتفن (بعد شهر ماكو مهر) أي بعد شهر من الآن سوف لا يبقى المهر عائقاً أمام الزيجات، إذ سوف يسمح للنساء والرجال ان يختار بعضهم بعضاً دونما تعقيد ودونما محكمة وعقد ومهر وما إلى ذلك.

وكان بعض المهووسين من رجال عبد الركريم قاسم يشجعون الشيوعيين والشيوعيات على الاستهتار خصوصاً في مدينة النجف الأشرف التي يعتبرونها معقلاً للرجعية ــ كما يزعمون ــ .

فإن المهرّج فاضل عباس المهداوي رئيس محكمة الشعب كان يدعو المرأة العراقية إلى السفور لأن نوري السعيد قبض عليه وكان متنكراً بعباءة نسائية .

***

وكان من الطبيعي ان يكون لحزب الدعوة الإسلامية دورٌ فعّال في تحريك العلماء من خلال أشخاصه النافذين في جماعة العلماء، في شجب هذا القانون واستنكاره قبل ان تستتبعه قوانين أخرى على غراره.

والواقع ان قانون الأحوال الشخصية لم يكن هو الوحيد الذي يعتبر خروجاً على الإسلام ، فقد سبقته قوانين كثيرة ، إن لم تكن اغلب القوانين التي أصبحت قيد التطبيق بعد نشوء الدولة العراقية عام ١٩٢١.

فالقوانين التي كانت سارية المفعول ابتداءً من عام ١٩٢١ – ١٩٥٨، لم تكن مطابقة للأحكام الإسلامية بقدر ما هي قوانين معتمدة على القانون الفرنسي والبلجيكي وغيرهما. وقد يكون الإسلام احد مفرداتها.

***

إن الشيخ محمد رضا المظفر الذي كان احد أعضاء (جماعة العلماء) الفاعلين والذي قلنا مراراً انه كان مؤسس جمعية (منتدى النشر) التي كانت مصنعاً للأشخاص الأوائل الذين شكلوا (حزب الدعوة الإسلامية).

إن الشيخ المظفر هذا بعث برقية بهذا الخصوص إلى عبد الكريم قاسم، كما يلي:-

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد اطلعنا على قانون الأحوال الشخصية ، فوجدناه يصطدم في كثير من مواده بالقانون الإسلامي المقدس، وبنصوص القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه , تنزيل من حكيم حميد فأسفنا أن يشرع مثل هذا القانون ، ولاسيما في العراق ، البلد الذي يرجع إليه المسلمون اجمع في تعرّف أحكام الإسلام الحنيف وتشريع القرآن الكريم ، فكان الجدير بقانون الأحوال الشخصية ان يكون صدى لصوت القرآن ونسخة مطابقة لأصل قانون الإسلام ، لا يحيد عنه.

فالمأمول من سيادتكم إصدار الأوامر بتعديله على وجه يطابق القانون الإسلامي.

محمد رضا المظفر

النجف الاشرف

وكان العالم الكبير السيد قاسم شبر – نزيل النعمانية – أحد أولئك الرجال الذين ينظرون إلى الحكام نظرة استصغار.

فقد كان بطلاً بمعنى الكلمة على كبر سنه ، لا يخشى في الله لومة لائم ، كان ينعى على الذين يحذرون من البوح بالحقيقة ، فيقول:

وماذا تخشون؟ أتخشون الموت؟ وكلنا نموت ، موتوا شرفاء.

وعندما زاره المدّعي العام لمحكمة المهداوي (محكمة الشعب) الشيوعي ماجد محمد أمين[1] كان مع ماجد أكثر من مائتين من رؤساء الدوائر ومن شيوعيي المنطقة، وهو في تلك الأيام احد أقطاب الدولة الكبار.

فكان السيد – رحمه الله – يوجه انتقاداً شديد اللهجة للحكومة التي تطلق العنان للشيوعيين، حيث يعيثون فساداً في الأرض.

ثم بدأ يعدّد جرائم الشيوعيين ، وماجد يستمع إليه بتواضع.

١– كان ماجد محمد أمين من أهالي النعمانية

وبعدها وجّه انتقاده إلى شخص عبد الكريم قاسم الذي سنّ قانون الأحوال الشخصية، وعارض فيه أحكام الشريعة الإسلامية.

قال له السيد : إن عمل عبد الكريم قاسم هذا، بداية (الفرعونية) فإن فرعون مصر أراد ان يعارض الله سبحانه وتعالى ، ولكن الله أغرقه في البحر ، وإن عبد الكريم قاسم سوف يُقضى عليه حتماً ما دام يحاول ان يستكبر أمام الله تعالى.

فكان ماجد يعتذر ويعد السيد بأن الأمر سوف يتم إصلاحه.

أما المرجع الحكيم، فقد كان له موقف شديد مع عبد الكريم قاسم في إصداره لهذا القانون ، وبقي السيد الحكيم مقاطعاً لـ (عبد الكريم) على رغم المحاولات العديدة التي كان يقوم بها هذا الأخير للتقرب إلى السيد والتفاهم معه.

وفي تلك الأيام طلب متصرف كربلاء (المحافظ) ان يواجه المرجع السيد محسن الحكيم ورغب في ان يكون اللقاء خاصاً لا يحضره أي احد، وكلف التاجر النجفي (عبد علي ناجي) ان يرتب هذا اللقاء مع السيد.

وبالفعل فقد تم هذا اللقاء ، وحضر المتصرف إلى بيت السيد الحكيم ، وقبل أن يبدأ بالحديث معه ، حضر أحد الأشخاص الذي كان معروفاً بميوله القومية , مما اضطر المتصرف إلى ان يقتصر على المجاملات فقط وينصرف.

وقد فاتت تلك الفرصة التي قيل إنها كانت لترتيب زيارة يقوم بها (عبد الكريم قاسم) للسيد الحكيم لتصفية الأمور والاتفاق على حل المشاكل العالقة.

ولو كان اللقاء قد تم ، فلربما كان يتم التوصل إلى تعديل قانون الأحوال الشخصية الذي هو النقطة الرئيسية في الخلاف.

ولا شك ان ذلك اللقاء المرتقب كان لا يروق إلى فئتين.

١- الشيوعيين الذين كانوا يسعون لتوسيع الخلاف بين (قاسم) والمرجعية الدينية.

٢- البعثيين الذين كانوا يعملون على الإطاحة بعبد الكريم قاسم الذي إذا انسجم مع المرجعية ، فسوف يصبح مستنداً إلى ظهر قوي ، له تأثيره الكبير في صفوف المسلمين وخصوصاً الشيعة منهم.

***

وعلى كل حال فقد بقي القانون ساري المفعول حتى تم القضاء على عبد الكريم قاسم في ٨ شباط ١٩٦٣ فيما يسمى بثورة ١٤ رمضان، وجرى تعديله في ٢٣ شوال ١٣٨٣ المصادف ٩ آذار ١٩٦٣.

ولكنه كان يتضمن تعديل طرف من المادة الثانية عشرة التي تنص على تحريم الزواج بأكثر من واحدة دون إذن القاضي. وإلغاء

المادة الرابعة والسبعين المتعلقة بأحكام المواريث ، وأبقت بعض المواد التي كانت تتجافى مع الأحكام الإسلامية.

ويوم تشكلت اللجنة للنظر في قانون الأحوال الشخصية ، بعث الشيخ (محمد رضا المظفر) برقية يشجع فيها اللجنةعلى اهتمامها بإلغاء القانون ، ثم بعث برسالة يعدّد فيها مساوئ القانون.

أما البرقية فكانت:

بسم الله الرحمن الرحيم

أثلج صدور المؤمنين بالنجف الاشرف ولاسيما مؤسسات منتدى النشر اهتمامكم البالغ بإلغاء قانون الأحوال الشخصية ، وخطوتكم الموفقة نحوه ، سيروا قدماً لإعلاء كلمة الإسلام بالأرض بسحق كل ما يتجافى وتعاليمه ، ليبرهن العراق الثائر على الاستعمار والكفر والإلحاد انه لا يزال الحصن المنيع لرسالة محمد المصطفى – صلى الله عليه وآله –، وكان الله في عونكم مادمتم في عونه.

محمد رضا المظفر

عميد كلية الفقه

أما الرسالة فهي:

كان لنبأ تشكيل لجنتكم الموقرة للنظر في قانون الأحوال الشخصية أعمق الأثر في نفوس أبناء بلدة النجف المؤمنة، لما خالجها

من الثقة بما ستقوم به اللجنة من دراسة اللائحة دراسة واعية مدركة تتجلى من خلالها ما انطوت عليه من مفارقات لا تستند إلى مصلحة أو دين، وإنكم سوف تكونون لسان هذه الأمة المسلمة في التعبير عن مشاعرها بضرورة إلغائها تماماً ، وقد أحببنا ان نضع بين أيديكم ما نراه من مبررات ملحّة للإلغاء.

تعلمون – ولا شك – ان ما انطوت عليه هذه اللائحة مزيج من أحكام شتّى يخالف بعضها صريح القرآن الكريم ويخرج على إجماع المسلمين في جميع عصورهم ، وبعضها يأخذ بوجهة نظر بعض المذاهب دون بعض ، وقليل منها ما تجمع عليه كلمة أئمة المذاهب جميعاً.

فمن القسم الأول ما يتصل ببعض أحكام المواريث ، كـ(مساواة الأنثى بالذكر) في الميراث ، ومساوئ هذا القسم أكثر من ان تحصى فهي بالإضافة إلى تحدّيها لصريح القرآن الكريم ، إجماع المسلمين في بلد لا يزال مثال الإيمان بالله تعالى وبشريعته المقدسة ، تفتح أمام أبناء هذا البلد مسارب للجريمة والتحلل وتعمل على إماتة الإخلاص فيهم، فالمرأة التي تقدم على مقاضاة الرجل إلى هذا القانون وتأخذ من حصته في المال تقدم على ذلك وهي تشعر في أعماقها – بما تدين به الله تعالى – إنها تقدم على سرقة أمواله في وضح النهار، ولها من هذا القانون حماية ، كما تشعر ان جميع تصرفاتها بهذا المال باطلة ، فهي في تحدٍّ دائم لأحكام دينها ، وما رأيكم في امرأة تعمد إلى إماتة وازعها

الديني بتحديها الدائم لتعاليمه المقدسة أيرجى لها ان تخلص لوطنها إذا زاحمت مصالحه مصالحها وهي التي لم تخلص لربها بإقدامها على مخالفته؟

وكيف يرجى لها ان تقوم على تربية الجيل على أسس من قيم الإسلام ومبادئه ، وهي التي تشعر إنها قد تنكّرت له في كثير من تصرفاتها من اجل شيء من الحطام؟

واما قياس هذه اللائحة فيما يتصل بهذه الفقرات منها بما كان مشرّعاً بالنسبة إلى الأراضي الأميرية – كما صنع مشرعوها – فقياس مع الفارق ، إذ ينطوي على مغالطة لا مبرر لها، لان الأراضي الأميرية أمرها بيد ولي الأمر ، وليست ملكاً للمتصرفين فيها، ومن حق ولي الأمر ان يأذن بالتصرف بها مع الشرط، أما هذه الأموال التي عناها القانون فهي ملك لأ صحابها وليس لولي الأمر أي حق في التصرف بها من وجهة تشريعية ، بل حتى أصحابها لا يملكون لأنفسهم جعل هذا الشرط،لأنه شرط مخالف للكتاب العزيز ، وما خالف الكتاب من الشروط لا ينفذ ، لقوله عليه السلام (إلا شرطاً خالف كتاب الله).

وما يقال عن هذا القسم يقال عن القسم الثاني، وأمثلته كثيرة في القانون، والمفارقات التي تنشأ عنه لا تقل فضاعة عن تلك المفارقات في القسم الأول، فالسني – مثلاً – إذا طلّق امرأته بالثلاث بانت منه ولا يحلّ له في مذهبه نكاحها إلاّ أن تنكح زوجاً آخر ، فإذا أراد الرجوع بها – بحكم ما سوّغ له هذا القانون – كان مقدماً على نكاح محرّم في

عقيدته ، وولده ولد زنا في رأيه ، وما ريكم في أسرة تتحدى شريعتها فتقيم علائقها الجنسية على أسس لا تؤمن – في أعماقها – بوجود مسوّغ لها؟

ثم ما رأيكم بالولد الذي يكبر بعد حين فيرى نفسه انه ولد غير شرعي بحكم ما يدين به الله ؟ وماذا يكون شعوره اتجاه أبويه وبلده الذي فرض عليه هذا القانون ؟

ونظير هذا الفرض يأتي في الجعفري الذي يطلق – بحكم هذا القانون – زوجته بغير شهود ، ثم تنكح زوجاً آخر، وهي في عقيدتها بعد في حبائل الزوج الأول أليست تشعر في أعماقها انها مقيمة على نكاح محرّم، وهكذا زوجها الثاني؟

أما القسم الثالث ، وهو ما اتفقت عليه كلمة المسلمين ، فهو في غير حاجة إلى تشريع قانوني ما دامت أحكامه واضحة لدى الجميع.

فإلغاء هذا القانون من أساسه وإرجاع الأمة إلى ما تدين به ربها هو الذي تقتضيه مصلحتها إذا أردنا ان نخلق لها مواطنين صالحين ومثل هذه اللائحة لا تقبل التعديل.

والتقدّمية التي تذرّع بها مشرعو هذه اللائحة – فيما يقال – ليست بالعبث بمقدرات الناس والتحكم بما يدينون به الله – عز وجل – وخلق مسارب جديدة للجريمة أو الشعور بها على الأقل، وإنما التقدمية بالعمل على الاستقرار والطمأنينة ورفع مستويات الشعوب في مختلف مجالاتها العلمية والاقتصادية والثقافية وتركيز قيمها ومثلها الأخلاقية.

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسـوله والمؤمنـون) وفـي الإيمان بأمثال قوله تعالى (ومن لم يحكم بمـا انـزل الله فأولئـك هـم الكافرون) أعظم رائد للخير والصلاح.

إنه ولي التوفيق ، والسلام عليكم

محمد رضا المظفر

عميد كلية الفقه

النجف الاشرف ٧ / ١٠ / ١٣٨٢

زيارة الإمام السيد محسن الحكيم إلى بغداد ودور حزب الدعوة

تعتبر زيارة المرجع الديني السيد محسن الحكيم إلى بغداد عام ١٩٦٣ حدثاً هاماً، فالزيارة لم تكن سفرة عادية لمرجع ديني، وإنما كانت خطوة سياسية اشتركت في صناعتها الحركة الإسلامية فأوجدت تلاحماً جماهيرياً هو الذي جعل من الزيارة تلك حدثاً تاريخياً في حينها.

وقد تكون تلك الزيارة التي حدثت في تشرين الأول ١٩٦٣ أضخم موكب جماهيري شهدته المرجعية في العراق، حيث عاشت المناطق الجنوبية والوسطى في العراق غلياناً جماهيرياً إسلاميا قلّ نظيره، وكان بمثابة التحدي العلني للسلطة البعثية الحاكمة وللتيارات الشيوعية والقومية في العراق.

فلقد عبّر الشعب العراقي عن عمق ارتباطه بالإسلام وولائه القوي لمرجعيته الدينية واستجابته المؤثرة للحركة الإسلامية.

وبذلك تظافرت العناصر الأساسية للتحرك الإسلامي لتجعل من زيارة المرجع الديني حدثاً مؤثراً على الساحة العراقية ، يتجاوز صفته التقليدية ويكتسب صفة سياسية واضحة على عموم الوضع في العراق.

لقد كانت الحياة السياسية والاجتماعية متأثرة إلى حد كبير بالصراع السياسي وسيطرة القوى العلمانية على مقدرات البلاد ، لاسيّما

بعد سقوط حكم عبد الكريم قاسم في ٨ شباط ١٩٦٣ ، وما أعقب ذلك من فترة إرهاب خيّمت على الشعب العراقي ، حيث بدأ البعثيون عهدهم بجو إرهابي مرعب.

وكان (الحرس القومي) يمارس عمليات القتل والاعتقال والاعتداء بمنتهى الوحشية ، وقد صنعت جرائمهم صفحات سوداء في تاريخ العراق بحيث أنّ الأجيال التي لم تشهد جرائم الحرس القومي ظلت تحتفظ بصورة بشعة عنه لكثرة ما سمعته من العراقيين الذين شاهدوا وعايشوا تلك الفترة المظلمة من تاريخ العراق.

ولا نريد ان نتحدث عن تلك الفترة ، وعن جرائم الحرس القومي فهي خارجة عن موضوع دراستنا ، ولكننا نريد الإشارة إلى طبيعة تلك الفترة من الناحية السياسية الإسلامية.

ففي تلك الأجواء كانت زيارة المرجع الديني السيد محسن الحكيم إلى كربلاء ثم بغداد وسامراء ، وكانت الاستجابة الجماهيرية الضخمة للزيارة.

ان أهم مكسب حققته تلك الزيارة إنها أظهرت الحقيقة الإسلامية للشعب العراقي وارتباطه الوثيق بمرجعيته وتحديه العلني للسلطة الإرهابية الحاكمة آنذاك.

وكان من نتائج هذا التلاحم الجماهيري إضعاف السلطة ومن ثم سقوط البعثيين وتنحيتهم عن الحكم في أعقاب جولة السيد الحكيم.

وفي الحقيقة ان زيارة السيد الحكيم كخطوة سياسية مؤثرة، جاءت بعد دراسة دقيقة للوضع السياسي العام في العراق من قبل قيادة حزب الدعوة الإسلامية ، حيث اقترح احد أعضاء القيادة[1] على المرجع الحكيم ان يقوم بجولة في مدن العتبات المقدسة من اجل إظهار القوة الجماهيرية الإسلامية أمام السلطة وتحدي طغيانها وجبروتها ، وقد اقتنع السيد الحكيم – رحمه الله – بالاقتراح ووافق على القيام بجولته تلك.

وعلى هذا الأساس فقد نشط حزب الدعوة الإسلامية في تعبئة الجماهير للالتفاف حول السيد الحكيم وحضورها الميداني المكثف في المدن والمناطق التي يمّر بها موكبه.

وكان الجهاز التنظيمي للحزب يهيئ الأجواء بطريقة مباشرة وغير مباشرة لبرامج الاحتفالات والوفود التي تلتقي المرجع الحكيم في مناطق إقامته.

وهناك نقطة هامة أخرى تتعلق بزيارة السيد الحكيم إلى مناطق العتبات المقدسة ، وهي دور الحركة الإسلامية في ربط الأمة بقيادتها ودفعها للسير تحت لوائها، وهي الرابطة التي ضعفت منذ العقد الثالث من القرن العشرين بتأثير ظروف سياسية واجتماعية كثيرة تحدثنا عنها فيما سبق.

ثم جاءت القوى والتيارات العلمانية لتزيد من ضعف تلك الرابطة ، بل وتزيد من ابتعاد الأمة عن الإسلام وعن قيادته الشرعية

١- هو سماحة السيد مرتضى العسكري

حتى تسرّب اليأس إلى نفوس أبناء الأمة واعتبروا ان قيادة علماء الدين أصبحت جزءً من الماضي.

وكذلك تسرَّب اليأس إلى الكثير من العلماء ، فتصوروا أن الأمة المسْلمة في العراق فقدت أصالتها الإسلامية وروحها الجهادية وأنها لم تعُد تلتف حول قيادتها الشرعية.

لقد تغيّرت كل تلك الحسابات وتبدّدت وجهات النظر الخاطئة عندما استطاع حزب الدعوة الإسلامية ان يعبئ الأمة تحت لواء قيادتها المرجعية بصورة واعية ومتحدية.

إن نجاح حزب الدعوة الإسلامية في هذه التجربة جعل أعضاءه يزدادون ثقة وإصراراً على تصعيد عملهم الجماهيري ، كما انه أثبت صحة قناعة الحزب في الاعتماد على الأمة وإرادتها الحرة، وهذا ما دفعه إلى الطلب من السيد الحكيم – رحمه الله – في عام ١٩٦٩ إلى إعطاء الإذن والسماح للحزب بتعبئة الأمة وتفجيرها. وسنتحدث عن هذا الموضوع في الجزء اللاحق من هذه الموسوعة ان شاء الله.

ومن مظاهر النجاح التي حققها الحزب في زيارة المرجع الديني السيد الحكيم، انه دفع بطريقة غير مباشرة الكثير من الشخصيات والجماعات إلى التحرك والتفاعل مع الحدث ، بعد أن وجدوا أنّ الساحة العراقية مهتمة بالزيارة ، وان الوفود الجماهيرية تزدحم على محل إقامة السيد الحكيم وتهتف به بقوة وشجاعة.

***

لقد بدأ السيد الحكيم جولته ظهر يوم الخميس ٢٩ جمادى الأولى ١٣٨٢هـ (١٧ تشرين الأول ١٩٦٣) حيث غادر النجف إلى كربلاء.

وفي فجر يوم الجمعة ١٨ تشرين الأول غادر كربلاء إلى بغداد، وفي الطريق جرى له استقبال جماهيري كبير في منطقة المسيب والمحمودية، وكانت سيارات المستقبلين تنطلق من بغداد لاستقبال موكبه ومرافقته إلى بغداد.

وبعد وصوله إلى الكاظمية، أقيم له احتفال جماهيري في الصحن الشريف تحدث فيه الشيخ (محمد حسين الصغير) والخطيب الكبير الشيخ (محمد علي اليعقوبي).

وفي الليلة التالية أقيم احتفال جماهيري آخر في صحن الإمامين _ عليهما السلام _ وامتلأ الصحن الشريف بالوفود.

فتقدم الداعية السيد (فخر الدين الموسوي) باسم جماهير الكاظمية وألقى كلمة جاء فيها:

(سيدي سماحة الإمام الحكيم ... استميحكم لحظات من الوقت لاعبرّ عن شعوري الإسلامي واذكّر إخواني المؤمنين بان هناك شرطين أساسيين يجب ان يتوفرا في كل امة تريد الحياة والنهوض في كل أمر وتحاول أن تثبت للعالم وجودها الفكري وسلوكها العملي وتؤكد على رسالتها في الحياة.

أولاً-

وجود المبدأ الصالح الذي يحدّد للأمة اتجاهها الفكري ويرسم لها أهدافها وغاياتها وطريقها في الحياة.

ثانياً-

وجود قادة مشبعة قلوبها بالفضيلة مستوعبة المبدأ القويم من كل جوانبه عارفة بأهدافه وغاياته وطرق بثه والدعوة إليه، وهؤلاء هم أئمة المسلمين (ع) ومن بعدهم حملة علوم الإسلام وأبطال الجهاد ودروع الدين، أولئك العلماء الأعلام ، وسيدنا الامام الحكيم هو من تلك الصفوة الطيبة ، سيد العلماء وزعيم الملايين وحامل لواء الدين ومحطم كلمة الملحدين[1] ومزعزع عروش الظالمين).

ثم ألقى (فؤاد الشيخ علي الحياوي) قصيدة السيد طاهر الموسوي عن وفد أهالي الكرخ نختار منها:

أما آن للحق ان يظهرا	وللدين والعدل ان يسفرا
إلى مَ نرى الغيَّ مستولياً	ودين الهدى كاد ان يقبرا
إلى مَ نرى الكفر يفني الملا	إلى مَ نرى الجور عمَّ الورى
فجيش الهوى نحونا زاحف	وغير الدعارة لن ينشرا
أرى الدين يستصرخ الأمة	التي أخرجت تنكر المنكرا
فمن يا ترى يلبي النداء	يكون بنشر الهدى أجدرا
فهل غير مولى الأنام الحكيم	قد آن بالحق ان يظهرا

١- ويشير بذلك إلى فتواه بتحريم الشيوعية وانها كفر والحاد

وفي الليلة التي تلتها تكرر الاحتفال في الصحن الكاظمي حيث توالت الوفود ، وتحدث السيد (فخر الدين الحيدري) عن وفد الكسرة من بغداد، إذ قال:

(ولقد حاول المستعمرون وأذنابهم ان يطعنوا بالعلماء... حتى تكون لهم الأرض معبّدة لسلب خيراتها والتحكم في رقاب الناس... فأثاروا فكرة عزل الدين عن السياسة وقالوا ان الدين لله والوطن للجميع حتى يكون الدين بمعزل عن التطبيق ويكون العلماء بمنأى عن الحكم ولكن وعي المسلمين وكشفهم لأساليب المستعمرين وألاعيبهم ، والتفافهم حول قادتهم المخلصين دحض هذه الخرافة البالية المغرضة...) .

***

وفي الليلة الأخرى تقدم الشهيد السعيد (عبد الصاحب دخيل) ممثلاً عن وفد مدينة الحرية وألقى كلمة نختار منها:

(.... أنزل الله تعالى الإسلام إلى البشرية جمعاء، ليس لعصر دون عصر، ولا لمنطقة دون أخرى، بل هو دين البشرية ، لأنه دين الفطرة (وما أرسلناك إلاّ كافة للناس).

والله سبحانه أوجب ألا يكون للناس خِيَرة في الإسلام كلاً أو بعضاً بعكس الديمقراطية التي أباحت للإنسان أن يتدين أو ان يكون ملحداً وسمحت للإنسان إن أراد ان يتدين اعتناق أي دين يشاء، وأما

الشيوعية فقد أوجبت الكفر بلا حرية في ذلك ، كما حدّدها سيدنا الحكيم حيث قال الشيوعية كفر والحاد......).

وفي يوم الجمعة ٢٥ تشرين الأول ١٩٦٣ أقيم احتفال جماهيري ضخم في جامع براثا بمناسبة افتتاحه على يد السيد الحكيم، وكان حفلاً رائعاً، وألقيت فيه الخطب والقصائد الإسلامية الهادفة.

وبعد نهاية الاحتفال توجه موكب الإمام الحكيم إلى سامراء، وقد هبّت الجماهير لتوديعه في مظاهرة إسلامية ضخمة ، فقد قدر عدد السيارات التي كانت في توديعه أكثر من ألف وستمائة سيارة، وكان كاتب هذه السطور ضمن المودعين ورافق الموكب إلى سامراء.

وامتلأ الطريق إلى سامراء من المستقبلين والمودعين ، وأقام الإمام الحكيم في سامراء عشرة أيام كانت كلها مواسم صاخبة من الوفود والخطب والقصائد ثم عاد إلى بغداد ومنها إلى النجف ، وطوال الطريق كان الناس يستقبلون ويودعون الموكب بحفاوة وتكريم.

لقد استغرقت جولة السيد الحكيم ٢٢يوماً ، كانت في حقيقتها مظاهرة جماهيرية إسلامية أثبتت تلاحم الأمة بقيادتها ، كما أثبتت قوة الحركة الإسلامية وقدرتها على تحريك الأمة في العراق.

***

حركة الإمام الخميني عام ١٩٦٣
ومجيئه إلى العراق عام ١٩٦٤

هناك بعض الأحداث ، وإن كانت في غير العراق ، إلا أنها كان لها تأثيرها غير المباشر على الوضع في العراق بصورة عامة ، وعلى النجف وعلمائها بصورة خاصة ، كما حدث في (المشروطة) الإيرانية عام ١٩٠٦ ، وحركة الدستور في تركيا عام ١٩٠٨ ، وتجاوز ايطاليا على ليبيا عام ١٩١٢.

وإننا كحزب إسلامي ، لا بد أن نؤيّد أية حركة إسلامية أصيلة تحدث في أية بقعة من العالم الإسلامي.

ففي عام ١٩٦٣ تحرك الإمام الخميني في إيران ضد الشاه وسلطته، حيث كان الأمريكان يتصرفون وكأنهم هم الذين يملكون ناصية البلاد، كما كان (البهائيون) يسيطرون على بلاط الشاه.

ونتيجة لذلك فقد وقعت البلاد في خضم متلاطم من الفساد والاستئثار وتمادي الشاه (محمد رضا) في عدائه للإسلام وتعاليمه وأحكامه ، ومعه زبانيته تعاونه في الفساد.

تحرك الإمام (روح الله الخميني) ثائراً ضد تلك الأوضاع في مظاهرات صاخبة عمّت كل مناطق إيران ، وراح ضحيتها الآلاف من

الشهداء ، وسميت بذلك (ثورة ١٥ خرداد) من السنين الإيرانية المصادف ١٢ محرم ١٣٨٣هـ.

واعتقل الإمام على أثرها من قبل الشاه ، وحاول أن ينزل به عقوبة الإعدام لولا وقوف علماء المسلمين في إيران ، ولكن الشاه – أخيراً – أبعده إلى الأراضي التركية.

وكان البعض من علماء النجف ضد التحرك الذي حدث في إيران، لأنهم دأبوا على عدم التدخل في الشؤون السياسية.

وإذا كانوا قد تغيروا قليلاً على أثر ثورة عبد الكريم قاسم عام ١٩٥٨ فإنهم لا ينسجمون مع مستوى الحالة التي قادها الإمام الخميني والتي أدت إلى ضحايا كثيرة.

ولعل معارضتهم كانت للسببين التاليين:

١- هناك روايات تقول انه لا يجوز التحرك والثورة في وجه الحكام الظالمين ، وإنما هو من اختصاص الإمام المهدي عليه السلام.

٢- إنهم لا يعتمدون كثيراً على تأييد الجماهير.

وعندما ذهب السيد الإمام الخميني إلى النجف الاشرف عام ١٩٦٤ وزار السيد الحكيم – رحمه الله – جرت بينهما مناقشة طويلة:

فالإمام كان يحث السيد الحكيم على التحرك.

والمرجع الحكيم كان يورد عدة مبررات للقعود.

وقد كان حزب الدعوة الإسلامية قد استثمر قضية ١٥ خرداد ، وبدأ ينشر أنباء الحركة الإسلامية في إيران أولاً بأول في إحدى الصحف اليومية في بغداد.

كنا ننشر فيها ان العلماء في إيران وعلى رأسهم الإمام الخميني يريدون إقامة دولة إسلامية على أنقاض دولة الشاه الخائن.

ثم أقام الحزب مجالس الفاتحة على أرواح شهداء ١٥ خرداد في كل من البصرة والكاظمية والنجف.

وقد كنت أقف إلى جانب السيد إسماعيل الصدر – رحمه الله – في استقبال الناس وتوديعهم، حيث أقمنا مجلس الفاتحة بهذه المناسبة.

كما أقام حزب الدعوة الإسلامية مهرجاناً خطابياً في مدينة الكاظمية، في الصحن الشريف احتجاجاً على اعتقال العلماء في إيران حضره عدد من علماء السنة والشيعة في بغداد ، والقى فيه الشيخ (عبد العزيز البدري) كلمة باسم علماء بغداد ، وقد طالب الحاضرون – نيابة عن الجماهير – بإطلاق سراح الإمام الخميني والعلماء الذين معه، الذين احتجزتهم سلطات الشاه ، وكان عريف الحفل المرحوم السيد (داود العطار)....

طبعاً لم تكن مجالس الفاتحة تلك تقام باسم الدعوة صراحة، وإنما تحت واجهات أخرى ، خوفاً من بطش السلطة.

فالتي أقيمت في الكاظمية كانت باسم السيد إسماعيل الصدر في مسجده الذي كان يصلي فيه قرب الصحن الشريف في الكاظمية.

كما وإن الحزب وزع منشورات بتلك المناسبة في البصرة تستنكر على الشاه أعماله المشينة.

***

وحين ورد الإمام الخميني إلى العراق في ١٩٦٤/٩/٥ بعد مغادرته إيران وتركيا، زاره وفد من حزب الدعوة الإسلامية في الكاظمية في اليوم الثاني من مجيئه ، وكان الوفد يتألف من (محمد هادي السبيتي ، والسيد إبراهيم المراياتي ، وعبد الصاحب ادخيل والسيد فخر الدين الموسوي الشوشتري، ومحمد مهدي السبيتي ، وكاتب هذه السطور، حسن شبر) وأعلنوا له الولاء ، ثم استمعوا إلى توجيهاته.

وخطب (محمد هادي السبيتي) مرحّباً بالإمام وحركته الرائدة في إيران، طبعاً لم يصرّح بهويته للحاضرين ، خصوصاً وقد كان في المجلس (عبد الرزاق محيي الدين) وزير الوحدة ، مبعوثاً من قبل رئيس الجمهورية آنذاك (عبد السلام عارف)...

وعندما ذهب الإمام الخميني إلى النجف الاشرف ، خرج الدعاة ويستحثون غيرهم معهم لاستقباله من منتصف طريق كربلاء ، بعدة سيارات، مبتهجين بقدومه ومردّدين شعارات :

(دولة دولة إسلامية لا شرقية لا غربية) .

وكذلك (يا خميني أهلاً بيك شعب العراق يحييك).

***

مكتبات الإمام الحكيم العامة

ولا بد لحزب الدعوة الإسلامية ان يفكر وان يبتكر أي أسلوب يناسب المرحلة والظروف الأمنية لنشر الإسلام وتثقيف الأمة.

فالأمة التي تحكّم بها أعداء الإسلام أو جهّال المسلمين وفسقتهم كان لابد ان يجعلها الحزب مادته الأولى ليبثّ فيها أفكاره الإسلامية.

والشباب الذين كانوا عماد هذه الأمة المتخلفة ، كانوا تحت رحمة الثقافة الغربية التي أثرت أثرها الكبير في الأوساط منذ عشرات السنين.

وكان يبدو من الصعب جداً التغلب على تلك الثقافة التي تأصلت حتى أصبحت أمراً لا ينفك عن السلوك الفردي ، كما أصبحت حالة يتميزّ بها المجتمع العراقي بصورة عامة.

والمغيّرون هم – تاريخياً – المستضعفون الذين يقفون أمام امكانات المستكبرين ذوي الحول والطول ، ويحكمون زمام الأمور.

فقد كان شباب العراق – ونقصد بهم طلاب الثانويات والجامعات وكذلك المعلمين ومن في أعمارهم – يقضون أوقات فراغهم في نوادٍ أسستها لهم الحكومات باسم (نوادي الموظفين) للعب القمار وشرب الخمور واستماع الأغاني، ولا شأن لهم بالدين والإسلام ، إلا من شذ منهم.

أما المساجد ، فان السيد مرتضى العسكري يقول عنها:

(.... قبل هذه الحركة (حزب الدعوة الإسلامية) رأيت في الكاظمية مسجداً تسكنه الحيوانات السائبة.

والمساجد لا يحضرها إلا الشيبة ، وليس كل الشيبة، ذهبت في ليلة من ليالي شهر محرم إلى حسينية من الحسينيات، كانوا مشغولين بـ(اللطم) فسألتهم هل عندكم قارئ؟ قالوا: لا

ثم بعثت من يحصي لي مجالس العزاء في بغداد، فأحصوا لي خمسة وخمسين موكباً للعزاء ليس فيها قارئ واحد، يجتمعون فقط لـ(اللطم) وعصر العاشر ينتهي كل شيء) .

وكان على حزب الدعوة الإسلامية ان يقوم بثلاث عمليات:

١- انتشال الأمة من حالة التخلف.

٢- توجيه أفكارهم للإسلام.

٣- ومن ثمَّ جعلهم من العاملين للإسلام والحاملين لأفكاره.

على ان يلاحظ في ذلك كله الحالة الأمنية التي تلفّ كل عمل اجتماعي، فالحكومات لم يكن يروق لها، أو فلنقل أنها كانت تحارب أي توجه إسلامي، خصوصاً إذا كان من حزب له عمق في أوساط الشيعة والحوزة العلمية في النجف.

وفي ظروف كهذه، ابتكر حزب الدعوة الإسلامية فكرة تأسيس مكتبات عامة في المساجد والحسينيات التي تنتشر في العراق، وعلى

الأخص في منطقة الجنوب والوسط[1].

وسميت تلك المكتبات باسم (مكتبة الإمام الحكيم العامة) في مدينة كذا.... حيث كانت للسيد الحكيم – رحمه الله – مكتبة كبرى في مسجد (الهندي) بالنجف الاشرف.

ولم تكن الكتب في تلك المكتبات تأتي كلها من مكتبة الحكيم، فان أكثر الكتب كنا نشتريها أو كنا نستحصل عليها بطريقة التبرع، ولكننا توخينا هذا الاسم ليكون درعاً يجنبنا كثيراً من المصاعب.

فالسيد الحكيم – رحمه الله – كانت له سمعة كبيرة وقدسية في أوساط المجتمع العراقي، فكانت تلك السمعة وذلك الانتساب يضفي على عملنا نوعاً من الحماية.

فالمكتبة في المسجد، وهي باسم الحكيم ، والشباب الذين يحضرونها لابد ان يكونوا محسوبين على هذا الاسم.

وأول مكتبة تمَّ فتحها على هذا الأساس، هي مكتبة في مدينة (القاسم) عام ١٩٦٣ في محافظة الحلة ، ثم انتشرت المكتبات في كل مكان حتى أصبحت ٧٣ مكتبة في العراق .

واستطاع الدعاة ان يحققوا بذلك عدة مكاسب :

١- فانه ما أسرع ما انتمى أولئك الشباب الضائعون إلى الدعوة المباركة ، وكأنهم كانوا عطاشى ، فوجدوا المنهل العذب.

١- وكانت لنا مكتبات أيضا في محافظة كركوك.

٢- أعانوا المرجعية في نشر الإسلام ، بعدما كانت عملية إرسال المبلغين والوكلاء الجيدين إلى الأطراف والقرى والأرياف تعتبر مهمة صعبة .

٣- تواجدهم في المساجد والحسينيات كصفوة مؤمنة متمسكين بالدين والأخلاق ونكران الذات، جعلهم محبوبين من قبل أهالي مناطقهم، كما وصلت أنباؤهم الحسنة إلى السيد الحكيم، حيث كان مرجع الأمة آنذاك. فبدأ السيد يوثّق علاقته بهم ويتبناهم ويعضدهم ويستجيب لمطاليبهم، ويفرح بزيارتهم له، كما أصبحت بين تلك الصفوة وبين المرجعية - بصورة عامة - علاقة حسنة وثقة متبادلة.

ونقصد بالمرجعية - آنذاك - هي مرجعية السيد الحكيم -رحمه الله-.

فالإمام الحكيم عاش مع أحداث العراق منذ كان شاباً وعاصر الحالة البائسة التي كان يمرّ بها العراق، والتي كانت تتردّى يوماً بعد يوم، ولم يتنبه بل ولم يعمل من أجل إنقاذ العراق إلا هذه الفئة المؤمنة (الدعاة) وقليل غيرهم.

من اجل ذلك نجد ان كثيراً من وكلاء السيد الحكيم - رحمه الله - كانوا من الدعاة، بل ان الدعاة كانوا من خيرة وكلائه، ويكفي أن فيهم أشخاصاً كالسيد العسكري والشيخ عارف البصري وغيرهم كثير.

وكان السيد الحكيم يولي السيد العسكري عناية خاصة لأفكاره ومشاريعه كما كان يولي الشهيد أبا عصام عنايته.وهو الذي كان يخطب في جموع المصلين عام ١٩٦٣عندما كان الإمام الحكيم يؤمّ الجماهير في صحن الكاظمية , ومن بعده عام ١٩٦٩.

والإمام الحكيم لا ينسى العمل الفدائي الذي قام به الدعاة، ففي إحدى زيارات الإمام الحكيم إلى كربلاء في أوائل عام ١٩٥٩ حاول الشيوعيون قتله قرب صحن الإمام الحسين – عليه السلام – بعد ان هتفوا ضده وضربوا سيارته ، وحاولوا إخراجه من السيارة عنوة، ولكن الدعاة الميامين تمكنوا من إنقاذه بصعوبة.

٤- وحيث ان المرجعية قد تبنتهم ، وحيث أنّ عملهم لم يكن يمس السلطة في ظاهره ، فان السلطة كانت بعيدة عنهم في البدايات وان كانت ترصد هذا التحرك الجديد.

٥- ويوم كانت المساجد تشكو إلى الله فراغها من المصلين والعبّاد فقد امتلأت نتيجة لتصدي تلك الصفوة ، وخاصة من الشباب الذين أصبحوا يقبلون على الدين وتعاليم الإسلام بكل لهفة وكأنهم كانوا في غفلة فانتبهوا ، وكأنهم كانوا نياماً فاستيقظوا.

وقد كان لأولئك الشباب من خلال تلك المكتبات دورٌ مهم جداً في نشر بيانات ومنشورات (جماعة العلماء) وفتاوى العلماء، ولكن بعض وعاظ السلاطين الذين يحتلون المساجد من باب الارتزاق كانوا يعارضون وجود أولئك الشباب فقد كان أولئك من الطراز الذي يريد ان

يسلك مع الناس من اجل تدبير المعاش ولذلك فقد كانوا يؤثرون الدعة والاستقرار وعدم التعرض لمشاعر الناس وما ألفوه من تخلف لكيلا تتأثر معيشتهم.

وقد كان الشيخ (عارف البصري) – رحمه الله – يجد العنت الشديد عندما يقرأ بعض البيانات التي يصدرها الحزب في مسجد (المقام) بالبصرة .

وبقيت تلك المكتبات مستمرة بعملها حتى بعد وفاة السيد الحكيم – رحمه الله –.

* * *

جماعة علماء بغداد والكاظمية

جاءت تسمية (جماعة علماء بغداد والكاظمية) على اثر رسالة بعثها المرجع السيد محسن الحكيم – رحمه الله – عام ١٩٦٣ إلى (احمد حسن البكر) عندما كان رئيساً للوزراء ، يعلمه بأن علماء المسلمين في بغداد والكاظمية يلتقون به للمذاكرة حول بعض الأمور التي تخص العراق والأمة الإسلامية في العراق.

والذين ذهبوا هم (السيد مرتضى العسكري والسيد إسماعيل الصدر والسيد هادي الحكيم والشيخ علي الصغير والسيد طاهر الحيدري).

وكان اللقاء في البداية متوتراً حيث كان البكر يتكلم بخشونة ووصمهم بأنهم يعملون على تفرقة البلاد طائفياً ولكن السيد (طاهر الحيدري) استطاع أن يغير الأجواء بسرعة ، فضحك البكر وانسجم وإياهم في الحديث.

وتكلم كل واحد من الحاضرين عن احد الجوانب حسبما كان متفقاً عليه بينهم ، وكان نصيب السيد العسكري ان تكلم عن الإذاعة والتلفزيون وسوء البرامج التي تعرض فيهما كما ذكر ان طلاب المدارس يعيشون ازدواجية التعليم بين البيت والمدرسة ، فالطالب الشيعي يدرس في المدرسة أموراً تتعلق بالوضوء مثلاً ثم يعود إلى

البيت فيجد إن أبويه يمسحان ارجلهما في الوضوء ولا يغسلانهما ، هذه ازدواجية، ومثلها كثير ، ولا بد من القضاء عليها، فوعد البكر بتشكيل لجنة للنظر في كتب التربية الدينية ولكن هذه اللجنة لم تشكل ، وبقيت جماعة علماء بغداد والكاظمية تقوم بنشاطاتها في إقامة الاحتفالات[١].والاجتماعات واللقاءات مع المسؤولين في الدولة.

وتوسع أعضاؤها وانضم إليهم السيد (مهدي) نجل الإمام الحكيم حيث انتقل عام ١٩٦٤ من النجف إلى بغداد ، وأصبح هو الذي يمثل والده ، كما يمثل الجماعة نفسها في مؤسسات الدولة.

وقرر (علماء بغداد والكاظمية) إصدار جريدة سياسية باسمهم على ان تكون في البداية إسبوعية.ولم يكن الحصول على امتياز

١- ولعل أهم تلك الاحتفالات هو الاحتفال الكبير بمناسبة المولد النبوي الشريف الذي أقامته الجماعة في جامع براثا في العطيفية في بغداد بتاريخ ١٨ ربيع الأول ١٣٨٧هـ المصادف ١٩٦٧/٦/٢٧.

وقد حضره العميد الركن (عبد الغني الراوي) ممثلاً لرئيس الجمهورية (عبد الرحمن محمد عارف) ونواب رئيس الوزراء وعدد من الوزراء وكبار المسؤولين في الدولة ورجال السلك الدبلوماسي. واتسم الحفل بالهجوم والتعنيف للسلطة والسياسة القائمة، فأثار هذا الموقف الدوائر الاستعمارية المشرفة على تخطيط السياسة في العراق.

وشعر الإنكليز بصفارة الإنذار، وصدر عقيب الاحتفال تصريح ينذر بالخطر.

فقد التقى احد السياسيين المعروفين بولائهم للإنكليز بشخص، ونقل هذا الشخص التصريح للشهيد (عدنان سلمان) احد كوادر حزب الدعوة الإسلامية، والذي كان مفاده (إن التيار الإسلامي أصبح خطراً في العراق وان هذه الجماعة ستضرب بعنف، ثم علق السياسي: إن المخابرات البريطانية ستضربكم، فقد أصبحتم أقوياء تخوّفون).

بالجريدة امراً ميسوراً ، فاتفقوا مع شخص كان يمتلك امتيازاً على ان يستأجروا جريدته لتصبح جريدة جماعة علماء بغداد والكاظمية.

ولكنهم – في اللحظة الأخيرة – علموا ان هذا الشخص مرتبط بدوائر الأمن العراقية، فتركوا المحاولة.

***

ان جماعة علماء بغداد والكاظمية كانوا بمثابة اللجنة السياسية للمرجعية.

فالمرجعية في النجف الاشرف والتي كانت متمثلة بالسيد محسن الحكيم رحمه الله لم تكن متفرغة للنظر في شؤون السياسة التفصيلية لان مهام المرجعية كبيرة جداً ومتشعبة.

وإذا علمنا ان المرجعية الشيعية هي المرجع الأعلى لشؤون الشيعة في كل مكان، ليس في العراق فحسب ، وان كانت تتخذ من النجف مركزاً تأريخياً لها ، ولكن الشيعة ينتشرون في بقاع متعددة من العالم، في إيران وأفغانستان وباكستان والهند وتركيا ودول الخليج ولبنان وأوربا وأمريكا واستراليا وأفريقيا ، وكل أولئك لهم مسائل شرعية وقضايا ومشاكل متعددة يحتاجون فيها إلى رأي المرجع.

وإذا قلنا ان الشيعة يتصلون بمرجعهم ، فان عمـوم المـسلمين ايضاً في كثير من قضاياهم يرجعون إليه كذلك ، والمرجع نفسه واسع الاهتمام بشؤون المسلمين في كل مكان.

وبناء على ذلك فان المرجع لا يـستطيع ان يحـصر اهتمامـه بالقضايا السياسية العراقية ، وإنما يحيلها إلى من يتعهدها ويتولاها.

وقد كانت (جماعة علماء بغداد والكاظمية) تتولى ذلك.

***

مذكرة علماء بغداد إلى رئيس الجمهورية

وكان اللولب المحرك لـ(جماعة علماء بغداد والكاظمية) هم مجموعة الدعاة (السيد مرتضى العسكري والسيد مهدي الحكيم ، وكانا من مؤسسي حزب الدعوة الإسلامية ، والسيد إسماعيل الصدر) .

وكان للسيد مهدي تأثيره في غيره من العلماء باعتباره نجل المرجع السيد محسن الحكيم ، كما كان السيد العسكري هو العقل المفكر وصاحب التأثير القوي على المرجع الحكيم نفسه ، نظراً لتجاربه واخلاصه للعمل ، واحترام الناس له.

والسيد العسكري الذي هو احد مؤسسي حزب الدعوة الإسلامية، اثبت من خلال عمله كوكيل للسيد الحكيم في بغداد انه صاحب كفاءة عالية وتأثير كبير على مجموعة التجار وعلى كافة طبقات الأمة، ومنهم الشباب الواعي الذين كانوا من الدعاة ومن المقربين له.

وكان المرجع الحكيم يستشيره في الأمور الخطيرة التي تخص سياسة الدولة واتخاذ القرارات في تحديها ومواجهتها.

ولعل عمل جماعة علماء بغداد والكاظمية كان يتم هكذا :-

أولاً : اتفاق يتم بين السيد العسكري والسيد مهدي الحكيم.

ثانياً : التفاهم مع السيد إسماعيل الصدر والسيد هادي الحكيم.

ثالثاً: دعوة العلماء للحضور والتفاهم معهم.

ولم يكن العلماء يرفضون طلباً يتقدم بـه (العسكري) والسيد (مهدي) نظراً لما يتحليان به من خبرة عملية وعلاقة وثيقة بالمرجعية.

ومذكرة علماء بغداد إلى رئيس الجمهورية واحدة من تلك الجهود التي كان يقوم بها هذان القطبان في إدارة المرجعية ومطاليب الأمة والشيعة منهم بالخصوص.

أما المذكرة فهي كما يلي[1]:

بسم الله الرحمن الرحيم

(وذكّر فان الذكرى تنفع المؤمنين)

حضرة المشير الركن الحاج عبد السلام محمد عارف رئيس الجمهورية المحترم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فإنكم تعلمون جيداً ان المستعمر الكافر منذ أن غزا بلادنا الإسلامية لقي المقاومة العنيفة من امتنا المسلمة بقيادة علمائها الأعلام واستمرت هذه المقاومة حتى بعد ان اخضع البلاد عسكرياً لسلطانه الجائر. مما اضطره أخيراً للتظاهر بالنزول عند مطاليب الأمة في قيام حكومة للبلاد تتبنى الإسلام وتعمل بأحكامه ، فاعتبرتها الأمة نتيجة رائعة لجهادها الطويل الصابر ، وانجلت الحقيقة المرة ، وأسفر الصبح لذي عينين ، وتكشفت الحكومة يومذاك عن واقعها المساير للاستعمار

١- قدمت المذكرة إلى رئيس الجمهورية عبد السلام محمد عارف بتاريخ ١٨ رمضان ١٣٨٣هـ المصادف ١٩٦٤/٢/٢

البغيض ، ومحققة لأهدافه في تفريق كلمة المسلمين ، وإثارة الخلافات والحزازات في صفوف الأمة وضرب بعضها ببعض ، وإبعادها من مبادئها وعقيدتها ، وعزل الإسلام عن كل مجالات الحياة وفرض القوانين المستوردة والتشريعات الوضعية الجائرة على شعب يدين بالإسلام عقيدة ونظاماً ولا يبغي به بديلاً ، وبذلك ضَمِن الكافر البقاء لنفسه وراء الحاكمين من عملائه.

وعادت الأمة إلى جهادها مرة أخرى ، وقاومت تلك الحكومات وتشريعاتها المخالفة للشريعة المقدسة ، وحدثت الهوة السحيقة التي فصلت الحكومة عن الرعية وتركتها بمعزل عنها مما أوجب لها الاضطراب الدائم والقلق المستمر..

وكانت الحكومة – يومذاك – متناسية مركز العراق القيادي للأمة الإسلامية والمرجعية العليا في الجامعة الكبرى في النجف الاشرف، والتي يستمدّ منها العالم الإسلامي أحكامه ومعارفه وإرشاده وتوجيهه، بواسطة علمائه الأعلام المتخرجين من تلك الجامعة الكبرى.

وتعاقبت الحكومات متتالية، وكلها تتسم بطابع تقليدي واحد، وهو الاستبداد الطاغي والإرهاب المريع ، والحكم بغير ما انزل الله سبحانه وتعالى (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الفاسقون).

ولم يترك العلماء الأعلام ومن ورائهم الأمة مقاومتهم الصامدة للحكومات في مختلف العهود، وفي شتى المناسبات، مما سجله تاريخ الجهاد الإسلامي بأحرف من نور.

ثم جاء الرابع عشر من تموز [1] وظنت الأمة فيه تحقيقاً لآمالها العذاب على أولئك (الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصبّ عليهم ربك سوط عذاب إنّ ربّكَ لبالمرصاد).

ولكن سرعان ما بدت الحقيقة مريرة مؤلمة كالحة، يوم استبد بالحكم طاغية تلاعب بشريعة الله سبحانه ، وأجهز على آخر ما تبقّى للإسلام من أحكام في حياة المسلمين ، بتشريع قانون للأحوال الشخصية، الذي يخالف القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وفسح المجال لشذّاذ الأرض وزمر الضلال [2] فمزقت كلمة الأمة وشتت جمعها وبعثرت طاقاتها ، ومرت الأيام عصيبة مروعة تحمل في طياتها المجازر الوحشية القاسية والإرهاب المدمر الدامي ، حتى إذا برح الخفاء وانقطع الرجاء ، دوّت في مسمع الدهر فتوى الإمام الحكيم (الشيوعية كفر وإلحاد) فانهزم الجمع وولّوا الدبر ، وتفرّى الليل عن صبحه وأسفر الحق عن وجهه ، ونطق زعيم الدين ، وخرست شقائق الشياطين ، وطاح وسيط النفاق وانحلت عقدة الكفر والشقاق.

فاستفاقت الأمة من سباتها لتستطلع إلى تباشير الخلاص، تبدو في الأفق القريب مشيرة إلى نهاية الظلم ومصرع الطغيان.

١- الثورة التي قام بها عبد الكريم قاسم في ١٤ تموز ١٩٥٨.
٢- المقصود بهم الشيوعيون.

ودقت ساعة الصفر وكان اليوم الرابع عشر من شهر رمضان[1].

فاستقبلته الأمة متسائلة عن المستقبل الغامض ، حتى إذا مــرت أيام معدودة ، وإذا بالشيطان يطلع رأسه من مغرســه هاتفــاً بأتباعــه وأنصاره ، فألفاهم لدعوته مستجيبين وللغرة ملاحظين ، وليشهد العراق هدر الكرامات واستباحة المحرمات والتنكر لمبادئ الأمــة الإســلامية ومقدساتها, كل ذلك على أيدي الفئة الضالة المنحرفة[2] وتلجأ الأمة إلــى علمائها الذين أعلنوا بدورهم سخطهم وتنكرهم للوضع القائم ، وطــالبوا بصراحة وشجاعة بالضرب على أيدي الطغاة الصغار.

والآن وبعد اليوم الثامن عشر من تشرين الثاني[3] وقد شــرعت الحكومة في وضع دستور للبلاد فان الأمة جاءت تطــالبكم ان تحققــوا آمالها التي بذلت في سبيلها الكثير من جهودها وجهادها ، وان تعيــدوا لها مجدها وعزتها ، باستئناف الحياة الإسلامية الكريمة في ظل رايــة القرآن الكريم وأحكام الشريعة المقدسة وإشاعة العــدل فــي ربوعهــا وإعطاء كل ذي حق حقه ، وذلك بتحقيق المطالب التالية:-

١- إلغاء قانون الأحوال الشخصية، وإعادة المحاكم الشرعية، ليتاح للمسلمين مزاولة أحكامهم الشرعية وفق مذاهبهم، هذا مع العلم

١- الثورة التي قام بها عبد السلام عارف في ٨ شباط ١٩٦٣ ومعه زمرة البعثيين على عبد الكريم قاسم وأطاحوا به.

٢-المقصود بهم البعثيون الذين جاءوا بعد عبدالكريم قاسم حلفاء لعبد السلام عارف

٣-في١٨تشرين الثاني ١٩٦٣ قام عبد السلام بثورة ضد حلفائه البعثيين.

إننا ما سمعنا بمثل هذا الإجراء مع الطوائف الأخرى غير الإسلامية في مجالسها الروحانية.

٢- مراعاة شعور الأمة في وضع الدستور والعمل على إخراجه بصورة لا تتنافى مع أحكام القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، التي لا يدين المسلمون بغيرها ولا يرتضون بها بديلاً,وتشريع مادة في الدستور تنصّ على عدم جواز وضع أي قانون يخالف الأحكام الإسلامية ، وبذلك تزيلون الفجوة السحيقة التي سببت فصل الأمة عن حكامها السابقين الذين فرضوا على الأمة قوانين لا تؤمن بها ولا تلتزم بشرعيتها (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون).

٣- إشاعة العدل والمساواة بين أبناء الأمة وعدم التمييز بينهم في مختلف المجالات لتمحو آثار الكافر الغازي ولتضمنوا بذلك وحدة الكلمة وإشاعة الأمن والاستقرار في بلادنا الحبيبة.

(ياايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا ، اعدلوا هو اقرب للتقوى)

٤- مكافحة التفسخ الخلقي الذي عمل المستعمر الكافر على إيجاده وتوسيعه في مناهج الإذاعة والتلفزيون ، والخمور وأشباهها ليقضوا بذلك على وسائل هدم كيان الأمة الاجتماعي (ذلك بان الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم).

٥- تعديل مناهج التعليم ووسائل التربية والتوجيه بشتى أنواعها ومختلف مجالاتها، وتوجيهها توجيهاً سليماً لتكون أدوات فعالة لنشر المعارف الحقة في المجتمع والحث على التحلي بالخلق الإسلامي الكريم والعمل لإنشاء جيل مسلم صالح في البلاد (ياايها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة).

هذه هي مطاليب امتنا الإسلامية التي اقتضت الحاجة عرضها عليكم، وهي منبثقة من صميم عقيدتها وإيمانها، والتي فرض الله تعالى عليكم السعي في تحقيقها والعمل على إنجازها (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)

(قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة انا ومن اتبعني)

وختاماً نرفع اكف الضراعة إلى الله سبحانه مبتهلين إليه بقولنا:

(اللهم انا نرغب إليك في دولة كريمة تعز بها الإسلام وأهله وتذل بها النفاق وأهله وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك والقادة إلى سبيلك وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة)

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

السيد احمد الهندي ، السيد إسماعيل الصدر ، الشيخ جعفر الساعدي السيد جعفر شبر ، السيد حسن الحيدري ، السيد حسين العلاق ، السيد صادق السيد جواد الموسوي ، السيد صادق الموسوي الهندي ، السيد عباس الحيدري ، الشيخ عبد الحسين الخالصي ، السيد عبد المطلب

الحيدري ، السيد علي الحيدري ، الشيخ علي الصغير ، السيد محسن الموسوي ، السيد محمد الحيدري ، الشيخ محمد حسن آل ياسين ، الشيخ محمد حيدر ، الشيخ محمد الشيخ صادق الخالصي ، السيد محمد طاهر الموسوي، السيد محمد علي الأعرجي ، السيد محمد مهدي الحكيم,السيد مرتضى العسكري ، الشيخ موسى السوداني ، السيد مهدي الصدر، الشيخ مهدي النمدي الكاظمي الشيخ نجم الدين العسكري، السيد هاشم الحيدري ، السيد هادي الحكيم[1] .

* * *

١- يلاحظ في هذا الحشد من الأسماء , أنها متنافرة في الأذواق والاتجاهات الاجتماعية والسياسية , فإن بعضهم كان لا يزال يرى سلامة الرأي تكمن في الابتعاد عن القضايا السياسية , وبعضهم عندما وضع أسمه مع الآخرين قال (أوصيكم بأولادي خيراً) .
ولكن التيار القوي الذي كان يحركه (داينمو) الدعوة (السيد إسماعيل الصدر والسيد مرتضى العسكري والسيد مهدي الحكيم) كان من القوة بحيث لا بد أن يسير باتجاهه كل أولئك , الذين وجدوا أنفسهم ـ بعد حين ـ من حيث يرضون أو لا يرضون أنهم أصبحوا في مواجهة السلطة التي قد تحتمل العناء والتعب .

زيارة رئيس الوزراء
لسماحة الإمام السيد الحكيم

وعلى عادة الحكام الظالمين فإنهم ربما يتظاهرون بالتقرب إلى أهل الدين وعلمائهم أو يقومون بأعمال تبدو ــ للبسطاء ــ وكأنهم متدينون .

ومن أولئك رئيس الجمهورية عبد السلام عارف فإنه بعدما تسلم مذكرة علماء بغداد والكاظمية ، والتي قدمت على أساس إنها تحوي مطالب المرجعية العليا في النجف ، والتي كانت تتمثل في السيد الحكيم – رحمه الله –.

أرسل وفداً إلى السيد الحكيم بتاريخ ١٩٦٤/٣/١٩ برئاسة رئيس الوزراء طاهر يحيى وبصحبته عدد من الوزراء، وهم السيد حسن الدجيلي وزير المواصلات،والدكتور شامل السامرائي وزير الصحة والدكتور عبد الصاحب علوان وزير الإصلاح الزراعي والدكتور عبد الكريم هاني وزير العمل والشؤون الاجتماعية والسيدعبد الكريم كنونة وزير الصناعة والسيد عبد الفتاح الآلوسي وزير الأشغال والإسكان وعدد من المدراء العامّين والسيد كاظم الروّاف متصرف لواء كربلاء والسيد صلاح الدين النقيب قائممقام قضاء النجف ومدير شرطة الأقضية وعدد من مسؤولي الادارة واللواء , ليمتص نقمة المرجعية.

واستمع الوفد إلى السيد الحكيم الذي كانت مطالبه كما يلي:-

١- إلغاء قانون الأحوال الشخصية الذي لا يمتّ إلى الدين بصلة.

٢- إلغاء الطائفية التي تشكل اكبر خطر على العراق في الوقت الذي يجب ان يعيش فيه الشعب العراقي بعيداً عن هذه الاختلافات والحزازات.

٣- منع الخمور وإلحاقها بالقمار الذي منعته الدولة قبل أيام وكشف مخاطره ونتائجه.

٤- إيصاء الحكام بوجوب التثبت والتروي في إصدار الأحكام وعدم التسرع فيها ومعاملة الناس بالعدل والإحسان، وتحقيق جميع المطاليب المشروعة التي يقدمها أبناء الأمة على اختلاف مذاهبهم وعقائدهم.

***

ولكن لم يتحقق من تلك المطالب إلا إلغاء قانون الأحوال الشخصية لأنه كان حدّاً فاصلاً بين المرجعية وبين عبد الكريم قاسم ، ولعل عبد السلام عارف نفسه لم يكن راضياً عن خطوة عبد الكريم قاسم في قانون الأحوال الشخصية ذاته ، لأنه كان يتشدّق بشيء من التدين إضافة إلى انه كان مسجوناً من قبل عبد الكريم قاسم عندما سنّ القانون.

***

المرجعية تقول رأيها في الاشتراكية

في ١٤ تموز ١٩٦٤ أيام حكم عبد السلام عارف ، وحيث كان (طاهر يحيى) رئيساً للوزراء ، أعطى الراديو إشارات إلى ان هناك بياناً مهماً وبشرى سارة سوف تذاع على الشعب العراقي.

وكرّر هذه الإشارات عدة مرات ، ثم أذاع البشرى ، والتي كانت في الواقع نذير شؤم وليست بشرى خير.

فقد أعلن رئيس الوزراء بنفسه، ان الحكومة اتخذت قراراً بتطبيق (الاشتراكية) في البلاد، وكأنها تقليد لما كان موجوداً في مصر على عهد جمال عبد الناصر.

والاشتراكية التي طبقت في مصر ، أو تلك التي كانت في العراق منذ أيام عبد السلام عارف حتى عهد البعثيين الذين رفعوا شعار (الوحدة والحرية والاشتراكية) لم يكن المقصود منها الاشتراكية حقيقة بقدر ما هو مقصود منها التخريب وإلهاء الناس والتمسك ببعض الشعارات لإخفاء الاتجاهات الحقيقية للمتربعين على دست الحكم.

وقد أثار هذا النبأ في الناس تخوفاً من العاقبة التي ستعم البلاد فهم يعلمون ان الاشتراكية سوف تجلب لهم الدمار والخراب ، خصوصاً وهم قد سمعوا باشتراكية جمال عبد الناصر التي جوّعت الناس وأفقرتهم.

فالتاجر تخوّف على تجارته التي سوف تصبح بيد الدولة.

وصاحب الأملاك خشي ان تسيطر الدولة على ما زاد عن مقدار حاجته ، والموظف حَسِبَ أن مواد الإعاشة سوف تكون غالية الثمن وبالتالي فان راتبه سوف لا يسدُّ احتياجاته.

والعلماء – بدورهم – رفضوا هذه الاشتراكية أيضاً ، لمخالفتها للشريعة.

وحزب الدعوة الإسلامية لا بد أن يستثمر كل حدث لصالح الإسلام، خصوصاً إذا كان يثير جماهير الأمة ويمسّ حياتهم العامة.

وفكرة الاشتراكية، فكرة جديدة على البلاد ، وكل الناس قد سمعوا بويلاتها ، وقد أثارتهم جميعاً وبكل طبقاتهم وأصنافهم.

وحيث أن الحزب يسعى لإقامة حكم الله ونبذ حكم الطاغوت فلا بد من تحطيم جهود الضلال والتخريب ، وكان الناس كلهم قد رفضوا الاشتراكية ، وأصبح الحديث عن ذلك على أفواه الجميع، وليس حديثاً خاصاً للحزب يُتكتم عليه.

فلذلك فان الحزب استطاع ان يعّمق فكرة الرفض للاشتراكية الجديدة ، وعمل على استثارة الأمة.

وأعلن في النجف ان المرجع المرحوم السيد محسن الحكيم يدعو الجماهير إلى استماع كلمته في رفض الاشتراكية في اجتماع يعقد لهذا الغرض في يوم محدد في الصحن الشريف بالنجف .

وسرت أنباء الدعوة إلى الاجتماع في أوساط الأمة بسرعة ولقيت تجاوباً من كافة الطبقات لسببين:

١- لأن هذا الاجتماع يعتبر تحدياً للسلطة.

٢- ولأنهم – ولأول مرة في تأريخهم المنظور – يسمعون بمرجع يريد ان يتكلم مع الأمة ، إذ أنهم ما اعتادوا على ذلك .

أما الآن فان مرجعاً كبيراً هو(السيد محسن الحكيم) يريد ان يتكلم، فأسرعوا للاستجابة.

وكان لحزب الدعوة الإسلامية دور بارز في ذلك , فقد وزع الدعاة البرقيات المرفوعة من العلماء إلى عبد السلام محمد عارف استنكاراً للإشتراكية , وكذلك دعوا إلى غلق أسواق ومحلات النجف في ذلك اليوم [١]

وحضر بعض الدعاة أيضاً ، كنت أنا وعبد الصاحب ادخيل في سيارة واحدة وفي النجف في مدخلها كان جلاوزة السلطة يحاولون أن يفشلوا الاجتماع وتعرّضوا لكل من يأتي من خارج النجف لهذا الغرض، وكان بعضهم قد تعرض لسيارتنا.وحصلت بيننا وبينهم مشادة، كادت أن تصل إلى الضرب بالأيدي.

١- ولكن السلطة انتقمت ــ بعد ذلك ــ من أولئك النشطاء فنقلت بعض المعلمين الدعاة إلى خارج النجف , كان منهم مجيد سعيد غايب وعبد الحسين البقال , كما سحبت رخصة الإقامة الممنوحة للشيخ محسن الفضلي (والد الشيخ عبد الهادي الفضلي) الذي كان يحمل الجنسية السعودية , فلقد كان له دور نشيط في الاستنكار

وامتلأ الصحن الشريف بكافة طبقات الناس وانتظروا ساعة الصفر التي سوف يرقى المنبر فيها السيد الحكيم رحمه الله ليتكلم مع الأمة ويعرب عن رأيه في الاشتراكية التي دعت إليها الدولة حديثاً.ولكنهم استغربوا وشعروا بالخيبة ، فان السيد الحكيم لم يصعد المنبر ، وإنما أناب نجله السيد (مهدي) ليقرأ كلمة والده ، التي كان قد كتبها الشهيد السيد (محمد باقر الصدر) رحمه الله.

والكلمة – وان كانت صريحة في رأي الإسلام بهذا الصدد ، ولكن الناس كانوا يتوقعونها من مرجعهم مباشرة.

***

نكسة حزيران ١٩٦٧
ونشاط جماعة علماء بغداد والكاظمية

يوم وقع الاعتداء الإسرائيلي الغاشم على الأراضي الفلسطينية والقدس منها خاصة , كان لعلماء بغداد والكاظمية نشاط دائب .

فقد أصدروا عدة بيانات :

إلى المسلمين في كل مكان (نداءين)

وإلى رئيس الجمهورية العراقية

وإلى يوثانت سكرتير الأمم المتحدة

وإلى عدد من ملوك ورؤساء الدول الإسلامية

كما أقامت احتفالاً ضخماً بالمناسبة في جامع براثا من بغداد [١] .

***

١- ومن الجدير بالذكر , فإن علماء بغداد والكاظمية عندما أقاموا احتفالهم في جامع براثا كانت هناك قصيدة للشيخ محمد الصغير تهجم على الحكام العرب ومنهم حكام العراق فاعتقلته الأجهزة الأمنية وخرجت المظاهرات تطالب بإطلاق سراحه , فكان هناك بعض المندسين بين المتظاهرين يطلقون شعارات مثيرة ضد السلطة , مثل شعار (ماكو ولي إلاّ علي ونريد قائد جعفري) .
وشعار (سيد محسن قائدنا والنجف عاصمتنا) وهذه الشعارات لم يكن يطلقها المتظاهرون وإنما كان يقوم بها البعثيون لخلط الحسابات حيث كانوا يهيئون للإنقلاب على عبد الرحمن عارف .
كما قاموا بإنزال الصور الرمزية للأئمة عليهم السلام وكأن المتظاهرين هم الذين أنزلوها , لنفس الغرض الدنيء ليثيروا السلطة حول تلك الشعارات وليثيروا الناس حول عملية رفع الصور .

وفي نفس السياق الذي كان نشاط حزب الدعوة الإسلامية قوياً في مكتبات الإمام الحكيم وجماعة العلماء في النجف ومواكب الطلبة فإن الحزب ضاعف جهده في (جماعة علماء بغداد والكاظمية) .

وكان الحزب يستثمر كل فرصة يستطيع أن يُسمع صوته الإسلامي فيها إلى العراقيين خاصة وإلى العالم أجمع .

وعندما شنت إسرائيل حربها الظالمة في ٥ حزيران ١٩٦٧ على فلسطين واحتلت بيت المقدس أصدرت هذا البيان إلى المسلمين في كل مكان , جاء فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها المسلمون

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد فقد قال الله تعالى في كتابه المجيد (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) صدق الله العظيم

أيها المسلمون

ما زال اليهود منذ أيام الإسلام الأولى وحتى يومنا هذا يمثلون العدو الألد للإسلام والمسلمين , فهم لم يدعوا فرصة تمرّ بهم دون أن ينتهزوها للنيل من كرامة الإسلام ومقدساته .

وما مواقفهم المخزية أيام الرسول الأعظم (ص) وحربهم لله ورسوله ببعيدة عن أذهان الأمة الإسلامية .

ولقد كان آخر حلقة في سلسلة اعتداءاتهم وجرائمهم اغتصابهم للأرض الإسلامية المقدسة (فلسطين) بمناصرة المشركين والمستعمرين وإقامة ما يسمى بإسرائيل عليها تلك العصابة التي صارت منطلقاً للإعتداءات الأثيمة على بلاد المسلمين ومركزاً للتهديدات المستمرة لسيادتهم وكيانهم .

والآن ونحن نعيش الأزمة الحاضرة التي خلقتها إسرائيل ومن ورائها من أعداء الإسلام , نوجه نداءنا إلى المسلمين عامة وإلى الملوك ورؤساء البلاد الإسلامية خاصة بأن يرصّوا صفوفهم ويجمعوا كلمتهم ويستجيبوا لأمر الله تعالى في قوله (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) وأن يتركوا خلافاتهم ويجمعوا أمرهم ويعدّوا ما أستطاعوا من قوة لردّ العدوان الإسرائيلي الكافر وإنقاذ الأرض الإسلامية المقدسة من أيدي المغتصبين الغزاة لترفرف عليها مرة أخرى راية الإسلام الظافرة بإذن الله تعالى .

(وما النصر إلاّ من عند الله)

(ولينصرنّ الله من ينصره)

(ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير)

والله الموفق

علماء بغداد والكاظمية

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد رئيس الجمهورية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فقد كان للمبادرة الرائعة التي أمسكت بزمامها الحكومة العراقية الموقرة باتخاذ الإجراءات الحازمة إتجاه العدوان الغادر , الأثر الكبير في نفوس المسلمين قاطبة على اختلاف ديارهم وأمصارهم والتي كان من أبرزها المواجهة الاقتصادية والسياسة الثقافية للدول الاستعمارية الكافرة التي وقفت من وراء العدوان الإسرائيلي الغادر على البلاد الإسلامية والديار المقدسة , والتي كان من نتائجها غلق المعاهد الثقافية التابعة لتلك الدول التي ساعدت على ترسيخ المفاهيم الاستعمارية والأفكار الأجنبية والتي كانت عاملاً مهماً في إبعاد الأمة عن عقيدتها الدينية وآدابها الإسلامية .

وإننا في الوقت الذي نرحب فيه بتلك الخطوات المتخذة في محاربة المستعمرين نود أن نلفت أنظار المسؤولين إلى وجود بعض المراكز الثقافية ذات العلاقات الوثيقة بالجهات الاستعمارية وفي مقدمتها جامعة الحكمة وكلية بغداد الأمريكيتين وغيرهما من المؤسسات الأخرى المرتبطة بشكل مباشر أو غير مباشر بالجهات الأجنبية الاستعمارية لذلك نرى أن على المسؤولين وقد اتجهوا إلى تحرير البلد من آثار الاستعمار فكرياً واقتصادياً اتخاذ الخطوات الحاسمة بالنسبة لهذه المؤسسات والسيطرة عليها وإلحاقها بجامعة بغداد ووزارة التربية

وبذلك تسدون يداً بيضاء إلى الأمة والوطن وتخلصون ناشئتنا وأفلاذ أكبادنا من آثار التربية الاستعمارية الهادفة وتسدون باباً واسعاً من أبواب النفوذ الأجنبي المستعمر .

والله سبحانه ولي المعونة والسداد والتوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

علماء بغداد والكاظمية

البيان الثاني إلى المسلمين كافة

أيها المسلمون

أن الموقف العصيب الذي تمر به امتنا الإسلامية تجاه قضية فلسطين يجعل المواطنين جميعاً أمام مسؤوليات كبيرة لا بدّ لهم أن ينهضوا بأعبائها ويصبروا على نتائجها ويتحملوا بمزيد من الشجاعة والروح الإسلامية ليتغلبوا على صعوبات الموقف ومضايقاته ويكسبوا المعركة لصالح الإسلام .

وعلى هذا الأساس نوجه نداءنا هذا إلى الجمهور الكريم راجين منه الاتزان في السلوك وعدم التظاهر بالهلع عن طريق التسابق على شراء المؤن كما نرجوا من التجار الكرام توفير السلع في السوق والترفع عن أية محاولة من محاولات الاحتكار والتلاعب بالأثمان لأن

كل ذلك مما يتنافى مع المصلحة العليا ومتطلبات الموقف الإسلامي الذي يحتم على المسلمين جميعاً التعاون لتحقيق الهدف الكبير والانتصار الحاسم على أعداء الإسلام كما نأمل من المؤسسة العامة للتجارة ومصلحة المبايعات الحكومية أن تزيد في تموين جميع المخازن الكبيرة والصغيرة بالمؤن الغذائية وغيرها مع إجراء كافة التسهيلات ليتم التعاون بين المصلحة وأبناء الوطن العزيز

والله الموفق المعين

علماء بغداد والكاظمية

المستر يوثانت سكرتير عام الأمم المتحدة ــ نيويورك .

إن هيئة الأمم المتحدة في جلستها التأريخية , تتعرض لامتحان حاسم أمام العالم اجمع ومئات الملايين من المسلمين الذين يتطلعون إلى موقفها من جريمة من أعظم الجرائم التي شهدها تاريخ الإنسان الحديث وهي جريمة الكيان الصهيوني الغادر الذي قام منذ البدء على الاعتداء والاغتصاب ومارس من جديد في الأمس القريب اعتداءه الصارخ على أرضنا المقدسة وأهدر كل القيم والمثل والكرامات .

فعلى الأمم المتحدة أن تدرك مسؤوليتها الضخمة وتقف الموقف الحاسم الذي تحتمه قيم العدالة والحق ضد الاعتداء الصهيوني واغتصابه لكي تثبت بذلك إحساسها الحقيقي برسالتها الدولية , وتقدم إلى العالم مبرر وجودها على المسرح السياسي .

والأمة بكاملها وفي طليعتها علماء الإسلام إذ يجندون في هذه اللحظة الخطيرة كل الامكانات والطاقات لاسترداد الحق المغتصب واستعادة الكرامة المهدورة , ينتظرون من قرارات هيئة الأمم المتحدة بهذا الشأن أن تضع نهاية حاسمة للمأساة الفظيعة التي مثلها الصهاينة بكل وقاحة وتعدٍّ للقيم والمثل على مرأئ ومسمع من العالم أجمع .

(إنّ الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها , وإن حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إنّ الله نعمّا يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً) .

علماء الدين الإسلامي

في بغداد والكاظمية

علاقة حزب الدعوة بالحركات الإسلامية

ينطلق حزبنا في تحديد علاقاته بالحركات الإسلامية من الأسس التالية:

١- إن العمل السياسي والاجتماعي الهادف يقع تحت تأثير عاملين رئيسيين هما:

العامل الأول: هو فهم المبدأ أو الأفكار المتبناة والالتزام بها.

العامل الثاني: هو فهم الواقع الذي يشتمل على فهم تعقيدات مشاكل المجتمع والتعقيدات في العلاقات الدولية.

٢- إن امتنا الإسلامية تعيش في مرحلة حضارية انتقالية من حالة الركود والاستسلام إلى حالة الحركة والمقاومة للاستعمار والتخلف ، وفي مثل هذه الحالة الحضارية يتنامى عدد المستيقظين والمفكرين والعاملين في بلاد المسلمين.

٣- إن تعدد الأحزاب الإسلامية... ينتج عنه بعض الاختلاف بين الأحزاب في المجالات الفكرية والتنظيمية والتربية الحزبية، إلاّ أنّ نقاط الالتقاء تبقى كثيرة جوهرية ، ومن هذه النظرة يرسم حزبنا خطه العملي المناسب الذي يتمسك به في علاقته مع

الأحزاب الإسلامية ، والذي يقوم على :

أ- يعتبر حزب الدعوة الإسلامية طريقته في العمل هو الخط المناسب ويتمسك به ما لم يثبت ان هناك خطاً أفضل منه.

ب- يفترض حزبنا حسن القصد في كل تنظيم إسلامي ما لم يثبت العكس.

ج- يتمسك حزبنا بقاعدة (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) وذلك كما يلي:-

١- التفتيش عن نقاط الالتقاء (وهي كثيرة) مع المنظمات الإسلامية، واتخاذ مواقف عملية مناسبة إزاءها ، والتعرف على نقاط الخلاف دون ترتيب أي اثر على ذلك ما لم يمس ذلك الشريعة الإسلامية أو المصالح الإسلامية العليا أو مصالح حزبنا.

٢- يحاول حزبنا – بجدّية – ان يتعرف على كافة التنظيمات الإسلامية ، وبطريقة فردية في المرحلة السرية من عمله.

٣- يتعاون حزب الدعوة الإسلامية مع الحركات الإسلامية عن الطريق الحزبي أو على شكل فردي في المجالات العملية الملائمة المتاحة.

د- يعتبر حزب الدعوة الإسلامية نفسه جزءً من الحركة الإسلامية العامة التي تكونها جميع التنظيمات والأحزاب والنشاطات الإسلامية.

وانطلاقاً مما سبق ، تعاونت الدعوة مع كثير من الحركات والأحزاب والمنظمات والفئات الإسلامية مساهمة فعّالة حيناً، وبقدر ما تسمح به الظروف ومشاكل الدعوة الداخلية حيناً آخر.

فتعاونت مع حركة التحرير الأريترية – فرع العراق – في تعريفهم وتوثيقهم لدى الأوساط الدينية في العراق.

كما تعاونت مع الجماعة الإسلامية في باكستان في مجال تبادل وجهات النظر ، ومناقشة القضايا الإسلامية ، خصوصاً مع رئيسها الشيخ (أبو الأعلى المودودي).

وفي محنة (الإخوان المسلمين) وقفت الدعوة إلى جنب القضية الإسلامية في مصر، وهيّأت الساحة العراقية لاستنكار الحملة الإعلامية وحملة الاعتقالات والإبادة الظالمة لحركة الإخوان المسلمين ، وبعث المرجع الحكيم والشيخ مرتضى آل ياسين وآخرون برقيات إستنكار إلى جمال عبد الناصر حول إعدام سيد قطب وانهالت البرقيات بتوجيه من الدعوة الإسلامية على الحكومة المصرية مطالبة بالإفراج عن معتقلي الإخوان المسلمين ومنهم سيد قطب .

كما ان الدعوة الإسلامية قامت بحملة إعلامية مشتركة في العالم الإسلامي لتعريف أبنائه بالأبعاد الحقيقية للقضية الفلسطينية وإخراج القضية من حيّز القومية وإدخالها في الإطار الإسلامي العام.

وتحقيقاً لهذا الغرض , أرسلت الدعوة الإسلامية وفداً[1] للتوعية إلى بعض الأقطار الإسلامية بالمشاركة مع أعضاء من الحركات الإسلامية

ولم تنصرف الدعوة لإطارها الحزبي الخاص فقط , وإنما كان العالم بكافة أحزابه وطوائفه وشعوبه محط اهتمامها.

وبخصوص القضية الفلسطينية , ففي عام ١٩٦٧ , بعد نكسة حزيران رتبّنا لقاءً (لمنظمة فتح) مع المرجع السيد الحكيم , وأخذ الدعاة بعد ذلك يستفتونه حول جواز إعطاء الحقوق الشرعية لمنظمة فتح وحول الاشتراك في عمليات فدائية ضد الكيان الصهيوني .

وسمح الإمام الحكيم للدعاة بالتدرب على السلاح في معسكرات (منظمة فتح) في بعض الدول العربية .

وكانت تلك فرصة مناسبة تتيح للحزب امتلاك قدرة ميدانية في الجانب العسكري .

واستمراراً للعلاقات مع (منظمة فتح) اتصل مندوبون عن منظمة فتح بكلية أصول الدين واجتمعوا بعميدها السيد مرتضى العسكري وجرت في هذا الاجتماع أحاديث هامة حول العمل الفدائي الذي تقوده فتح وضرورة ربطه بالأمة وربط الأمة به والوسائل التي يمكن أن تسلك في هذا السبيل .

١- موضوع الوفد مذكور في ص٣٧٩ من هذا الكتاب

وقد نصح السيد العسكري مندوبي فتح في سبيل كسب الأمة بدعم علاقاتهم بالمراجع الدينية وتحصيل تأييدهم , وبارك لهم التفاتتهم في الاتصال بمرجع الأمة السيد الحكيم وما نتج عنه من الفتوى المباركة .

وفي اليوم الثاني اتصلوا بالسيد عدنان البكاء والسيد داود العطار كما حضر بعض الأساتذة الآخرين , وتحدث مندبو فتح عن العمل الذي تنهض به منظمتهم .

وتحدث لهم السيد عدنان البكاء والسيد داود العطار عن زيارتهما للعالم الإسلامي وما لمسوه من حماس منقطع النظير لقضية تحرير فلسطين لدى عموم المسلمين .

أما علاقتنا بالأحزاب غير الإسلامية فإنها مبنية على الاعتبارات التالية:-

١- إن غياب الفكر المبلور والنشاط الإسلامي الفعال على الساحة السياسية في الأقاليم الإسلامية، وخاصة عدم ظهور الرأي الإسلامي الواضح أزاء المشاكل السياسية والاقتصادية المعاشة... جعل المتحسسين بالمظالم الاجتماعية يتقبلون الفكر السياسي والمناهج الحزبية المادية الأخرى.

٢- ان إحدى المهمات الكبرى التي قام بها الاستعمار الثقافي للعالم الإسلامي هي تشويه صورة الإسلام بنظر المسلمين وتحسين صورة العمل السياسي على غير أسس الإسلام، وقد

شجع الاستعمار هذه الأنواع من التحرك السياسي بأساليب شتى وخبيثة.

٣- الروابط الإقليمية والروابط العرقية وضعت في أطر سياسية براقة مثل الاستقلال والمصالح.... لجذب الناس إليها بعيداً عن الروابط الإسلامية التي كانت تربط بين الناس.

٤- نشط المثقفون بالثقافة المادية، وخاصة النصارى في تأسيس المؤسسات الحزبية والسياسية، وانجذب إليها شباب المسلمين على اعتبار ان هذه المؤسسات وسيلة لطرد المستعمرين من البلاد.

٥- إن البيئة الإسلامية التي تربّى الإنسان على كره المستعمرين كانت عاملاً من عوامل انجذاب شباب المسلمين إلى التنظيمات التي تتظاهر بأنها عدوة للمستعمرين.

٦- ان العمل الإسلامي الجاد البعيد عن عقدة اليسارية أو عقدة اليمينية أو عقدة المذهبية كفيل بعودة المسلمين إلى الإسلام، وبكشف الأعمال السياسية غير الإسلامية التي تعمل على الساحة في الأقاليم المختلفة لبلاد المسلمين.

ولقد كان أنصار عبد الكريم قاسم ينظرون إلى النشاط الإسلامي على انه نشاطٌ معادٍ، ولذلك كانت الاجتماعات الأولية للدعوة تراقب

مراقبة دقيقة من قبل الشيوعيين مما كان يسبب بعض الإحراج للمجتمعين.

وكان القوميون والبعثيون ينظرون إلى هذا النشاط نظرة الحليف الطبيعي إزاء المد الشيوعي، ولكن سرعان ما تحولت هذه النظرة إلى نظرة عدائية عندما وجدوا ان هذا النشاط ليس رد فعل للمد الشيوعي وليس سحابة صيف سرعان ما تزول بزوال السبب كما كانوا يظنون، بل هو عمل أصيل يمتلك إمكانية البقاء والاستمرار.

وحاول بعض هؤلاء بأساليب مختلفة التأثير على مسيرة الدعوة بمحاربتها في احد مواقعها الهامة[1] وبالفعل تمكنوا من زحزحة بعض القياديين عن مواقعهم بتأثيرات اجتماعية معقدة، ثم تبلور موقف الأحزاب القومية والشيوعية وحزب البعث في موقف معاد للنشاط الإسلامي الجديد.

***

أما علاقتنا بالأمة

فقد انطلق حزبنا في تحركه وسط الأمة الإسلامية من خلال وعيه للنظرية الإسلامية في عملية التغيير الاجتماعي والسياسي والتي

١- ذكرنا ذلك في موقع آخر حيث تحرك البعثيون وأرسلوا ممثلهم حسين الصافي عام ١٩٦٢ إلى المرجع الحكيم يحذره من حزب الدعوة الإسلامية.

تبدأ من تغييرها بالنفس تغييراً شاملاً وبنائها بناءً إسلامياً صحيحاً، وذلك من خلال:

١- نشر الثقافة الإسلامية الأصيلة وبناء المجتمع الإسلامي فكراً وسلوكاً وعاطفة.

٢- تحسيس الأمة بمسؤوليتها أمام الله، بحمل الأمانة والقيام بمهمة الاستخلاف في الأرض.

٣- إشاعة الوعي السياسي الإسلامي الأصيل بين الناس خارج إطار اللعبة الدولية والتزوير الاستعماري للأحداث والقضايا.

٤- الاهتمام بمشاكل الناس وحاجياتهم ومشاركتهم في علاجها وذلك بقصد :

أ- التخفيف من يأس الأمة الناجم عن تسلط عملاء الاستعمار.

ب- إخراج الناس من دائرة الاهتمامات الضيقة التي لا تتعدى الاهتمام بالشؤون الشخصية، إلى دائرة الاهتمام بقضايا المسلمين والشعور بالمسؤولية إزاء ما يعاني منه المستضعفون.

ج- تحسيس الأمة بأن خلاصها في الإسلام ، وان السبب الرئيسي فيما هي عليه من شقاء يعود إلى ابتعادها عن شريعة الله تعالى.

***

حادثة ليست ذات أهمية

في عام ١٩٦٥ – ١٩٦٦ ، كان سامي البدري وهو احد الدعاة في منطقة الكرادة الشرقية من بغداد ، يطمح أن يكون مسؤولاً لخط الجامعة.

ولكن القيادة رفضت ذلك لعدة أسباب ، لعل أهمها , القاعدة التي تقول (إن الإمارة لا تعطى لمن يطلبها).

وإذا علمنا أن العمل في حزب الدعوة الإسلامية هو عمل لله سبحانه وتعالى، وهو في جميع صوره (تكليف وليس تشريف).

فالقيادة هي التي تشخّص صلاحية الداعية لعمل ما، وربما يتمّ ذلك بناء على اقتراح مسؤول المنطقة أو مسؤول الحلقة.... الخ.

أما أن يكون المقترح هو الداعية نفسه ، يطمح إلى أن يكون مسؤولاً لمفصل من مفاصل العمل ، فهذا أمر مرفوض ، ويضع علامات الاستفهام على صاحبه.

ولكن سامي البدري بعدما رُفض طلبه ، اخذ يبدي بعض السلبيات على العمل.

في البداية بطريقة هادئة، لكنه تدّرج فيها، فأصبح يشنّ هجوماً وكأنه يريد الانتقام.

ولعل الدعوة لو انصاعت لطلبه، وجعلته مسؤولاً لخط الجامعة لما كان يبتدع تلك السلبيات التي كانت تتركز على:

١- مواكب الطلبة ، التي كان يرى عدم ضرورتها.

٢- وان الدعوة لا تهتم بالجانب الروحي في تربية الأفراد ، وعدم تطابق الخط الفكري للدعوة بكامل جوانبه مع فكر أهل البيت ـ كما يزعم ـ .

في حين ان القيادة منذ تأسست، كانت ترى أن الدعوة الإسلامية لا تستطيع أن تستوعب المسلمين جميعاً ، إذا بقيت ضمن دائرة مذهبية محدّدة، والا فما الفرق بينها وبين باقي الحركات الإسلامية التي اتجهت اتجاهاً مذهبياً معيناً؟

***

واصل البدري حربه وانتقاداته ، خصوصاً على الشهيد الشيخ عارف البصري الذي كان مسؤول البدري نفسه.

فكان البدري يقول (إن مسؤولي لا يستوعبني) ويقصد الشيخ عارف.

ثم طوّر البدري معارضته ، فكان يتخذ من احد المساجد مركزاً لشنّ هجماته على الدعوة.

وأصرّت القيادة على موقفها ، وكانت تصرفاته غير المسؤولة تعطي القيادة مبرراً في عدم تنفيذ طلبه.

فكان المرحوم الشهيد عبد الصاحب ادخيل يقول:

(ان البدري يريد ان يصل إلى القيادة ونحن لا نقبل بذلك)

وعندما يئس البدري، بدأ يصعّد في سلوكه، مما اضطر قيادة حزب الدعوة الإسلامية إلى ان تصدر قراراً بفصله من الحزب عام ١٩٦٧.

مواكب الطلبة

للمواكب الحسينية تاريخ طويل ، يعود إلى أكثر من ألف عام. والمواكب إتخذت طريقها على أنها تمثل أنصار الحسين عليه السلام حيث بعث إليه أهل الكوفة بعشرات الآلاف من الكتب يدعونه للمجيء ثم استنفرت السلطة الأموية جهودها وعيّنت عبيد الله بن زياد،الذي كان رجلاً دموياً، لا يمنعه شيء عن التنكيل بالأمة، فقتل البعض وحبس أقواماً آخرين، وهدم الدور على رؤوس الذين بعثوا برسائلهم للحسين عليه السلام، وخلق جوّاً شديد الرعب والإرهاب، واخذ الناس بالتهمة والظنة، وكان نتيجة ذلك ان تخلف أولئك عن نصرة الحسين.

والناس في تلك المواكب يخرجون وكأنهم هم أنصار الحسين عليه السلام للسير بطريقته والأخذ بثأره.

ولكنها تطوّرت قليلاً قليلاً عبر مئات السنين – شأن كل الأمور– وتخللتها أمور ليس لها مساس بالدين ، بل هي تضر بالدين وتسئ إلى الحسين.

ففي الهند يمشون على النار من اجل الحسين ، ويقومون بأعمال منافية للذوق قبل منافاتها للدين.

وفي إيران والعراق ومناطق أخرى يضربون رؤوسهم بالسيوف وظهورهم بسلاسل الحديد من اجل الحسين.

وفي إيران أيضاً يعلقون الحديد على أثدائهم في صدورهم بطريقة تدعو للتقزز وتشوّه الدين.

وتردد العلماء في استنكار هذه الأعمال خوفاً من غضب الجهلة من الناس، عدا السيد محسن الأمين العاملي – رحمه الله –

ولكن السهام وجهت إليه من كل مكان ، حتى اعتبروه أموياً، وقال احد الشعراء :-

يا راحلاً إما مررت بجلّق فابصق بوجه أمينها المتزندق [1]

***

وكانت تتعرض المواكب الحسينية وقضية الحسين عليه السلام بصورة عامة إلى مضايقات السلطات في التاريخ ، ابتداءً من الدولة العباسية ، ومروراً بالدولة العثمانية وأخيراً الحكم العراقي ، وحزب البعث بالذات.

وعندما تنفرج الأزمات ، فان المواكب تعود إلى اشد مما كانت عليه، وهكذا...

والمواكب عادةً ما تقرأ فيها القصائد و(الردّات) وهي نوع من الأناشيد المعبّرة عن مأساة الحسين.

هكذا كانت في الأساس ، وعلى مرّ الزمان ونتيجة لضغوط الدولة أو لمراعاة رغبتها خوفاً من بطشها ، كانت تتخلل تلك القصائد

١- جلّق هي الشام ، والأمين كان يسكن هناك

مضامين ليس لها علاقة بالحسين ولا مأساته، وإنما هي تأكيد لمعان تريدها الدولة لكي تجيز تلك المواكب في خروجها وإلاّ منعتها.

وكذلك فان القصائد التي كانت تلقى في تلك المواكب كانت ربما لا تتعرض لمأساة الحسين ــ عليه السلام ــ وطريقة ثورته بقدر ما تردد الشعارات التي تريدها الدولة أو القائمون عليها.

ففي عنفوان الشيوعيين في العراق ١٩٥٩ – ١٩٦١ كانت المواكب تضرب الصدور على لينين والصداقة السوفيتية، ثم بعد ذلك ضربت على عبد الناصر وأفكاره الاشتراكية.

وهي في كل وقت يتخللها شيء من هوى السلطات الحاكمة تمجّد وتمدح رئيس الدولة ونظامه ومشاريعه، وهكذا....

***

لاحظ حزب الدعوة الإسلامية هذه الحالة المزرية التي آلت إليها المواكب الحسينية، وارتأى ان يتبنى مواكب إسلامية هادفة تظهر للأمة حقيقة ثورة الحسين عليه السلام، وتعطي للأمة مفاهيم إسلامية كانت بعيدة عن أذهانهم، ولتكون تلك المواكب نموذجاً يقتدى به من كافة المواكب الأخرى، وبالتالي لكي تكون ظاهرة المواكب الهادفة هي الغالبة لتستمر سياسياً حتى تعبّر عن إرادة الأمة الحقيقية في تطبيق الأحكام الشرعية ، ورفض الظلم والحيف ومخططات الاستعمار.

كانت البداية في النجف الأشرف , حيث تبنّى الحزب مواكب حسينية من طلاب المدارس وغيرهم في عامي ١٩٦٤ و ١٩٦٥ , فكان لها تأثير كبير وإعجاب في الأوساط النجفية .

وفي عام ١٩٦٦ بدأت هذه المواكب الهادفة طريقها ضمن المواكب التي تخرج بمناسبة قضية الحسين في كربلاء في اليوم العاشر من محرم.

ومواكب الطلبة إذ تساهم بهذا الدور فإنها تؤدي رسالتين في آن واحد.

الأولى – كشف النقاب عن أبعاد وأهداف ونتائج هذه الذكريات المعبّرة.

والثانية – تقديم البديل الأمثل للمحاولات الرامية إلى تخليد هذه الذكريات، والتي أدت – نتيجة جهل تلك المحاولات – إلى طمس معالم وتشويه مفاخرنا الإسلامية الحيّة الخالدة.

وزحفت جموع الطلاب من مركز بغداد – كلية التربية – نحو الكاظمية وتجمعت في إحدى الحسينيات، وخطب فيهم المرحوم الدكتور السيد داود العطار وأعلن ان هذه الجموع من الأمة التي حسب الاستعمار انه اقتطعها منها.

هاهي اليوم تعلن إنها تطالب بالحكم الإسلامي العادل ، وترفض الحكم الكافر والتسلط على رقاب المسلمين ، وتهتف بالأمة لتستيقظ وتتحرك.

وهذا ردّ عملي على المستعمر الكافر وعلى أعوانه، وإعلان صريح عن رفضها لما يرفع باسمها من شعارات زائفة.

ومن هنا اتجه الموكب نحو كربلاء، وكانت أول دفعة وصلت من جامعة بغداد وحدها تقدر بأربعة آلاف شخص ، وهناك التحقت بها مجاميع كثيرة ، أبرزها مجموعة من البصرة وموكب من جامعة الموصل، كما التحق عدد كبير من الخريجين من مختلف أنحاء العراق في الموكب وكان عدد من الأساتذة قد اشترك معهم.

ومن الجدير بالذكر ان المواكب كانت تضم عدداً كبيراً من أهل السنة.

لقد تميزت مواكب الطلبة بالتنظيم البالغ في شكلها وفي شعاراتها الهادفة وسيرها الهادئ والذي يعبر عن تخليد تلك الثورة الإصلاحية الكبرى، وعن الحزن العميق وعظمة المصاب بشكل يلفت الأنظار وأولت الحركة الإسلامية بالغ اهتمامها وعنايتها بها.

وهذه الجموع الهائلة من الشباب الجامعي المثقف ، عبّرت من خلال المواكب الحسينية عن ارتباطها الكامل والتزامها بالإسلام وبخط الإمام الحسين – عليه السلام – والامتداد الشرعي الذي يمثله، وبأنها ما زالت على العهد ، بخلاف ما يعتقده البعض ويسعى إليه المستعمرون حين أرادوا لجامعات البلاد ان تكون بؤراً لمحو الشخصية الإسلامية ونشر الأفكار الغربية ضمن مخطط مرسوم سلفاً، إلا ان هذه الظاهرة

الفريدة كانت احد العوامل التي خيّبت الآمال التي بنوهاخلال عشرات السنين ، كما إنها كشفت عن أهم مصادر القوة لدى الحركة الإسلامية.

وبالرغم من ان المواكب الطلابية الحسينية لم تكن عملاً سياسياً – كما يبدو – إلا انه ضاعف من حجم التيار الإسلامي في أواخر الستينات ، ومهّد لانضمام قطاعات واسعة من طلبة الجامعات إلى صفوف الحركة الإسلامية.

وبالمناسبة فإن الأجهزة الأمنية لسلطة عبد الرحمن عارف في عام ١٩٦٧ اعتقلت بعض الطلبة الدعاة المشتركين في مواكب الطلبة وركزت في تحقيقها على وجود الحزب الفاطمي ووقوفه وراء هذه المواكب , وكانت السلطة تحاول أن تصف هذا التحرك بالطائفية وقد ورثه عبد الرحمن عارف من أخيه عبد السلام .

***

لقد كان الشهيد أبو عصام (عبد الصاحب ادخيل) يشرف إشرافاً مباشراً على تلك المواكب من خلال حلقة الجامعة ، وارتأى الشهيد أن يؤصل العلاقة بين هذه المواكب وبين الأمة ، فشكل وفداً اتصل بأهالي كربلاء ووجهائها ليتبنّوا هذه المواكب، كما شكل وفداً لنفس الغرض إلى المرجع الإمام السيد محسن الحكيم – رحمه الله – وبالفعل فقد أرسل المرجع وفداً برئاسة السيد محمد سعيد الحكيم (والد السيد محمد تقي) للمشاركة في المواكب.

وخرجت المواكب على شكل كتائب ، كل كتيبة تضم مائة شخص تتقدمها لافتة كبيرة ترفع شعاراً إسلامياً.

واغلب الشعارات كانت تطالب بإقامة الحكم الإسلامي، وترفض العلمانية بكل أشكالها ، وكل كتيبة تردد شعاراً أيضاً ، وهو جزء من قصيدة متكاملة موزعة أبياتها على الكتائب ، وكل بيت هو بمثابة شعار إسلامي .

والكتيبة الأولى تتقدمها لافتة كبيرة تعرّف الموكب ، وكانت هذه الكتيبة تضم وفد المرجعية ووجهاء كربلاء والأساتذة، كما كانت تتقدمها صورة كبيرة للسيد الحكيم رحمه الله[1].

و شقّت المواكب طريقها بين آلاف الزائرين وأهالي كربلاء الذين اصطفوا ليشهدوا روعة مواكب الجامعة ويدعون لهم بالموفقية والنجاح وتحقيق الآمال.

اتجهت هذه المواكب نحو صحن الإمام الحسين عليه السلام ثم إلى صحن العباس.

١- رفع صورة السيد الحكيم وتواجد ممثله في مقدمة الموكب، كان اسلوبا يستعمله حزب الدعوة الإسلامية في محاولة لدفع عيون الظالمين عن الحقيقة التي تحرك هذه الجماهير ، ليبدو أنها مشروع من مشاريع المرجعية التي كانت متمثلة - آنذاك - بالسيد الحكيم ، وهو أسلوب كان يتخذه الحزب في مجالات عديدة، ومنها المكتبات التي انتشرت في المساجد والحسينيات العراقية باسم (مكتبات آية الله الحكيم العامة).

فالمكتبات العامة والمواكب وغيرها , هي تبني لمرجعية الإمام الحكيم كما هي لإخفاء الحزبية التي كانت ممنوعة آنذاك .

وفي صباح اليوم العاشر أقيم حفل كبير ألقيت فيه القصائد والكلمات، إضافة إلى ذلك فان الشهيد أبا عصام كتب عدة شعارات لتتخذها المواكب الأخرى شعاراً أيضاً.

وما حلت مناسبة يوم العشرين من صفر، وهي مناسبة (أربعين الإمام الحسين عليه السلام) حتى كانت المواكب الحسينية التي تذهب إلى كربلاء تهدر كالبركان ، فقد كانت صيحات واضحة تطالب بالحكم الإسلامي.

كانت مواكب الطلبة إنجازاً ضخماً ، وما عملية تحشيد الآلاف من الطلبة في مواكب تطالب بحكم إسلامي إلا هو أشبه بالمعجزة في واقع استسلم للمؤثرات والفعل الاستعماري بمصادرة كل بواعث النور والدفع الإسلامي باتجاه تحكيم الإرادة الإلهية على الأرض.

إن المسيرة الجامعية تلك ، وما تلاها في أوساط المواكب الشعبية الأخرى من شعارات إسلامية ومطالبة بحكم إسلامي وتحدٍّ للسلطة القائمة يمثل تصويتاً جماعياً على رفض الحكم القائم والمطالبة بحكم عادل يرعاه الإسلام.

ثم انتشرت أنباء هذه المواكب الإسلامية وأصبحت حديث الناس وإعجابهم.

فما ان حلّت المناسبة من العام الثاني حتى كانت هذه المواكب أضعاف عددها في المرة السابقة، وفي مسيرة أكثر دقة وتنظيماً.

يا شهيداً أين منك الشهدا
ما نرى شخصك إلا أوحدا

الحسين السبط ضحّى وافتدى
بيضة الإسلام إذ عزّ الفدا

إن ديناً بالدما قد صنته
كاد أن يُمحى وكنت المنجدا

بهذه الأبيات هتفت وفود الطلبة ، وهي تترى ، على مدينة كربلاء وراحت تتجمع تدريجياً .... حتى وصلت وفود جامعة بغداد ثم جامعة البصرة ثم جامعة الموصل ثم جامعة السليمانية ثم الوفود الطلابية لكلية أصول الدين ثم طلاب جامعة الحكمة.

ومع استمرار مجيء الوفود الطلابية كان الاستعداد يجري من قبل أهالي كربلاء على قدم وساق لتهيئة كل وسائل الراحة للوفود.

وتجلّى بعد ذلك مشهد رائع جداً... مشهد لا يستطيع الناظر ان يتمالك عواطفه فيه.... إذ مع نداء (الله اكبر) بدأت صفوف المصلين تنتظم في صلاة جامعة رائعة امتلأ بها المكان على سعته وغصّ بالمصلين....وبعد الانتهاء من الصلاة والمسيرة، جلس آلاف الطلبة

في واجهة صحن الإمام الحسين عليه السلام في مجلس ضخم جداً. تليت فيه آيات من الذكر الحكيم، ثم ألقيت قصيدة لأحد طلبة جامعة بغداد.

وفي صباح اليوم التالي جرى احتفال ضخم حضره الطلبة الوافدون ، ألقيت فيه كلمات وقصائد منها كلمة الشهيد السيد مهدي نجل الإمام الحكيم وكذلك كلمة منظمة التحرير الفلسطينية (فتح).

***

بدأت مواكب الطلبة عام ١٩٦٦ واستمرت لحد عام ١٩٦٨ حيث منعت بعد ذلك من سلطة البعث .

والواقع إن تلك المواكب كانت ذات تأثير سياسي , ففي السنة الثانية والثالثة كان قد اشترك فيها عدد كبير من الأكراد الذين يرفعون لواء المعارضة للنظام في بغداد , كما اشترك فيها طلبة من الحركة الفلسطينية الذين كانوا يدرسون في جامعة بغداد .

واستثمر حزب الدعوة الإسلامية وجود العناصر الكردية والفلسطينية , فعقد إجتماعاً ضم كل أولئك لبحث الموقف العام في العراق وفي الساحة الفلسطينية .

ومن الجدير بالذكر إن المواكب تلك كانت قد استهوت عدداً من الطلبة المسيحيين في الموصل .

وأخذت هذه المواكب تتوسع وتنتشر، فلم تعد تخرج بمناسبة الحسين فقط ، وإنما شملت مناسبات أخرى من وفيات المعصومين

عليهم السلام. كما انها لم تعد تقتصر على مدينة كربلاء ، وإنما توسّعت فغطّت كثيراً من المدن العراقية.

واخذ الناس يتفاعلون مع هذا التيار الجديد في المواكب الإسلامية الهادفة، فقد اخذوا يشتركون فيها، بل ويقدمون لها المساعدات المالية ويتبركون بتقديم الطعام لهم عند انتهاء شوط المسيرة.

وقد صحب هذه المواكب وعاصرها مدّ إسلامي عظيم على كافة الأصعدة، وفي شتى المجالات، وكأنّ موجة عارمة قد اجتاحت العراق:

١- فظاهرة الحجاب أصبحت متميزة في الجامعة وفي الشارع وعلى الرغم من الجهود التي تبذلها الحكومات المتعاقبة على العراق في نشر الفساد لإلهاء الناس وإشغالهم بأنفسهم ، فان الحجاب ظاهرة في الجامعة وفي الدائرة وفي كل مكان.

٢- وبعدما كان الطالب في السابق يخجل من نفسه ان يُعرف عنه انه يصلي , ففي بداية الستينات بدأت الصلاة تقام في الجامعات جماعة في مصليات خاصة ، بل كانت بعض المحاضرات الإسلامية تلقى عقيب الصلاة في بعض الكليات ايضاً.

وكتبت إحدى صحف المهجر[1] ما يلي:-

(وعاشت الجامعات العراقية أفضل أيامها الإسلامية خلال السنوات العشرة الأخيرة فقد توسعت دائرة النشاط الإسلامي بجهود الصفوة

١- جريدة لواء الصدر التي تعود للسيد محمد باقر نجل الإمام الحكيم والتي تصدر بطهران بتاريخ ٢٥ ربيع الثاني ١٤٠٣

المثقفة من الدعاة إلى الله ونشطت ظاهرة الاستقطاب الشعبي الذي قادته الطليعة الرسالية المؤمنة بطريق ذات الشوكة[1].

والتفت حولها الجماهير باعتبارها القوة الأكثر تأثيراً وفاعلية على تحريك الساحة العراقية في الوسط الجامعي... فصارت الجامعة مركزاً لانطلاقة إسلامية متصاعدة، وكان النشاط واضحاً جداً في جامعات بغداد والبصرة والموصل والسليمانية مما أثار ثائرة السلطة الباغية وأشعرها بان هناك موجة إسلامية عارمة ستكتسح الساحة ان لم تواجه بقوة وعنف).

٣- وبدأ الطلاب المسلمون يناقشون أساتذتهم في الجامعات نقاشات إسلامية بعدما كان الطالب المسلم[2] يخشى على نفسه من متابعات السلطة وغوغائية المعاندين[3].

٤- وفي النجف بعدما كانت الدراسة الحوزوية الجديدة مقتصرة على بعض البيوتات العلمية، وعلى الإيرانيين الوافدين، أصبحت في أواسط الستينات تزخر بالطلاب الرساليين من

٢- تعبير طريق ذات الشوكة أصبح لصيقاً بحزب الدعوة الإسلامية نظراً للصعاب التي تحملوها.

١- نقصد بهذا التعبير المسلم الملتزم.

٢- زار رئيس الجمهورية عبد السلام عارف كلية الإدارة والاقتصاد عام ١٩٦٤ فتصدى له الداعية الشهيد حسين جلوخان وقد كان طالباً فيها، قال للرئيس ألسنا نحن بلداً إسلامياً؟ قال نعم، قال فلماذا يدرّس في جامعاتنا الاقتصاد الاشتراكي ولا يدرّس الاقتصاد الإسلامي؟ آمن الرئيس بهذه الفكرة وأمر بان يدرّس الاقتصاد الإسلامي في الجامعات، فكان كتاب (اقتصادنا) للإمام السيد محمد باقر الصدر هو الكتاب الذي يدرّس.

أنحاء العراق، ومن لبنان وبعض الدول الأخرى على ان بعض أولئك الطلاب كانوا قد تخرجوا من الجامعات ، أي أنّ الدراسة في الحوزة أصبحت أمراً مرغوباً ووسيلة مهمة لنشر الـوعي الإسلامي ، بعدما كانت وسيلة لارتزاق البعض.

٥- وظاهرة المواكب الإسلامية التي تقدم ذكرها، أصبحت حـديث الناس والمثقفين.

٦- وانتشر العلماء الشباب الرساليون في كثير من مـدن العـراق بعدما كانت مقفرة وكان المعمم سابقاً إذا ذهب إليها فإنما يذهب للارتزاق وابتزاز أموال الناس.

٧- وبدأ العالم يصعد المنبر ويعظ الناس ويختلط مع الأمة، بعـدما كان لا يستطيع ان يرقى المنبر ليلقي كلاماً ارتجالياً، أو كـان يستطيع، ولكنه يرى ذلك منقصة فيه.

٨- واخذ الناس يتكلمون عن الإسلام كبديل حاكم، في حـين كـان الإسلام غائباً بل ان المسلمين كانوا غائبين عن تطبيق حكم الله في الأرض ، وكان كثير مـن علمـائهم يجـدون ذلـك مـن اختصاص المهدي عجل الله تعالى فرجه.

٩- وبدأ بعض الخطباء الرساليين يذكّرون الناس بعظمة الإسـلام وروح الإسلام وتاريخ الإسلام، وان الإسلام إذا حكم فان الناس سوف يكونون في سعادة ما بعدها سعادة. وان ماعدا الإسـلام

من أفكار كالشيوعية والاشتراكية والقومية، كلها باطلة لم تجلب إلا الدمار والخراب للبشرية.

١٠- وأدركت قطاعات واسعة من الأمة ان أولئك الذين يحكمون العراق ويتعاقبون على حكمه إنما هم دمى يأتي بهم (السيد الكبير) وان أولئك السادة الكبار قد يختلفون فيما بينهم في سياسة البلد الواحد.

١١-أدرك أولئك أيضاً ان الأمة المسلمة في العراق بل في أي مكان كانوا سوف يبقون يعانون من المشاكل والويلات ما دام الأجنبي يتحكم بهم ويتصرف بشؤونهم فيختار لهم الحاكم ويعبث بإرادتهم، وان القوانين التي تطبقها الحكومات كلها قوانين ظالمة ليست من الإسلام في شيء.

١٢-وحينما وجدوا الانقلابات أمام أعينهم، عبد الكريم قاسم ينقلب على الملك، وعبد السلام ينقلب على عبد الكريم، ثم ينقلب على البعثيين، ثم هناك محاولات لانقلابات عديدة لم تنجح. ان هذه الانقلابات جعلت المتدينين من الناس يفكرون، ولماذا نحن لا نقوم بانقلاب فنحكم البلاد حكماً إسلامياً مستقلاً؟.

***

لقد كانت القرارات الحزبية الشفوية لدعوتنا المباركة أسرع وصولاً للأمة من المنشورات، فالدعاة أصبحوا في كل مكان، وما أسرع ما يقرر الحزب شيئاً فينتشر بسرعة البرق في جميع المدن على لسان أي فرد من أفراد الأمة حسب القرار أو المعلومة التي يريد الحزب نشرها.

في بداية الستينات اقترح احد الدعاة على القيادة (ولم يكن منهم) ان يتبنى الناس في قنوتهم أثناء الصلاة هذا الدعاء (اللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة تعز بها الإسلام وأهله وتذل بها النفاق وأهله وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك والقادة إلى سبيلك وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة) وكان الناس يقرأونه وأصبح ظاهرة عامة للدعاة وغيرهم من المصلين، وقد كان دعوة للناس إلى ان يفكروا في الحكم الإسلامي ويرفضوا أي حكم بديل.

إن هذا الوعي الإسلامي الجديد الذي لفّ العراق كله في جميع مرافقه، والذي كانت المواكب الحسينية هي الانطلاقة الكبرى فيه. إن تلك الظاهرة أثارت الشيوعيين قبل ان تثير الحكومات، ووزع الشيوعيون منشوراً في البصرة، كما نشروا في جريدة (السياسة) الكويتية في احد أعدادها عن خلفيات الظاهرة الجديدة تحت عنوان (اخطر ظاهرة سياسية في العراق) كما ان صحيفة (القبس) الكويتية أيضاً تَصدّرها عنوان كبير جاء فيه (ماذا بعد مواكب الطلبة) كان ذلك تحذيراً للسلطة العراقية – أيام عبد الرحمن عارف – من ظاهرة المواكب والتي لابد ان يكون وراءها حزب منظم.

ولعل الشيوعيين خصوصاً في الموضوع الذي نشروه في الكويت كانوا يريدون ان ينبّهوا ليس فقط سلطة العراق لهذه الظاهرة الجديدة، وإنما كانوا يتوخّون إثارة السياسة العالمية ، ودول المنطقة.

وعندما جاء البعثيون للحكم عام ١٩٦٨ واجهوا هذه المواكب بشدة وقسوة ، وكانت إحدى (المواد) التي يحققون في صددها هي (المواكب الطلابية).

وأنا واحد من أولئك ، حيث كانت مواكب الطلبة مادة من مواد التحقيق الذي جرى معي في سجن (قصر النهاية) عام ١٩٧١ ، وان كانت مواكب الطلبة آنذاك قد انتهت ، ولكن البعثيين بقوا يحققون في نشوئها. ومن كان يقوم بإخراجها بهذا التنسيق الكامل.

فالشيوعيون الذين كانوا يمتلكون ناصية الشارع العراقي منذ عشرات السنين ، وجدوا حزباً إسلامياً الآن استطاع أن يغير المعادلة سريعاً .

ما هو هذا الحزب؟

ومن هم أولئك الحزبيون الذين غيّروا المعادلة بهدوء؟ وانتشروا في كل مكان، أينما يولّون وجوههم يرون إشارة ، بل إشارات لوجود هذا الحزب العملاق؟

لم يكونوا يعرفون اسمه ، ولكنه لا شك حزب إسلامي دقيق التنظيم واسع التأثير، لا يقتصر على فئة دون أخرى.

فليس مجاله الطلاب فقط ، وإنما هو في الطلاب والسوق وفي الحوزة وأوساط المثقفين.

وهو ليس في مدينة دون أخرى ، وإنما تأثيره في كل مدن العراق، ثم هو وإن كان حزباً نشأ في منطقة شيعية ، ولكنه ليس منغلقاً عليهم فللحزب مؤيدون ومنتسبون من السنّة.

ظاهرة جديدة قوية ، وكأنها حلّت بالبلاد على حين غـرّة، وأخـذت بجميع الأطراف ، لا يدري الإنسان المعادي إلى أين يلتفت ليقف أمـام السيل الهادر.

وتؤكد مصادرنا على ان الإنكليز شعروا بـصقارة الإنـذار نتيجـة الإنجازات التي حققناها على مختلف الأصعدة.

ففي أعقاب الحفل الكبير الذي أقامته جماعة علماء بغداد والكاظمية في بغداد عام ١٩٦٧ بمناسبة المولد النبـوي الـشريف، التقـى احـد السياسيين المعروفين بولائهم للإنكليز بسياسي آخر، ونقل هذا الأخيـر مضمون الحديث الذي جرى بين الاثنين إلى الشهيد عدنان سلمان (احد كوادر حزب الدعوة الإسلامية) وخلاصته (ان التيار الإسلامي أصـبح خطراً في العراق وان هذه الجماعـة أي حـزب الـدعوة الإسـلامية ستضرب بعنف) ثم علق السياسي الناقل قائلاً إلى عـدنان سـلمان (ان المخابرات البريطانية ستضربكم، فقد أصبحتم أقوياء تخوّفـون) الـذي يدعم حقيقة التخطيط الاستعماري المكثف لضرب الحركة الإسـلامية، والبحث عن نظام جديد تتـصدى لـه إحـدى المجموعـات الموالـية للاستعمار والتي طالما بقيت كاحتياطي مهم يستثمرونه عند الحاجة.

ولا شك ان الشيوعيين كانوا أسرع من غيرهم في اكتشاف ظاهرة التأثير التي أحدثها حزب الدعوة الإسلامية، وإن كانوا يتخبطون في معرفة هوية الحزب بشكل دقيق ، ومن قبلهم تخبط عبد السلام عارف عام١٩٦٤عندما أحس بالتحرك الإسلامي الجديد وإن كان التحرك لم يكن بالقوة التي أصبح عليها عام ١٩٦٧ فأطلق على هذه الظاهرة اسم (الحزب الفاطمي) لاعتقاده ان الحركة نابعة من موطن شيعي، فتصوّر ان خير رادع لها هو إطلاق اسم يوحي بالطائفية من اجل إخمادها والقضاء عليها.

ان منشورات الشيوعيين عام ١٩٦٧ ضد ظاهرة الوعي الإسلامي – كما نعتقدها نحن – إنها هي التي شجعت أو فلنقل أسرعت في تحرك الدول الكبرى إلى أن تغيّر الوضع في العراق حين جيء بحزب البعث العربي الاشتراكي، إذ لم يكن عبد الرحمن عارف في وضع يساعده على الوقوف أمام هذا المد الإسلامي الجارف.

وحدثت الكارثة وجاء حزب البعث يوم ١٧ / ٧ / ١٩٦٨.

***

حزب الدعوة الإسلامية والسلطات المتعاقبة في فترة الستينات

في بداية تأسيس حزب الدعوة الإسلامية (أواخر العهد الملكي) لم يكن خبر ذلك قد وصل إلى السلطة.

وحتى إذا كان قد بلغها ، فهي لا تخشى من حديث لا يمسها إضافة إلى أن أحزاباً متعددة ومتباينة كانت في العهد الملكي، كان بعضها مجازاً وكان الآخر يعمل بدون إجازة وبعلم السلطة.

وكان حزب الدعوة الإسلامية يحرص في البداية على ان لا يتعرض للدولة لئلا يحبط وهو لمّا يزل في المهد فيقضى عليه ويقضى على الآمال الكبار ، وإنما كان قد برمج عمله على مراحل فالمرحلة الأولى (التغييرية) تسعى لتغيير الفرد إسلامياً وتوضيح المفاهيم الإسلامية التي كانت غائبة أو مغيّبة عن أذهان الناس. والظروف المعقدة التي مرت على المسلمين في كل زمان ومكان.

وفي عهد عبد الكريم قاسم كان حزبنا قد كسب عدداً ربما يتجاوز الستين عضواً ، فكان المرحوم السيد (مهدي الحكيم) يقول (لو كنا قد اعلنّا عن أسمائنا في تأسيس الحزب لكان لنا أكثر من وزير في الوزارة) .

ولم يكن كلام الحكيم هذا طمعاً في الوزارة، وإنما لشعوره بأن

ذلك قد يساعد على نشر الفكر الإسلامي.

واستفاد الدعاة من (جماعة العلماء) والاحتفالات التي كانت تقام باسمهم وكذلك في المنشورات التي كانوا يصدرونها ومن مجلة الأضواء.

وكان الدعاة يكتبون اغلب مواضيعها، مواضيع ليست ضد السلطة ولكنها تنحى منحىً إسلامياً سياسياً واعياً.

وعندما أصدر عبد الكريم قانون الجمعيات وإصدار الصحف كانت هناك رغبة لدى بعض القياديين ومنهم الإمام الصدر نفسه ان يقدم حزبنا طلباً لإصدار صحيفة يومية تنشر الأفكار الإسلامية دون ان يذكر فيها اسم حزب الدعوة الإسلامية.

واقترح الإمام الصدر ان تكون الجريدة باسم (العراقي) لتكون جريدة كل عراقي دونما تمييز وان أكون أنا صاحب الامتياز.

وبعد مداولة في الأمر، لم يحصل هذا الاقتراح على الموافقة.

***

وقام حزب البعث في ١٤ رمضان ، ٨ شباط ١٩٦٣ بانقلابهم الذي كانوا يهيئون له ، وجعلوا عبد السلام عارف رئيساً للجمهورية.

وقام (الحرس القومي) وهو ميليشيا حزب البعث – آنذاك – بأعمال يندى لها الجبين حبساً وتعذيباً وتجاوزاً على حرمات الناس مما أنسى الناس جرائم الشيوعيين أيام عبد الكريم قاسم.

وتفاقمت انتهاكات الحرس القومي ، مما حمل حزب الدعوة الإسلامية على الطلب من الإمام الحكيم ان يأتي من النجف إلى بغداد لإبراز العضلات وللاستنكار على الأعمال الوحشية التي كانت تمارس في ظل الحكم الجديد.

فذهب السيد مرتضى العسكري (احد القياديين) إلى السيد الحكيم وطلب منه ان يأتي إلى بغداد، حيث سوف يجري له استقبال ضخم ووفود غاضبة.

فكان السيد الحكيم – في البداية – متردداً في قبول ذلك ، وقال إن القيام والجلوس في استقبال الناس وتوديعهم (زحمة عليّ) ثم قال السيد هل في مجيئي إلى بغداد نفع للإسلام؟

قال له العسكري ، نعم سيدنا ، هؤلاء لا يعرفون شيئاً عن المرجعية وقوتها، إن مجيئكم إلى بغداد سوف يعطيهم انطباعاً عن ذلك.

فوافق السيد الحكيم وذهب إلى بغداد في سفرة شملت – بالإضافة إلى ذلك – كربلاء وسامراء ، واستغرقت ٢٢ يوماً ، من (١٧ تشرين الأول – ٨ تشرين الثاني ١٩٦٣) .

فكانت الوفود تأتي إلى السيد الحكيم بكثافة من بغداد وأطرافها ومن جميع المستويات وهي تردد الشعارات بتطبيق الأحكام الإسلامية ومستنكرة ما يجري في البلد من طغيان واعتداء. ونستطيع ان نعبّر عن ذلك بأنه كان أشبه ما يكون بالمظاهرات السلمية التي تطالب السلطة بإجراء تغيير جذري في الوضع المأساوي في البلاد.

وقد ذكرنا سفر الإمام الحكيم إلى بغداد في حديث مفصل سابق .

ولم يطل عمر البعثيين – في حكمهم الأول – أكثر من تسعة اشهر وثمانية أيام حيث انقلب عليهم عبد السلام عارف في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ وتخلص من البعثيين ، وانفرد هو وجماعته القوميون بالحكم.

وحيث كان الحرس القومي (الميليشيا البعثية) يمارسون أبشع أنواع التجاوزات، تبرأ منهم عبد السلام وتظاهر بالإسلام في محاولة منه للتقرب إلى أبناء الشعب الذين مرّوا بتجربة الشيوعيين والبعثيين التي أذاقت الناس الأذى والتنكيل، ولكنه – مع ذلك – مارس الطائفية على أبشع صورها وعلى جميع المستويات عسكرياً ومدنياً وفي جميع الدوائر.

وحاول عبد السلام التقرب إلى المرجعية الشيعية التي كانت متمثلة – آنذاك – بالسيد الحكيم ، الذي كان يرفض مقابلة (عبد السلام) قبل إلغاء قانون الأحوال الشخصية ، والذي كان عبد الكريم قاسم قد سنّه إرضاءً للشيوعيين والشيوعيات.

وتقرب عبد السلام إلى جمال عبد الناصر وأتّبع أسلوبه في الاشتراكية، وقد تكلمنا عن ذلك أيضا حيث أعلن رئيس الوزراء (طاهر يحيى) تلك الاشتراكية عام ١٩٦٤، والموقف الذي وقفته المرجعية في رفض الاشتراكية بتجمع جماهيري كبير في الصحن العلوي في النجف ودور حزب الدعوة الإسلامية في ذلك.

وحصلت في إيران انتفاضة ١٩٦٣، سميت بانتفاضة (١٥ خرداد)[١] قام بها الإمام الخميني – رحمه الله – وكانت حركة تعاطف معها حزب الدعوة الإسلامية لأنها حركة إسلامية ضد الطغيان والانحراف، وأقام الحزب لشهدائها مجالس الفاتحة في النجف والبصرة وبغداد، وأماكن أخرى في العراق.

وكان بعض الدعاة الإيرانيين قد شاركوا في تلك الانتفاضة[٢].

ثم جاء الإمام الخميني إلى العراق عام ١٩٦٤ واستقبله وفد من حزب الدعوة الإسلامية ، في اليوم الثاني من وروده ، في بغداد ، كما استنفر الحزب أنصاره ومؤيديه لاستقباله من منتصف طريق كربلاء – النجف (وقد سبق لنا ذكر ذلك) واشترك بعض دعاتنا في الدرس الذي كان يلقيه الإمام الخميني في النجف عن (ولاية الفقيه) وهو درس جديد ليس على الطريقة المتبعة في حوزة النجف.

١- خرداد هو الشهر الثالث من الأشهر الهجرية الشمسية

٢- وبعد انتفاضة ١٥ خرداد سافرت إلى طهران، والتقيت هناك سماحة السيد (محمد حسين الطهراني) الذي كان احد دعاتنا العاملين، وكان آنذاك إماماً لمسجد (القائم) في شارع (سعدي) في طهران.

صليت معه في مسجده، وذهبت بعدها إلى داره الكريمة، وأعطيته بعض النشرات ونقلت له مجريات الحزب في العراق وتعاطف الشعب العراقي مع ثورة (١٥ خرداد) اقترح السيد الطهراني ان تترجم النشرات إلى الفارسية ليسهل استيعابها للذين يتكلمون اللغة الفارسية ، وكان حزب الدعوة الإسلامية قد اقترح عليه ان يساهم. وبقية الدعاة ، في المظاهرات التي خرجت تاييداً للإمام الخميني ضد الشاه، فكان لهم تأثير مهم في تلك الأيام، كما استمعت له عن الأحداث التي رافقت الانتفاضة ، كيف بدأت وكيف انتهت.

فالحوزة كانت قد تركت بحث كثير من الأحكام الشرعية كالقضاء، والقصاص وما إلى ذلك، على أساس أنها ليست محل إبتلاء[1].

وكان لانتفاضة الإمام الخميني في إيران ومن ثم وروده إلى العراق واستقراره في النجف صدىً عميق ، حرّك كثيراً من الأجواء التي كانت سائدة في النجف بالذات.

فقد أحدث ذلك هزة في أوساط الحوزة بين مؤيد ومعارض، وان لم تنجح تلك الانتفاضة ، ولكنها في الواقع انتفاضة على الظلم والانحراف الذي كان يقوده شاه إيران.

وأعطت تلك الانتفاضة زخماً قوياً لمن كان يفكر بالسياسة بأنه من الممكن للمتدينين ان يقودوا ثورة لتغيير دولة قوية محسوبة على الإسلام ولكن ساستها يعملون على حرفها عن الإسلام وربطها بسلاسل قوية بعجلات الاستعمار وإسرائيل.

فكان الدعاة يترددون دائماً على بيت السيد الخميني – رحمه الله – ويتناقلون أخباره، وينتقلون في التقليد من غيره إليه[2].

١- كان العالم الكبير الشيخ مرتضى آل ياسين من القلائل الذين أدركوا خطورة ذلك , فكان يحث على دراسة تلك الأبواب من الفقه , وسجل رأيه في تقريضه لكتاب (اللمعة) الذي حققه السيد محمد كلانتر.

٢- الشيعة الإمامية يرون ان المسلم لا بد ان يقلد احد المجتهدين الذي يستطيع ان يستنبط الأحكام الشرعية من القرآن الكريم والأحاديث المروية عن المعصومين عليهم السلام، وبعضهم يرى لا بد ان يكون المجتهد هو الأعلم من بين المجتهدين.

ولذلك نرى تعدد المجتهدين المقلدَين (بفتح الدال)بناءً على الاختلاف في الاعلمية ، وإذا قلد احدهم مجتهداً ثم بدا له ان غيره اعلم منه ، فانه سوف ينتقل من هذا إلى غيره الأعلم.

وكانت الزيارة التي قام بها الإمام الخميني لمجموعة من المراجع الكبار في النجف (السيد محسن الحكيم، والسيد أبو القاسم الخوئي ، والسيد محمود الشاهرودي) ونقاشه مع السيد الحكيم ، إذ كان يحثه على الثورة، في حين كان السيد الحكيم لا يرى ذلك، لعدم اطمئنانه إلى وقوف الشعب معه أو ضمان استمراره معه فيما لو تحرك.

إنّ مجرد النقاش على مستوى المراجع العليا في التحرك السياسي، كان مادة للحديث بين الحوزويين ، بين مؤيد لهذا ومؤيد لذاك، وكل طرف يستند إلى آيات من القرآن الكريم ، وأحاديث من المعصومين في تعزيز رأيه ، وهو أمر لم يكن مطروقاً في السابق.

وتوسعت قاعدة المتدينين ، سواء كانوا منتسبين إلى حزب الدعوة الإسلامية أو غير منتسبين ، لقد توسعت قاعدتهم في الجامعات حينما يناقشون أساتذتهم ، وفي المصليات التي شملت اغلب الكليات إن لم يكن جميعها.

في حين كان الطلاب قبل ذلك يتبجّحون أمام زملائهم أنهم قضوا الليلة الماضية في لهو غير برئ.

ولكنهم الآن بدأوا يتكلمون بالإسلام، وأخبار الأمة الإسلامية في كل مكان، وكأنهم كانوا يريدون ان يطبقوا هذا الحديث الشريف (من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم).

وامتلأت المساجد بالمصلين الشباب، وفي المكتبات العامة التي تبّنتها الدعوة في المساجد والحسينيات تحت اسم (مكتبات الإمام الحكيم العامة).

وكان حزبنا يستغل كل مناسبة ليرفع فيها شعاراً اسلامياً، في ميلاد الرسول الأعظم – صلى الله عليه وآله وسلم – والأئمة عليهم السلام، وكذلك في وفياتهم.

كانت ترفع شعارات على قطع كبيرة من القماش على أبواب المساجد والأضرحة المقدسة ، وكذلك في الأسواق والطرق العامة تحيّي تلك المناسبات.

ومجالس التعزية كان حديث الخطباء فيها ينسجم مع شعور ومطالب الأمة في الحكم الإسلامي.

وحتى في مناسبات الأعراس , فالخطبة التي يقرأها الشيخ الذي يعقد بين الزوجين كان يستثمرها ليتكلم شيئاً عن عظمة الإسلام في الآية الكريمة (ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم ازواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة).

لقد كان حديث الإسلام يعيش دائماً مع الإنسان العراقي في كل مكان وكل مناسبة.

وتخبّط (عبد السلام عارف) إزاء هذا المد العارم الذي كاد ان يلفَّ العراق كله:

مَن وراء هذا التحرك؟

هل ان المرجعية وراء ذلك؟ ربما

ولكن هذا التخطيط الدقيق والانتشار السريع من البعيد جداً ان يكون تنظيماً مرجعياً.

إذن لا بد ان يكون ذلك حزباً.

فما هو هذا الحزب؟ وما هي هويته؟

ومن هم قياديوه؟ فضلاً عن كوادره والمنتسبين إليه.

ربما عرف ذلك نتيجة للرسائل التي كان يتبرع بها ويرسلها إليه أحد الأشخاص إلى (عبد السلام عارف) وكذلك إلى السيد (محسن الحكيم) يخبرهما بوجود حزب الدعوة الإسلامية وقد يكون بنية حسنة ولكن كيف نوجهها؟

وعلى كل حال، فقد تخبط عبد السلام وابتدع فكره الطائفي ان ينعت هذا التحرك بأنه (حزب فاطمي) ليعطي للسامع تصوراً طائفياً.

ومع ذلك فلم يتعرض حزبنا لضربة قوية من عبد السلام عارف.

***

وامتد الوعي الإسلامي إلى خارج الحدود من خلال الطلاب اللبنانيين والخليجيين وغيرهم، الذين كانوا يدرسون في النجف،

فيعودون إلى اهليهم أيام العطل السنوية، وكذلك من خلال طلاب البعثات الجامعية الذين يدرسون في أوربا وغيرها.

وكان صعود وتيرة المطالبة بإجراء الأحكام الإسلامية قد ارتفع في عهد (عبد الرحمن عارف) الذي كان يتميز عهده بالانفتاح والضعف.

وفي عهده وقعت الحرب الخاسرة التي خاضتها الجيوش العربية في حزيران ١٩٦٧ واحتل الصهاينة مدينة القدس الشريف.

وأقيمت مجالس الفاتحة على أرواح الشهداء الذين سقطوا في تلك الحرب من قبل المراجع والحوزة العلمية في كل من النجف وكربلاء وبغداد والبصرة، ومدن عراقية أخرى.

أما جماعة علماء بغداد والكاظمية فقد أرسلت بيانات الاستنكار إلى الأمم المتحدة وبقية المنظمات والهيئات الدولية، وكذلك نداءات استغاثة إلى المسلمين في كل مكان ، وقد أذيعت هذه البيانات من أجهزة الإذاعة والتلفزيون العراقية التي كانت تتعامل بانفتاح مع الحالة الدينية والمرجعية الإسلامية في النجف.

وطلب (عبد الرحمن عارف) من الإمام الحكيم بواسطة نجله (السيد مهدي) ان يصدر فتوى بالجهاد ضد إسرائيل.

ولكن السيد الحكيم ، قال: فليوجّه لي عبد الرحمن استفتاءً بذلك وأجيبه عليه.

وبالفعل فقد بعث عبد الرحمن عارف إلى المرجع الحكيم بهذا الخصوص ، وأجابه السيد الحكيم ببرقية بثتها إذاعة بغداد عدة مرات يطالب فيها زعماء البلدان الإسلامية رعاية المصالح العليا للأمة ، ونبذ الخلافات، ويؤكد فيها على وحدة المسلمين من اجل مواجهة الصهاينة.

وتلقى السيد الحكيم برقية من (جمال عبد الناصر) بهذا الصدد.

***

وتشكل وفد إسلامي عراقي ، قام بزيارات إلى بعض الدول الإسلامية خلال شهري تموز وآب ١٩٦٧ إلى كل من تركيا وإيران وأفغانستان وباكستان والهند واندونيسيا وماليزيا وسنغافورة لشرح أبعاد القضية الإسلامية الفلسطينية والاجتماع بالقيادات الدينية والرسمية في تلك البلدان ودراسة الإجراءات اللازمة لمواجهة الخطر الصهيوني.

وكان الوفد يتشكل من سبعة أعضاء من السنة والشيعة، يمثلون الاتجاهات الرئيسية في الساحة[1] وهم عبد الغني شنداله (الرئيس) والشيخ عبد العزيز البدري، والسيد داود العطار ، والسيد عدنان البكاء والدكتور صالح السامرائي وصالح عبد الله و محمد الآلوسي.

١- ضم الوفد أعضاء من حزب التحرير وجماعة الإخوان المسلمين وحزب الدعوة الإسلامية، وواحداً مستقلاً علماً بان (العطار) و (البكاء) كانا من حزب الدعوة الإسلامية ولم يتم ترشيحهما من الحزب لأن الحزب كان لا يزال يعيش المرحلة السرية وإنما كان ترشيحهما من قبل جماعة علماء بغداد والكاظمية والواقع أنّ ترشيحهما كان من السيد مرتضى العسكري الذي كان عضواً فاعلاً في علماء بغداد والكاظمية.

وكانت النكسة الكبرى التي أصيب بها المسلمون في ٥ حزيران ١٩٦٧ في المعارك التي دارت بين الجيوش العربية والجيش الإسرائيلي والتي كان نتيجتها احتلال المسجد الأقصى ومناطق كبيرة من الأراضي الفلسطينية، وكأن الأمر كان مدبراً لفسح المجال للاحتلال الإسرائيلي الواسع، بحيث ان الدول العربية أصبحت تطالب – إذا طالبت – بعودة المناطق تلك إلى ما كانت عليه في ٤ حزيران وغفلت أو تغافلت عن اصل الاحتلال الذي حصل عام ١٩٤٨.

ان هذه النكسة كانت حدثاً أثار حفيظة الدعاة وترشّح العضو الفعال في الحزب (السيد مهدي) لأن ينوب عن والده المرحوم الإمام الحكيم في المؤتمر الذي عقده مؤتمر العالم الإسلامي في عمّان بتاريخ ١٦ – ١٩٦٧/١٠/٢٠.

لقد كانت الكلمة التي قرأها تمثل فكر حزب الدعوة الإسلامية الذي كان لا يدع فرصة تمّر الاّ واستثمرها لنشر أفكاره وتوعية الأمة الإسلامية، طبعاً ليس باسم الحزب علناً، فقد كنا لا نزال في المرحلة السرية.

وبصورة عامة كانت الكلمات التي تقرأ باسم الإمام الحكيم – رحمه الله – في الاحتفالات والمؤتمرات وغيرها، يكتبها الشهيد السيد محمد باقر الصدر، وربما كان يحدث فيها بعض الإضافات والتغيير من قبل الإمام الحكيم نفسه.

لقد كانت الكلمة التي قرأها السيد مهدي الحكيم في المؤتمر هكذا...

بسم الله الرحمن الرحيم

أصحاب الفضيلة رئيس وأعضاء مؤتمر العالم الإسلامي المحترمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فاني إذ احييّ مؤتمركم الموقر وأرجو له التوفيق في أداء مهمته، احسّ إحساساً واضحاً بان المسلمين أحوج ما يكونون اليوم إلى التفكير العملي في الواقع المر الذي تعيشه الأمة، وإعادة النظر في هذا الواقع بكل جوانبه الفكرية والاجتماعية والسياسية ومناقشته على ضوء المأساة المروّعة التي أصيب بها المسلمون في هذه الأيام، والتي لم تكن إلاّ نتيجة لانحراف أساسي في ذلك الواقع الذي ساهم المسلمون – بكل أسف – مع أعدائهم المستعمرين في إقامته وترسيخه وفصله عن الله سبحانه، وقطع صلاته برسالته المقدسة.

وقد وضع الله سبحانه المسلمين جميعاً أمام مسؤوليات كبيرة في أعقاب هذه المأساة المفجعة، كما وضع الحكام منهم بصورة خاصة أمام مسؤوليات اكبر، وليست هذه المسؤوليات الاّ امتحاناً جديداً للأمة وإرادتها وللحكام في العالم الإسلامي ، ومدى قدرتهم على الارتفاع إلى مستوى القيادة الواعية الحريصة على كرامة الإسلام والمسلمين.

وبحكم تلك المسؤوليات الضخمة، فان المسلمين جميعاً حكاماً ومحكومين ، مدعوون للتوبة إلى الله سبحانه والرجوع إلى صراطه المستقيم ، وبناء حياتهم على أساس تعاليمه وتشريعاته ، وتغيير الوضع الاجتماعي للأمة تغييراً اسلامياً شاملاً ليغيرّ الله ما بنا (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم)[١].

ويبّدل ذلنا بعز، وانكسارنا بنصر، وضيعتنا بوجود حقيقي فعال.

وان حكام المسلمين جميعاً مدعوون بصورة خاصة إلى مواجهة مسؤولياتهم أمام الله والتاريخ والأمة الإسلامية بروح مخلصة وإيمان صامد وحشد كل قواهم وامكاناتهم لإعادة الأراضي السليبة إلى دار الإسلام، والعمل بكل ما يملكون من حول في سبيل تحرير القدس والمسجد الأقصى الذي أسرى إليه رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – من المسجد الحرام، واستنقاذ أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين من أيدي اليهود المجرمين الذين أباحوا حرمة تلك البقعة الطاهرة، وداسوا بأقدامهم أراضيها التي باركها النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – في مسراه العظيم.

١- ان حزب الدعوة استند في قاعدته المرحلية الأولى في التغيير إلى هذه الآية الكريمة وحيث أننا نريد أن نغيرّ الأمة من الجهل إلى العلم ومن الجري نحو الفكر الكافر إلى الفكر الإسلامي، فانه لابد ان يغيّر المرء ما اعتراه من فكر منحرف إلى فكر إسلامي أصيل، وانه لا بد ان يتغيّر هو نفسه ابتداء ليستطيع ان يغيّر غيره عندما يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ويهديه إلى الصراط المستقيم.

ولابد للحكام في العالم الإسلامي ان يعلموا ان استنقاذ القدس والأراضي السليبة الأخرى من براثن الأعداء لا يمكن الاّ باتخاذ موقف صارم يتمثل فيه الإصرار الهائل المستميت على تطهير البقعة المقدسة والأرض الطاهرة من الأعداء الغاصبين ، ورفض أية محاولة يقوم بها المستعمر الكافر لتمييع الموقف أو تقديم أنصاف الحلول أو استغلال المأساة الراهنة لطرح فكرة التدويل.

ولا بد لنا ان نؤكد هنا، كما أكدنا في مجالات سابقة ان قضية فلسطين عموماً والقدس خصوصاً هي قضية الإسلام مهما حاول البعض ان يضعها في إطار ضيق أو يفسّرها على أساس آخر، ولهذا فان مسؤوليات الموقف العظيمة يواجهها المسلمون عموماً وحكامهم بشكل خاص على اختلاف لغاتهم وقومياتهم ، وان التاريخ سوف يقيّم والأمة سوف تحدد مفهومها عن الحكام اليوم ، العرب منهم وغير العرب، على أساس مواقفهم من المأساة ودرجة الصمود الذي يتحلون به في معركة تحرير القبلة الأولى للإسلام وطرد الغاصبين من أرضنا الإسلامية الطاهرة.

وختاماً اسأل المولى سبحانه ان يوفق الجميع لمراضيه ويأخذ بيدكم لما فيه عزة الإسلام وخير المسلمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محسن الطباطبائي الحكيم

١٥ جمادى الآخرة ١٣٨٧

وساهم حزب الدعوة الإسلامية في تعبئة الجماهير الغفيرة عند توديع الإمام الحكيم في ذهابه إلى الحج عام ١٩٦٧ ورجوعه.

فبالإضافة إلى التوديع الرسمي الذي جرى له برئاسة (طاهر يحيى) رئيس الوزراء، فقد كان توديع الحكيم واستقباله يعدّ مظاهرة فخمة جداً عبّرت عن مدى تلاحم الجماهير مع المرجعية[١].

ومواكب الطلبة تدعونا للتعرف على الحركة الطلابية بصورة عامة. تلك الحركة التي أحدثت تغييراً واسعاً في صفوف الطلبة الجامعيين وغيرهم، بل في أساتذتهم ايضاً.

إننا نستطيع ان نسمي ما أحدثته الحركة الطلابية في العراق في منتصف العقد السابع من القرن العشرين بأنه (ثورة ثقافية). حيث استطاعت هذه الثورة الثقافية ان تحدث تغييراً حقيقياً في نفوس الطلبة الناشئين وفي نفوس المثقفين في كل مكان من العراق وعملت على إرساء الأسس الفكرية، وقامت بالتغييرات النفسية لشخص الإنسان الملتزم، مما هيأ القاعدة الأساسية لنشوء أي تغيير آخر يمكن ان يحصل في الساحة الاجتماعية.

والتغييرات التي تحصل في أي مجتمع من المجتمعات ان لم تكن قائمة على أساس فكري واضح منسجمة مع المحتوى الداخلي لنفس

١- عندما أعلن عن نية السيد الحكيم للسفر إلى الحج ، تبرعت ثلاث دول بتقديم طائرة خاصة لنقله إلى الديار المقدسة، الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية ومحمد رضا شاه إيران وعبد الرحمن عارف رئيس جمهورية العراق ، فاختار السيد الحكيم الطائرة العراقية.

الإنسان، فإنها ستكون تغييرات مؤقته لا تلبث ان تزول وتختفي ، أما التغييرات التي تنبع من قاعدة فكرية وإيمان المجتمع بطبيعة هذه الأفكار فإنها لا يمكن ان تزول حتى لو تم القضاء على اكبر رموزها وعلى القسم الكبير من أتباعها ومؤيديها ، لان الفكرة لا تموت وان مات الأشخاص.

ولذلك فان الحركة الإسلامية في العراق كانت تقضي السنوات والجهود المتواصلة في بناء القاعدة الفكرية وإجراء التغيير الداخلي في نفوس العاملين في سبيل الله تعالى , ولقد أفرزت الحركة الطلابية ظاهرتين بارزتين من خلال تعميقها للوعي الإسلامي ، والجهاد المتواصل في إزاحة السيطرة غير الإسلامية التي تعم العراق وغير العراق من البلاد الإسلامية.

الظاهرة الأولى:

كانت هي مواكب الطلبة ، التي تحدثنا عنها فيما سبق ، والتي كانت في مجملها تبدو ظاهرة دينية، غير ان المحللين والمراقبين يعلمون جيداً ماذا تعني هذه المظاهر الدينية، لان أعداء الإسلام يفهمون – قبل المسلمين – ان الإسلام لا ينفصل عن السياسة، وعندما شاهدوا ظاهرة مواكب الطلبة أدركوا عمقها السياسي المستقبلي.

وبدأ المحللون والمراقبون يفهمون طبيعة الموقف، وقد تحدثنا – فيما سبق – عن ردود الفعل التي ظهرت في منشورات شيوعيي

البصرة، وما نشروه في صحف الكويت تحت عنوان (اخطر ظاهرة سياسية في العراق).

والظاهرة الثانية:

هي ظاهرة الانتخابات الطلابية ، ففي عام ١٩٦٧ حاولت حكومة (عبد الرحمن عارف) ان تظهر للعراقيين أنها تتبنى الديمقراطية، فبشرّت بإجراء (انتخابات طلابية حرة) ، وحددت شروط الترشيح بأن لا يكون على حساب الأحزاب أو الحركات بل على أساس الأفراد والأشخاص.

وفي تلك السنة (١٩٦٧) والثورة الثقافية التي قادها المجاهدون من الطلاب المسلمين كانت لم تكتمل بعد ، لكنهم قرروا خوض تلك الانتخابات ليجربوا حظهم في أول ممارسة سياسية من نوعها، وليكتشفوا مواقع أقدامهم من الطريق.

وفعلاً جرى ترشيح عدد من الممثلين في جامعات بغداد والموصل والبصرة[١].

لقد كانت الانتخابات التي خاضها المجاهدون المسلمون، وعلى صعيد ثلاث جامعات في آن واحد، وهم حديثو الخبرة وغير متمرسين بالمداخل السياسية العملية لهذه التجربة. إضافة إلى الاحتياط الواسع والحسابات الكثيرة التي يحسبها المؤمنون ، وهم يمارسون هذا اللون

١- كان مرشحو الطلاب كلهم من المنتسبين إلى حزب الدعوة الإسلامية، ولكن لم يكن ترشيحهم على هذا الأساس لان الحزب كان لا يزال في المرحلة السرية.

من العمل السياسي.

لقد كانت النتيجة مدهشة للجهات السياسية، فقد حصل الطلاب المجاهدون على المرتبة الثانية بالانتخابات في الجامعات الثلاث لتكون تجربتهم هي الأولى أمام مرشحي الحركات والأحزاب السياسية الأخرى التي تمتلك باعاً طويلاً في هذا المجال، وعلى الرغم من قلة الخبرة وضعف الامكانات والدعاية المضادة والتهديدات الكثيرة التي تعرضوا لها، فقد كانت النتيجة هي الثانية كما قلنا.

لقد حقق المسلمون – ولأول مرة – فوزاً كبيراً، وكان الفارق بين المرتبتين، الأولى والثانية فارقاً بسيطاً[1] وكان من الممكن جداً وبشيء من الإعداد والتهيئة ان يفوز المسلمون بالدرجة الأولى.

***

كما اشترك (حزب الدعوة الإسلامية) في انتخابات المعلمين في البصرة عام١٩٦٧، فحصل أعضاؤها على المرتبة الثانية أيضاً[2] ودلت النتائج المشجعة على نجاح تجربة الحركة الإسلامية في الحقلين الطلابي والتعليمي وثقلها على المستويين السياسي

١- في كلية الطب (جامعة بغداد) كان الفارق بين المرتبة الأولى والمرتبة الثانية خمسة أصوات فقط.

٢- كانت النتائج كالتالي:
١- القائمة القومية المتحدة ١٢٠٠ صوت
٢- القائمة المستقلة، ويقف وراءها حزب الدعوة الإسلامية ويترأسها احد كوادرها في البصرة (محمد بداي السالم) ١٠٨٠ صوتاً.
٣- القائمة الموحدة وتمثل تنظيم البعث (جناح ميشيل عفلق) ٤٠٠ صوت

والاجتماعي وقاعدتها العريضة ، وأصبح لدى الإسلاميين قناعة كاملة بان الفرصة لو سنحت لهم مرة أخرى لاختلفت النتائج بعدما اكتسبوا شيئاً من الخبرة ، ومارسوا هذا اللون من العمل بشكل مباشر.

***

وازداد الوعي الإسلامي انتعاشاً عندما تأسست كلية (أصول الدين) في بغداد عام ١٩٦٥، والتي أسسها احد ابرز مؤسسي حزب الدعوة الإسلامية السيد مرتضى العسكري , إذ مثلت أحد أهم محاور العمل لدى الحركة الإسلامية, فتولى إدارتها ودرّس فيها مجموعة العلماء الحركيين من رواد الوعي التغييري في العراق ، كما أنّ معظم طلابها كانوا من أبناء الحركة الإسلامية أو السائرين في فلكها.

وكان الشهيد محمد باقر الصدر مشاركاً في مشروع تأسيسها وافتتاحها، ثم كان مساهماً بالقسط الأوفر من مناهجها وطريقة عملها وشؤونها.

وقد كتب مادة (علوم القرآن) للسنة الأولى والثانية ، وظلت هذه المادة تدرس لمدة أربع سنوات ، كما كتب للكلية مادتي (الاقتصاد الإسلامي) و (المعالم الجديدة) في علم الأصول , وكانت سمعة كلية أصول الدين قد انتشرت في الوسط العلمي بالعراق خصوصاً بعد ان أصدرت مجلة (رسالة الإسلام) التي خصصت بعض صفحاتها للأسئلة

الشرعية التي يوجهها الناس إلى مرجع الأمة السيد (محسن الحكيم). تحت عنوان (فتاوى تهمك).

وقد كان يكتب في هذه المجلة عدد من الكتاب الإسلاميين وعلى رأسهم الامام الشهيد السيد محمد باقر الصدر.

وكان في المجلة بعض الصفحات باللغة الإنكليزية لنقل الوعي الإسلامي إلى الذين يتكلمون اللغة الإنكليزية.

***

ومجلة رسالة الإسلام كانت تطفح بالمواضيع الصارخة في الوعي الإسلامي سواءً في البحوث المكتوبة أو الشعر الذي كان يلهب النفوس في السخط على الواقع الفاسد الذي تعيشه الأمة الإسلامية.

ولعل قصائد الدكتور السيد داود العطار كانت تتميّز عن غيرها في الوضوح وعمق الوعي.

نقتطف منها قصيدتين

القصيدة الأولى :

نشيد دعاة الإسلام

النشيد الذي اشتركت بإنشاده طالبات الصف الرابع الصباحي

يا صوت الحق متى تعلو ويــعم مــرابعنا العدل
ويزول الكــفر وزمــرته ويعود العيش لنا يحلو
ويرف لواء الإسلام

(الدور)

أحكام الكفــر طــغت فينا كي تفســدنا أو تــفنينا
قد قــررنــا أن نــلــغيها إطلاقاً إذ لا تنجــيــنا
إلا أحكام الإسلام

(الدور)

نيران الغــرب بنا تسعر وعداء الشرق لنا أسفر
سنخوض معاركنا الكبرى لنحقق مــقصدنا الأكبر
بسيادة حكم الإسلام

(الدور)

الأرض نفجــرها حمــما وســنبــذل أموالاً ودماً
لــنــرد زمــام الأمر لنا ونعود نسوس الناس كما
كنا بنظام الإسلام

(الدور)

ننـــهج مـــنـــهاج أئـــمتنا فنصون الدين بمـــهجتنا
ونجود بـــما مـــلكت يدنا لنعـــيد كـــرامـــة أمتنا

ونجدد عهد الإسلام

(الدور)

النـــصر لـــنا لا لســـوانا أنـــّى جـــاهدنا العدوانا
متـــنا أو عـــشنا يكـــفينا أن قد حـــققنا الرضوانا

مفهوم النصر الإسلامي

(الدور)

مجلة رسالة الإسلام

العدد الأول ــ السنة الأولى

٢٠ شوال /١٣٨٥ هــ ــ ١٠/شباط /١٩٦٦ م

لامية المسلمين[1]

إني أقول الحق من غير وجلْ ... فقد قلى عزمي تصبري وملْ
هل عُقمت امتنا؟ فلا فتى ... يطّهرُ الأرضَ، ولا سيف يُسلْ
ما للملايين التي باهى بها الله ....تعالى قد أصابها الشللْ
ألم تكن للناس خير امةٍ ... ماذا دهاها؟ فغدتْ هي الاذلْ
خيراتها منهوبة وأرضها ... مغصوبة، وجيلها بلا عمل
ترتع بالكفر وتكرع الردى ... قد أسلمت لجامها لمن سفلْ
سمّنها ابتغاء ذبحها كما ... يُسمن قصابٌ شياهاً وإبل
ماذا عليها لو تحدّت لاتّها؟ ... اوصفعت يافوخ (عُزّى وهبل)؟
أو أغرقت فرعونَ في مياهها؟ ... اوقذفت في بئرها ابا جهل؟
ماذا عليها لو ازاحت خوراً ... ران عليها ورقاداً وكسل؟
وشمّرت عن ساعد الجدّ؟ كما ... قد شمّرت أجدادنا الصيد الأول
تعيش ليل الكفر وهي ترتجي ... للدين اشراقاً بـ(ليت ولعل)
يا ويلها والصمت عن سيطرة ...... الطاغوت والجبت حرام كيف حل؟

١- لامية، عدة قصائد مشهورة بهذا الإسم منها:
لامية ابن الوردي، أولها:
أعتزل ذكر الأغاني والغزلْ ... وقل الفصل وجانب من هزلْ
ولامية الأعشى، اولها:
ودّع هريرة إن الركب مرتحلُ ... وهل تطيق وداعاً أيها الرجلُ
ولامية الطغرائي اولها:
أصالة الرأي صانتني عن الخطلِ ... وحلية الفضل زانتني عن العطلِ
ولامية العرب للشنفرى وهي اشهر اللاميات وأولها:
أقيموا بني امي صدور مطيّكم ... فاني إلى قوم سواكم لأميل
ولا شك ان المرحوم العطار سمىّ لاميته بلامية المسلمين مقابل لامية العرب

كلا؟ فما اخلص في إسلامه ... إلا الذي اقتدى بسيد الرسل
فمن فدى بنفسه الشرع ومن ... أمواله دون حمى الدين بذل
ومن أطاع ربه ومن دعا ... بدعوة الإسلام قولاً وعمل
لامن يعيش خانعاً وقد رأى ... تقاسمت دولته شتى الدول
تسومه الظلم ويبقى صامتاً ... يعلل الصمت بمفضوح الحيل
اسلم للذل وظن ان مشكلاتنا ... بقول (لاحول) تحل
يرى الفساد واقعاً محتّماً ... قدّره إلهنا عز وجل
استغفر الله لتلك حجة الجاهل... بالله وآية الكسل

العدد الثاني ــ السنة الثانية ــ
١ محرم ١٣٨٧ هـ ــ ١٩٦٧ م

***

والواقع أن عهد (عبد الرحمن عارف) كان ربيعاً للعاملين في نطاق الحركة الإسلامية في المدن العراقية بحيث نستطيع ان نقول ان الوعي الإسلامي كان قد انتشر في اغلب مدن العراق انتشاراً واسعاً، ولكن ظاهرة المواكب والانتخابات الطلابية أعطت المراقبين السياسيين وأعداء الإسلام وخصوصاً أولئك الذين يهتمون بتحليل الظواهر ومعرفة ما وراءها من البواطن ، أعطتهم قناعة تامة بان هناك (داينمو) محركة لكل هذه الظواهر:

اری تحت الرماد وميض نار ... ويوشك ان يكون لها أوارُ [1]

١- بيت من الشعر كان ضمن رسالة مستعجلة بعثها الأمير الأموي في خراسان إلى الخليفة في الشام يخبره عن التحركات المثيرة من جانب الدعاة العباسيين.

لماذا لم يقم حزب الدعوة الإسلامية بانقلاب على عبد الرحمن عارف؟

إذن لماذا لم ينتهز (حزب الدعوة الإسلامية) تلك الظروف ويقوم بانقلاب على (عبد الرحمن عارف) وقد كان حكمه ضعيفاً؟

انه سؤال يفرض نفسه.

فلماذا تأخر حزب الدعوة وتقدم حزب البعث؟ وأحدث تلك الكوارث في حزب الدعوة وفي العراق كله، بل في عموم المنطقة.

انه سؤال يدور في خلد كثير من الناس، فضلاً عن بعض الدعاة، خصوصاً أولئك الذين انتسبوا للدعوة في السبعينات وبعدها.

حزب الدعوة الإسلامية – وقد كان بتلك القوة وذلك الانتشار والتأييد – الم يكن باستطاعته ان يتسلم الحكم بطريقة ما؟

إنه موضوع جدير بالدراسة.

فهل كان ذلك عن غفلة من حزب الدعوة؟

وهل ان قيادة الدعوة لم تكن بمستوى القيادة الكفوءة وتقدير الموقف؟

وهل كانوا يخشون الإقدام على حركة كتلك؟

وإذا تخلف الحزب ، فهل لنا ان نلقي بالمسؤولية على قيادة الحزب بالذات؟

ام ان هناك أسباباً أخرى؟

أسئلة كثيرة، تحزّ في نفس كل مؤمن.

ولكننا إذا امعنّا النظر في الموضوع بصورة دقيقة، نجد ان الأمور ليست كما يتصورها البعض، فهناك تعقيدات وقضايا أخرى متشابكة كان بالا مكان ان تعصف بالتحرك الإسلامي بصورة عامة (المرجعية والحركة) وتقلعها من الجذور.

فحزب الدعوة الإسلامية، واضح من اسلاميته، انه لابد ان يتحرك دوماً وفقاً للشرع الإسلامي، وليس من المقبول ان يتبنى مبدأ ويعمل خلافه، خصوصاً إذا كان ذلك المبدأ هو إقامة الحكم الإسلامي.

والعاملون في حزب الدعوة ، والقيادة منهم على الخصوص الذين ابتلاهم الله – في فترة من الفترات – وانتخبوا وتبوؤا منصب القيادة.

ان أولئك حريصون جداً على ان تكون جميع أعمالهم وجميع خطواتهم وفقاً للشرع الشريف لا يخشون في ذلك لومة لائم، خصوصاً إذا عرفنا ان قيادة حزب الدعوة الإسلامية منذ تأسس الحزب والى يومنا هذا، هي قيادة جماعية وليست فردية.

ومن ايجابيات القيادة الجماعية، أنها قيادة شورى، تصدر قراراتها بعد مشاورة ودراسة وبالتصويت، خصوصاً إذا كانت القضية مهمة كهذه وهي القيام بعملية استلام للحكم بالقوة.

نعم بالقوة، فليست المراحل التي قررها الحزب قد تحققت كما كان يخطط لها.

إذن لا بد ان يكون استلام الحكم بالقوة، ولا شك ان ذلك يستتبع اعمالاً عسكرية متقابلة، بين الحزب الذي يريد ان يستلم الحكم، وبين النظام الذي يراد إسقاطه.

ونظام عبد الرحمن عارف لم يكن (أمام قوة حزب الدعوة الإسلامية) نظاماً ضعيفاً كما هو الحال مع حزب البعث.

ويبرز أمامنا في البداية ان حزب الدعوة لابد ان يستحصل موافقة المرجعية العليا في العراق، التي كانت متمثلة – آنذاك – بالسيد (محسن الحكيم) رحمه الله.

وقد ذكرنا عدة مرات – فيما سبق – ان حزبنا بلغه ان حزب البعث يريد ان يوجه ضربة للمرجعية، فذهب وفد قيادي منه إلى المرجع الحكيم وبلّغه بهذا الخبر، وأن الحزب بإمكانه أن يقوم بعمل جماهيري ضخم، بشرط موافقته على ذلك.

إلا ان المرجع الإمام الحكيم رفض ان يوافق، وكرر ذلك ثلاثاً لا. لا. لا أريد.

والمعروف عن السيد الحكيم انه لا يثق بالجماهير، ولقد عاش ظروفاً متعددة خلقت عنده هذا الانطباع، ابتداءً من عام ١٩١٤ عندما ذهب العلماء – وكان هو منهم – إلى البصرة لمقاومة الإنكليز يوم كان العراق خاضعاً للدولة العثمانية.

مع العلم ان العثمانيين كانوا يسيئون إلى الطائفة الشيعية إساءة بالغة على طول الخط.

ولكن العلماء وجدوا ان تكليفهم الشرعي هو الدفاع عن الدولة الإسلامية وان كانت لا تطبق الإسلام بصورة كاملة. ولكن قاعدتها إسلامية.

فهبّوا للدفاع عن هذه الدولة[1] ولكن العشائر التي كانت هي اليد الضاربة للعلماء في تحركهم ذلك سرعان ما انكفأوا وتراجعوا...

ولقد وجّه كاتب هذه السطور إلى السيد (محمد باقر) نجل الإمام الحكيم يوم أربعينية أخيه الشهيد السيد مهدي هذا السؤال:

لماذا لم يرد ذكر لوالدكم في ثورة العشرين؟ في حين انه كان من السبّاقين إلى الذهاب إلى البصرة للدفاع عن العراق.

قال: إنه لم يكن يثق بالجماهير التي تخلفت عن الاستمرار في الجهاد.

ونحن لا نريد ان نبحث في الأسباب التي جعلت العشائر العراقية تنكفيء بهذه السرعة، فلسنا بهذا الصدد.

ويتأكد رأي المرجع الحكيم هذا في المحاورة التي جرت بينه وبين الإمام الخميني، يوم وصل إلى النجف بعد نفيه من إيران، واستقراره في تركيا قليلاً، ثم مجيئه إلى العراق.

١- لقد ذكرنا ذلك في بداية هذا الكتاب بصورة مفصلة

فالإمام الخميني كان يحث الإمام الحكيم على التحـرك، ولكـن الإمام الحكيم كان لا يرى ذلك، في حديث طويل.

ولا شك ان ذلك ناتج من نفس نظرته إلى الجماهير التي لا يثق بعواطفها كثيراً، وانها سرعان ما تنكفيء عن تأييدها.

ولعل الجماهير التي انفضّت من حوله يوم أعلِن عـن التهمـة الموجّهة إلى السيد (مهدي) نجل الحكيم نفسه تزيـده إصـراراً علـى نظريته في الجماهير، حيث ان مجلس الحكيم الذي كان يكتظ بالزائرين، فانهم سرعان ما اختفوا عن الأنظار.

يضاف إلى ذلك ان (حزب الدعوة الإسلامية) وإن كان قد توسّع توسعاً هائلاً بأفكاره التي شملت قطاعات واسـعة مـن الأمـة، الاّ ان وجوده في الجيش كان ضعيفاً للغاية، والذين كانوا محسوبين علينا مـن العسكريين كانوا من الرتب الصغيرة حيث لم يكن لهم تأثير.

وللعلم فإن الأعداء كانوا يعتبرون حزب الدعوة الإسلامية مـن الأحزاب الشيعية، في حين ان الأنظمة في العـراق توارثـت الحكـم الطائفي ضد الأكثرية الشيعية، سواء في السلك المدني أو العـسكري، فالكلية العسكرية وكلية الأركان لم يقبل فيها من الشيعة الاّ النزر القليل، أو الذي يتظاهر أمام لجنة القبول انه ليس شيعياً، بحيث أصبح الجـيش مؤسسة مغلقة لا يدخلها الشيعي، فضلاً عن المتهم بالانتساب إلى حزب الدعوة.

وبناء على ذلك، فان حزب الدعوة لو كان قد قام بحركة انقلابية لتجمعت كل القوى المناوئة في العراق، العسكرية وغيرها، سواء الذين كانوا يؤيدون حكم (عبد الرحمن عارف) أو الذين لم يؤيدوه، يتجمع كل أولئك في ضرب هذا الوليد الجديد.

***

وحزب الدعوة حين يتحرك لابد ان يستحصل موافقة المرجع العام، وبدون ذلك:

١- سوف يكون عمله غير شرعي ، عندما تحصل مواجهات عسكرية وتراق دماء بريئة.

٢- ان الأمة - وبضمنهم الدعاة أنفسهم - إذا عرفوا ان هذا التحرك لا يحظى بموافقة المرجع، فإنهم لا يشاركون فيه.

فالأمور معقدة تقع ضمن معادلات كثيرة ، وليست سهلة بالدرجة التي يتصورها القارئ.

فحزبنا حزب إسلامي، لا يتحرك إلا بالطريقة الشرعية، وإذا خالف ذلك فهو ليس إسلاميا، ويفقد كل مقومات وجوده ، ولسنا حزباً علمانياً لا يعير أيّة أهمية للدين وللشرع ، حيث هدفه الوصول إلى الحكم من اجل الحكم.

في حين أن حزب الدعوة الإسلامية يريد الوصول إلى الحكم ليقيم شرع الله ، وليحظى برضوانه تعالى.

وحزب البعث عندما تسلم الحكم في انقلاب ١٩٦٨ كان يختلف عن حزب الدعوة كثيراً.

فالبعث ارتبط بالاستعمار الذي هيأ له مستلزمات النجاح.

ونتيجة لذلك كانت عملية استلامهم للحكم أيسر بكثير مما لو أراد حزب الدعوة الإسلامية ان يحقق ذلك.

***

ولا ينبغي ان يكون كلامنا هذا إحباطاً للعاملين، فالتغيير لابد ان يستمر في جميع المراحل، وإعداد القوة لابد ان يأخذ مجاله دائماً لإرهاب العدو ودحره.

فالظروف ليست ثابتة، وهي في تغير دائم، والعاملون الإسلاميون يجب ان يكونوا على استعداد دائم لاغتنام الفرص التي تحقق الأهداف وتقلل الخسائر.

والرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - لم يؤذن له بحرب المشركين يوم كان في مكة، ولكنه عندما انتقل إلى المدينة توفرت لديه أسباب الانتصار، خاض حروباً متعددة شملت اغلب حياته في المدينة.

والحروب تلك - وان كانت تعطي بعض الخسائر - إلا انها تحقق اهدافاً كبرى هي التي وطّدت حكم الإسلام في المدينة اولاً، ثم انتشر في أرجاء الجزيرة العربية أيام الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - .

***

لم يكن لحزب الدعوة شهداء منذ التأسيس حتى ١٩٦٨/٧/١٧

كان عملنا منذ التأسيس عملاً سرياً ، وفقاً للمرحلة التغييرية التي كنا فيها ، ولم نكن نتعرض للحكومات التي تعاقبت على الحكم خشية من ان يقضى على الحركة ولم يصلب عودها بعد.

وكانت تحصل بعض الأعمال المنسوبة إلى جماعة العلماء أو المرجعية وكنا نتخذها ساتراً نتحصّن خلفه.

فالجهد كان لحزب الدعوة ولكن الجهة التي كانت تتبنّى المشروع هو غيرنا ، كالاحتفالات الضخمة التي تقام في كربلاء، والنجف وبغداد والمدن العراقية الأخرى.

وكالمكتبات التي ملأت مساجد العراق، فإنها كانت باسم (مكتبات الإمام الحكيم العامة).

وكمواكب الطلبة التي كنا نحرص على ان نطلب من المرجع الحكيم ان يبعث لنا احد أنجاله أو المنتسبين إليه ليتصدّر المواكب وكأنه محسوب على المرجعية.

والمنشورات التي كانت تصدر من جماعة العلماء ، كنا نحن الذين نوزّعها وربما كنا نحن الذين نكتبها ، ولكنها تصدر باسم جماعة العلماء الذين هم مؤيدون من المراجع الكبار في النجف وهكذا...

انها ليست تابعة لحزب الدعوة الإسلامية وإنما كان هناك عمل وتنسيق وتسير بنفس الاتجاه مع الحزب , وعندها تتظافر الجهود وتتكامل .

وقلنا في حديث سابق ان عبد السلام عارف شعر بوجود تحرك إسلامي حزبي ولكنه لم يكن يعرف كنهه وواقعه ، فعبّر عنه بالحزب الفاطمي امعاناً منه بالطائفية.

وبناء على ذلك فان حزب الدعوة الإسلامية لم يكن يتصدى لتلك الأعمال وغيرها ، وبالتالي فلم تكن السلطات تستهدف القضاء عليه.

أما عندما جاء البعث في ١٩٦٨/٧/١٧، فكانوا حسب معلوماتهم المتعددة التي ذكرناها سابقاً، يعرفون وجود حزب الدعوة ولكنهم لم يكونوا يريدون – في البداية – التصدي له، لوجود المرجع الأعلى السيد محسن الحكيم والذين كانوا يعتقدون فيه انه هو الذي يرعى هذا الحزب.

***

ونتيجة لكل ذلك لم يكن لحزبنا شهداء ، كما حدث على زمان البعث منذ بداية السبعينات.

نعم كان الداعية المرحوم السيد علي العلوي (الذي كانت طابعة الحزب , الرونيو في بيته) قد اعتقل على عهد عبد الكريم قاسم ، حيث كان العلوي شاعراً فألقى قصيدة في صحن الكاظمية ، يذم فيها عبد

الكريم قاسم حين عارض الإسلام في قانون الأحوال الشخصية، فاعتقلوه لعدة أيام ثم أطلق سراحه.

وكذلك كنت قد اعتقلت على عهد البعثيين عام ١٩٦٣مرتين, ولم يطل اعتقالي فيهما كثيراً ، فأطلق سراحي.

***

ولنفس الوضع السابق ، فإنه لا توجد أية وثيقة تدين أحداً مـــن حزب الدعوة في تلك العهود.

وللتاريخ نثبت ان حزب الدعوة الإسلامية في الستينات لم يكـــن له خط عسكري.

نعم كان في الدعوة عدد مـــن العـــسكريين مـــن ذوي الرتـــب الصغيرة وعدد آخر من ضباط الاحتياط والجنود.

***

الهيكل التنظيمي لحزب الدعوة الإسلامية

يعتمد حزب الدعوة هيكلاً تنظيمياً يقوم على أساس الاتصال العمودي، وهو ان تتصل كل هيئة في الحزب بالهيئة التي تتبعها.

وقد يسلك التنظيم بناء على ظروفه الخاصة أسلوباً مغايراً لأسلوب الاتصال العمودي، وذلك حسبما يراه مناسباً وبما يحقق مصلحة الحزب.

أما الهيكل التنظيمي بصورة عامة فهو على النسق التالي :[1]

الحلقة:

هي وحدة بناء الهيكل التنظيمي للدعوة ، وتتكون من مشرف وأعضاء تؤدي مهام دعوتية من موقعها.

وكل لجنة تنظيمية في الدعوة تعتبر حلقة

فالقيادة العامة حلقة،وقيادة الأقاليم حلقة ، ولجنة المنطقة حلقة ولجنة المحلة حلقة.

ويجب ان يكون الداعية عضواً في حلقة من حلقات الدعوة، وفي الظروف الاستثنائية قد تلجأ الدعوة إلى تحوير نظام الارتباط إلى بدائل أخرى بما يضمن سلامة العمل.

ومشرف الحلقة هو القناة التنظيمية للعلاقة بين الحلقة وأعضائها من جهة وبين الدعوة من جهة أخرى.

١- منقول من النظام الداخلي للحزب

وللداعية ان يتقدم بما لديه من مقترحات وأفكار وملاحظات إلى الدعوة عن طريق المشرف وبالأسلوب الذي يراه مناسباً ، وينبغي للدعوة ان تجيب عليها.

واجتماع الحلقة عمل عبادي ينبغي ان تتوفر فيه نية القربة إلى الله جل شأنه وان يُهيّأ المناخ الإيماني اللازم لاستشعار حالة التقرب إلى الله تعالى، وذلك من خلال الالتزام بالطهارة عند حضور الاجتماع وافتتاح الحلقة بتلاوة من القرآن الكريم ، والتدّبر في آية أو أكثر منها وتداول مفاهيمها ، واتخاذها شعاراً للحلقة لمدة معينة يتفق عليها. يلتزم المشرف وأعضاء الحلقة بتجسيد مضامين الآية في حياتهم ، ودراسة السنة المطهرة وأقوال العلماء الأعلام المجاهدين حفظهم الله تعالى كمادة أساسية في الحلقة.

***

لجنة المحلة :

حلقة تنظيمية تشرف على عمل الدعوة في دائرة جغرافية محددة، يرتبط بها عدد من الحلقات.

وتشكل لجنة المحلة إذا توفر في منطقة جغرافية معينة عدد من الدعاة لا يقل عن عشرين داعية.

وهذه اللجنة تراقب سير الدعوة العام ودراسة الأحداث السياسية في مجال عملها ، وتقدم الملاحظات والاقتراحات ومشاكلها إلى لجنة المنطقة.

لجنة المنطقة :

حلقة تنظيمية تشرف على عمل الدعوة في دائرة تحددها لجنة الإقليم، ويرتبط بها عدد من لجان المحلة.

على اللجنة دراسة التقارير الواردة والإجابة عليها ، وعليها مراقبة سير الدعوة في مجال عملها داخلياً وخارجياً وقيادة الإقليم هي التي تعين لجان المناطق التابعة لها.

***

قيادة الإقليم :

حلقة تنظيمية تشرف على عمل الدعوة في إقليم معين ، يرتبط تنظيمياً بالقيادة العامة ، وتكون مسؤولة أمام القيادة تنظيمياً ، وأمام مؤتمر الدعوة الإقليمي في تقييم مسيرتها.

أما طريقة تشكيل قيادة الإقليم:

فان القيادة العامة تعين احد أعضائها وينتخب مؤتمر الإقليم باقي أعضاء قيادة الإقليم ، وفق طريقة تضمن سرية القيادة – مادامت هناك ضرورة للسرية – تحددها وتشرف عليها القيادة العامة ، وعند تعذر اجتماع المؤتمر الإقليمي يحق للقيادة العامة تعيين قيادة الإقليم ، وذلك بعد اقتراح من لجنة الانضباط والتقييم الحزبي الإقليمية.

ويشترط تفرغ ثلثي أعضاء قيادة الإقليم تفرغاً كلياً للعمل الدعوتي في المرحلة السياسية.

***

مؤتمر الدعوة الإقليمي:

أعلى هيئة حزبية في الدعوة على مستوى الإقليم، ويمثل إحدى صور الاتصال الأفقي في الدعوة.

أما واجبات مؤتمر الدعوة الإقليمي فهي:

١- انتخاب قيادة الإقليم باستثناء واحد منها (حيث تعينه القيادة العامة).

٢- تقييم مسيرة الدعوة في الإقليم.

٣- تقديم دراسة إلى القيادة العامة يتضمن تقييماً للمرحلة التي تمرّ بها الدعوة في الإقليم ، واقتراح الانتقال إلى المرحلة التالية.

٤- رسم السياسة العامة لعمل الدعوة في الإقليم.

٥- انتخاب عضوين من هيئة الانضباط والتقييم الحزبي في الإقليم.

***

القيادة العامة:

حلقة تنظيمية تشرف على عمل الدعوة بصورة عامة ، مسؤولة أمام مؤتمر الدعوة العام.

ويحق للقيادة العامة تسمية أي داعية مجتهد لم تتوفر فيه الشروط أن ينظم إليها بدون انتخاب.

***

مؤتمر الدعوة العام:

هيئة حزبية مركزية عليا في الدعوة تحتل صورة من صور الاتصال الأفقي فيها.

أما مهام وصلاحيات مؤتمر الدعوة العام:

١- انتخاب القيادة العامة وعضوين للاحتياط

٢- رسم السياسة العامة لعمل الدعوة

٣- تقييم مسيرة الدعوة للدورة السابقة، ومناقشة تقارير القيادة العامة ولجان الاختصاص والأعمال التابعة لها.

٤- اختيار ثلاثة من أعضاء الهيئة العامة للانضباط والتقييم الحزبي

٥- تعديل النظام الداخلي بأغلبية ثلثي أعضائه

٦- قبول استقالة أعضاء القيادة العامة وردّها ، وانتخاب بديل للمستقبل بعد استنفاد الاحتياط.

***

كان ذلك حديثاً عن الهيكل التنظيمي لحزب الدعوة الإسلامية وهناك لجان عمل أفقية ، تتشكل وفقاً للحاجة ، وتختلف من إقليم إلى إقليم آخر.

أما أهم هذه اللجان فهي:

الهيئة العامة للانضباط والتقييم الحزبي:

وهي هيئة تعنى بمراقبة سير عمل الدعوة والدعاة وتقييم مسيرة

العمل وفق الأصول والضوابط والصلاحيات التي نصّ عليها النظام الداخلي.

أما أعمال هذه الهيئة فهي:

١- تراقب سير عمل الدعوة للتأكد من انسجامه مع خط السير المرسوم وأفكار ومواد النظام الداخلي.

وفي حالة حدوث مفارقة ما ، على الهيئة ان تلفت نظر القيادة العامة إلى المفارقة الحادثة والجهة المرتكبة لها ، وإذا كانت المخالفة تشكل خطر الانحراف عن خط السير وأفكار ومواد النظام الداخلي ، فان على الهيئة دعوة مؤتمر الدعوة العام للاجتماع لغرض النظر في تلك المفارقة وتقرير ما يلزم حول الموضوع.

٢-وتراقب القيادة العامة في تشكيلها للجان التابعة لها وذلك وفق ما يلي:

أ- على القيادة العامة ان تستشير الهيئة في تقييم الأعضاء المرشحين للجان.

ب-تزوّد القيادة العامة الهيئة بتقرير مفصل يتضمن أسماء أعضاء اللجان التي شكلتها.

٣- النظر في شكاوى ومخالفات الدعاة ، من أعضاء القيادة العامة قيادات الأقاليم ، اللجان التابعة للقيادة العامة ، مؤتمر الدعوة العام.

والقضايا التي ترفع إليها من قبل هيئات الانضباط والتقييم الحزبي في الأقاليم وتقرير ما يلزم بشأنها.

***

اللجنة الفكرية:

لجنة اختصاص ترتبط بالقيادة العامة، مسؤولة عن إغناء مسيرة الدعوة بالفكر الذي تحتاجه لعملها.

واللجنة الفكرية، تشكلها القيادة العامة من الدعاة المسؤولين الذين تتوفر فيهم المؤهلات التالية:

١- شروط عضوية قيادة عامة والا فشرط عضوية إقليم

٢- قد بلغ درجة الأصالة الناضجة في جانب أو أكثر من جوانب الفكر الإسلامي.

٣- له القدرة على العطاء في مجال الفكر.

وتعمل اللجنة الفكرية على اغناء مسيرة الدعوة بالفكر الذي تحتاجه كالجانب التنظيمي والسياسي وما إلى ذلك.

***

المكتب السياسي:

هيئة اختصاصية ترتبط بالقيادة العامة ، مسؤولة عن إغناء مسيرة الدعوة بالثقافة السياسية والمساهمة في رسم وتحديد المواقف السياسية للدعوة والشؤون الإعلامية والعلاقاتية.

ومن مهامها في (الدائرة السياسية):ـــ

١- بيان المواقف السياسية للدعوة من الأحداث المحلية والعالمية.

٢- إغناء مسيرة الدعوة بمختلف جوانب الثقافة السياسية اللازمة لعمل الدعوة وتثقيف الدعاة سياسياً.

٣-رعاية الكفاءات السياسية في الدعوة وتنمية مواهبها بمختلف الوسائل من اجل إعداد كادر سياسي للدعوة.

٤- إصدار نشرة سياسية مركزية وإقامة ندوات مفتوحة للدعاة والأمة لخلق وعي سياسي إسلامي.

٥- إنشاء مؤسسة إسلامية للدارسات السياسية وبناء أرشيف سياسي للدعوة.

٦-تبادل المعلومات السياسية عن طريق لجنة العلاقات العامة مع الأحزاب والمؤسسات فيما يخدم مسيرة الدعوة.

٧- حضور المؤتمرات السياسية الإسلامية

٨- التنسيق والتعاون مع اللجان الإقليمية لتسهيل مهامها.

٩-متابعة مواقف ونشاطات القوى والأحزاب السياسية وتحديد مستوى تأثيرها على مسيرة الدعوة والأمة.

١٠-تنسيق المواقف السياسية والفكرية مع الحركات الإسلامية وإقامة العلاقات المناسبة معها.

١١-دراسة وتقييم الوضع السياسي للدعوة في مختلف الأقاليم.

١٢-تحديد الملامح العامة والرئيسية لعلاقة الدعوة بالمؤثرات السياسية المحيطة بها.

١٣-تعيين ناطق رسمي للدعوة وبموافقة القيادة العامة.

***

في (الدائرة الإعلامية) :

١- نشر الفكر الإسلامي ومجابهة التيارات الفكرية المنحرفة وتصعيد الوعي الحركي الإسلامي في العالم والتعريف به.

٢-التعريف بالدعوة وجهازها وبيان نشاطها ومواقفها السياسية.

٣-الاتصال بالقنوات الإعلامية العالمية لنشر الفكر السياسي الإسلامي والنشاط الدعوتي.

٤-التعاون مع القوى الإسلامية في العالم للتعريف بوجهة نظر الدعوة في مختلف المواقف وتثبيت حضورها من خلال وسائلها الإعلامية.

٥-تعمل على إعداد أرشيف إعلامي في كل إقليم من أقاليمها في المواضيع التي تراها مهمة وذات مساس بمستقبلها.

٦-تعمل على إيجاد أو تبنّي دور للنشر في الأقاليم الممكنة

٧-التنسيق مع بقية اللجان الاختصاصية والإقليمية لاستكمال عملها بالصورة المطلوبة.

٨- العمل على ترجمة أفكار الدعوة في مختلف الحقول إلى اللغات الحية.

٩- تقديم تقرير كل شهرين إلى القيادة العامة وكل ما تطلبه القيادة العامة منها.

***

في (الدائرة العلاقاتية) :

ومن مهامها:

١- الاتصال بالقيادات والحركات الإسلامية وتبادل الرؤى والأفكار من خلال اللقاءات والمحاورات.

٢- الحضور في المؤتمرات الإسلامية والسياسية التي تخدم القضية الإسلامية وفق الامكانات المتاحة.

٣- التنسيق والتعاون مع اللجان الإقليمية لتسهيل المهام المذكورة أعلاه.

٤- تشترك مع الدائرة السياسية في تنسيق ومتابعة أعمال ومواقف المؤسسات والقوى المؤثرة على الصعيد السياسي والشعبي.

٥- إقامة علاقات شخصية مع الجهات والعناصر المؤثرة في الأمة.

٦- رفع تقرير كل أربعة اشهر عن أعمالها وكل ما تطلبه القيادة من تقارير.

***

اللجنة التنظيمية:

لجنة اختصاص ترتبط بالقيادة العامة ، مسؤولة عن مسيرة الدعوة بالدراسات التنظيمية وأساليب العمل الحزبي.

ومن مهامها:

١- رفع الاقتراحات والتوصيات بشأن تعديل النظام الداخلي أو تغييره إلى المؤتمر العام للدعوة لدراستها واتخاذ الموقف المناسب.

٢-إعداد الخطط والمناهج التنظيمية للدعوة.

٣-وضع أساليب النشاط الاجتماعي العام.

٤-رعاية الكفاءات والمواهب التنظيمية في الدعوة وإعداد الدورات الحزبية والإشراف عليها.

٥-إغناء الدعوة بالبحوث التنظيمية والاستفادة من التجارب والممارسات الحركية المختلفة بما لا يتعارض مع الشريعة الإسلامية.

٦-دراسة الوضع التنظيمي ومراقبة سير التنظيم بكل أبعاده ومعالجة السلبيات والمعوقات التي تصاحب الحركة التنظيمية في الافراد والحركة.

٧-تقييم موقع الدعوة في نظر الدعاة والأمة

٨-تقييم تأثير الأحداث الخارجية على الوضع التنظيمي.

٩-تنظيم استمارات الاستفتاءات اللازمة لعملها وتوزيعها على الدعاة بواسطة القنوات التنظيمية.

١٠-ترفع تقريراً كل أربعة اشهر للقيادة العامة وكلما تطلبه القيادة منها.

***

اللجنة المالية:

هي اللجنة المسؤولة عن كافة الشؤون المالية للدعوة.

أما مهامها فهي:

١- إصدار التوجيهات اللازمة للقيادات الإقليمية واللجان المالية في الدعوة بشان مالية الدعوة.

٢- تنظيم حملات التبرعات.

٣- جمع الحقوق الشرعية وصرفها وفق الأصول الشرعية المقررة وبشرط وجود إجازة من قبل فقيه جامع للشرائط بذلك.

٤- تنفيذ الميزانية المقررة من قبل القيادة العامة.

٥- توظيف أموال الدعوة في الاستثمارات المفيدة بموجب مشاريع مدروسة.

٦- تقديم كشف حسابات للقيادة كل أربعة اشهر أو كلما طلبته القيادة.

***

مالية الدعوة:

١- تتكون مصادر مالية الدعوة من اشتراكات الأعضاء التي تحددها اللجان الإقليمية، ومن التبرعات والحقوق الشرعية المجاز بها من قبل فقيه جامع للشرائط ومساعدة الجهات الخيرية والمشاريع الإنتاجية الدعوتية.

٢- يتم إعداد وإقرار ميزانية الدعوة كما يلي:

أولاً - تقوم كل لجنة من لجان القيادة العامة وقيادات الأقاليم بإعداد ميزانية حسب حاجياتها وتقديمها إلى القيادة العامة

ثانياً - تقوم القيادة العامة بالتدارس مع اللجنة المالية بتعديل وإقرار الميزانية على ضوء الحاجة وإمكانية الدعوة، وتعلم اللجنة المختصة بذلك.

ثالثاً - تصدر القيادة العامة أمراً للجنة المالية بالصرف حسب الطريقة التي تلبّي متطلبات عمل اللجنة المختصة.

٣- على الإقليم ان يأخذ حاجته من المال ويدفع الفائض عن الميزانية إلى اللجنة المالية المركزية لتقوم بدورها في سد احتياجات الأقاليم الأخرى وفق خطة الصرف التي تخدم استراتيجية العمل.

٤- تلاحظ في المصروفات طبيعة الواردات والنفقات ولا بدّ ان تؤخذ بنظر الاعتبار المصروفات ذات الطابع الثابت كرواتب

المتفرغين مثلاً، وكذلك المصاريف غير الثابتة والمتصاعدة للأعمال الإعلامية والجهادية وما إلى ذلك، وفق الميزانية المعدّة.

٥- على اللجان المالية الإقليمية واللجنة المالية المركزية ان تقوم بإعداد برامج حملات التبرع في الأقاليم كافة والاتصال بالجهات الدينية والخيرية لاستحصال المساعدات، وذلك وفق خطة زمنية محددة.

٦- يجب اعتماد السجلات الأصولية في مسك الحسابات.

٧- يجب على اللجنة المالية مراقبة سير النظام المالي للأقاليم بشكل دوري.

***

كان ذلك باختصار تصويراً للهيكل التنظيمي لحزب الدعوة الإسلامية واللجان المختلفة المتفرعة عن القيادة، وهي اللجان الثابتة بصورة دائمية.

ولم يكن للدعوة في هذه الفترة التي نؤرخ لها منذ التأسيس لحد مجيء البعثيين عام ١٩٦٨ لجان أخرى كالجهادية وغيرها، لأننا لم نكن بعد قد شهرنا سيوفنا في وجه الأنظمة الجائرة.

***

ومن الجدير بالذكر ان للدعوة لجاناً أخرى غير اللجان الاختصاصية، وهي اللجان الفرعية,وهي:ـ

اللجان الطلابية والعمالية والفلاحية ولجان المهندسين والأطباء والصيادلة والمعلمين والاقتصاديين والأسواق وأصحاب الحرف، والحوزة والشعراء.... الخ. وتبحث هذه اللجان في اجتماعاتها أموراً منها:

١- أساليب نشر المفاهيم والتوعية الإسلامية والسياسية.

٢- إيجاد تنظيمات مهنية باسم: لجنة أو جمعية أو نقابة أو اتحاد أو جماعة أو هيئة.

٣- القيام بنشاطات اقتصادية لمصلحة الأفراد بالاشتراك مع الأعضاء النشطين وأصحاب الاهتمام العام والهمة العالية، فتقام علاقات متينة يمكن ان تتحول بالتدريج إلى علاقات فكرية وسياسية.

٤- القيام بنشاطات لتمتين العلاقة بين الأفراد كالرحلات والاحتفالات والاجتماعات الدورية.

٥- إصدار نشرات ومجلات وكتب ثقافية ومهنية مع أهل الاختصاص من التنظيم.

٦- إيجاد علاقات مع التنظيمات الأخرى كأن تقوم علاقة بين اتحاد الطلبة ونقابة المعلمين.

٧- إعطاء الرأي في الأوضاع العامة في القرية أو المنطقة أو الإقليم بصورة علنية بواسطة الصحافة والاحتفالات وغيرها.

٨- دراسة الأوضاع ذات العلاقة بالتنظيم وأساليب تطويرها نحو الأفضل.

٩- الاتصال بالتنظيمات المماثلة خارج الإقليم وخاصة التي لها علاقة بالدعوة .

١٠- تنشئ اللجان الحزبية الفرعية لجاناً أخرى تشرك بها النشطين من أهل المهنة لمختلف النشاطات العامة التي تحتاجها مصلحة العمل.

١١- تحصل اللجان الفرعية أموالاً لتيسير أمور المهنة من تبرعات مناسبة يدفعها أهل المهنة والاستعانة بأي تمويل لا يؤثر على حرية الحركة واتجاهاتها.

١٢- تحاول اللجنة ان ترسم خطاً سياسياً لتسير المجموعة المهنية خلاله.

١٣- اللجنة الفرعية تتعامل مع الواقع والظروف التي تحيطها، فالنشاطات التي تقوم بها اللجنة في مدينة ما تختلف عن مدينة أخرى.

١٤- تشجّع اللجنة القيام بأبحاث مناسبة لتطوير المجتمع في مجالات التقدم العمراني للإقليم في أي مستوى ممكن.

١٥- تحاول اللجنة إيجاد علاقة بين التنظيم ووسائل الإعلام المختلفة لإيجاد علاقات تستفيد منها اللجنة في مجال التنظيم وفي مجال الدعوة أيضاً.

١٦- تؤسس بعض هذه اللجان إجتماعات دورية لمختلف الفعاليـــات ضمن دراسة خاصة بكل لجنة.

***

مبادرة الاستعمار والمحنة

لم يكن الاستعمار غافلاً عما يجري ، وكان الإسلاميون يدركون ان الاستعمار ينظر إلى الأمور بالمنظار المكبرّ.

ولذا كان على الاستعمار ان يبادر، و يفاضل بين العملاء ويكلفهم بنشاطات ليبرهنوا على قدرتهم وكفاءتهم.

وكانت أيام (عبد الرحمن عارف) مختبر الطبخات ، وكان آخر ما جرب في هذا المختبر هم البعثيون، في حين كانوا في أسوء حالة وأضعف من ان يتصور احد أنهم أهل لاستلام الحكم.

وأكثر ما اعتمدوا عليه في نشاطهم هو مكانة الدكتور (احمد عبد الستار الجواري) ورتبوا أمرهم، وخرجوا بمظاهرة في شارع الرشيد من بغداد إلى القصر الجمهوري، بمناسبة نكسة حزيران ١٩٦٧.

وكان يتقدم تلك المظاهرة (احمد حسن البكر) و (الجواري)، وبعدها سلموا الحكم لهم بسهولة.

ولعل الأسباب التي جعلت الاستعمار يختار البعثيين دون سواهم هي:-

١- إن البعثيين كانت لهم تجربة مارسوها عام ١٩٦٣، وان كانوا قد خسروا الجولة بعد تسعة اشهر من حكمهم، ولكنها كانت تجربة بيّنت لهم كثيراً من الأخطاء التي لابد ان يتلافوها في محاولتهم الأخرى.

٢-كان لهم علاقات وصداقات في صفوف القوات المسلحة.

٣-الاستعمار بصورة عامة - بريطانيا وأمريكا - يفضلون ان يعتمدوا على حزب علماني يعادي الدين والمتدينين ليكون ظهيراً لهم في القضاء على التحرك الإسلامي والحالة الإسلامية التي كانوا لا يزالون يخشون من انتشارها وشموليتها.

***

وجاء البعثيون ، وكان أهم ما قاموا به بعد استلامهم، الحكم، ما يلي:-

١- وجهوا ضربات شديدة للقوى السياسية، وذلك بقتل قياداتها وكوادرها واعتقال منتسبيها ومؤيديها، وقد تمّ ذلك حسب خطوات متدرجة وخطة محكمة.

٢-أشاعوا الرعب والهلع في قلوب الناس بسياستهم الإرهابية. التي لا نظير لها.

٣-بعثروا طاقات الناس في البحث عن المواد الغذائية والحاجات الضرورية بعد ان افتعلوا أزماتها، وأشعروهم بالذلة وامتهنوا كرامتهم وقتلوا كل تطلعاتهم وطموحهم، وأشاعوا الرذيلة، وعملوا على ان يسلبوا من الناس كل فضيلة.

٤-اتبعوا سياسة طائفية مقيتة وحاولوا إثارة الطائفتين على بعضهما.

٥-ركزوا الوظائف العسكرية والمخابراتية والإدارية بيد مجاميع معينة وحرموا الآخرين منا.

***

والواقع أننا إذا راجعنا الأوضاع العامة للعراق قبيل الانقلاب البعثي لتبيّن لنا ان المرحلة كانت زاخرة بتنامي الوعي الإسلامي من خلال الحركة الإسلامية وحركة المرجعية ، وكان الاستعمار على علم دقيق وإدراك بخطورة المرحلة.

ولم يكن أمام الاستعمار إلا ان يأتي بجماعة تناسب مصالحهم وإنّ هذه الجماعة يجب ان تتميز بما يلي:-

١- تعيش قضية الحكم على حساب كل قيمة وكل وزن.وكل اعتبار، حتى يتسنّى له - بواسطتها - استئصال القوى المعادية بكل شراسة وغلظة، ومن دون أي رادع ووازع.

٢- ان تستند هذه الجماعة في تركيبها إلى أهل الخبرة في القتل والجرائم والتنكيل والتعذيب وان تعتمد جهازاً ضخماً من المخابرات والأمن.

٣- ونحن إذا نظرنا إلى ما فعله البعثيون بعد ١٧ تموز ١٩٦٨ لتبين لنا بما لا يدع مجالاً للشك ان حزب البعث إنما جاء به الاستعمار لتأدية دور معين، ذلك ان كل ما يريده الاستعمار قام به هذا الحزب على أكمل وجه.

خاتمة الكتاب

لقد انتهينا من الكتاب الأول لحزب الدعوة الإسلامية ـ والحمد لله ـ الذي توخينا فيه أن يكون من التأسيس إلى مجيء البعثيين في ١٩٦٨/٧/١٧ .

وهو مجهود متواضع . ربما وقعت فيه بعض الهفوات حين لم أذكر واقعة . كان ينبغي أن تذكر ضمن التاريخ المذكور . ولعل إحجامي عن ذكرها أنها غير جديرة بالتدوين .

وتأخر إخراج هذا الكتاب . وكان يفترض أن يكون في متناول الأيدي بعد السقوط مباشرةً .

ولكن الأشغال الكثيرة التي واجهتنا عند انتقالنا من المهجر بعد اندثار العهد السابق هي التي أعاقت ظهوره .

إضافة إلى ذلك . فإن اهتمامي كان منصباً على كل الحوادث التي مرت على الدعوة في تأريخها الطويل المليء بالألم والأمل حيث كنت أضع كل قضية في موضعها المناسب .

من الكتب الأربعة التي تمثل تأريخ الدعوة المباركة من التأسيس حتى سقوط الصنم .

فكما كنت أكتب حوادث الكتاب الأول , كنت أكتب حوادث الكتاب الثاني وهكذا ...

ولذلك فإن الكتاب الأول والثاني تقارن صدورهما في وقت واحد والحمد لله .

أما الآن فأنا مشغول في تدوين الكتاب الثالث , وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يساعدني على ذلك لأنجز مشروعاً أراه ضرورياً للتعريف بحركة عاصرت من المتاعب والآلام ما لم تعاصره حركة أخرى في التاريخ .

والله ولي التوفيق

المؤلف

٨ ذي القعدة /١٤٢٦ هـ

١١ /١٢/ ٢٠٠٥

المحتويات

Email : maktap @ daawaparty.com
Www.daawaparty.com

العراق بغداد ـ حسن شبّر